افتتاحية

محاضرات من الملتقى

ريثما يصدر كتاب الملتقى الثامن للفكر الاسلامى سننشر فى كل عدد من « الأصالة » كعادتنا فى الملتقيات السابقة مجموعة من المحاضرات .

والملتقى كما يعلم القارىء ، وكما أشارت صحف عربية وأوروبية منبر حر مفتوح للجميع، ومن هنا فالآراء التى عرضت فى الملتقى لا تعبر كلها بالضرورة عن آرائنا .

ومن هنا فالزيادة على المناقشات المفتوحة الطويلة العريضة التى فسح لها المجال فى الملتقى ننتظر من القارىء أن يثرى هذه المناقشات على صفحات هذه المجلة .

هذا وطبقا لما جاء فى الخطة التى اعلناها فى افتتاحية العدد الأول : « . . كما سيكون جزء منها باللغة الفرنسية كما هو شأن بعض المجلات فى بلدان شقيقة ، لتخاطب بعض الناس لدينا بما يفهمون » والتى سرنا عليها برهة ثم توقفنا لاسباب عديدة ، واستجابة لرغبات ملحة من جزائريين ومسلمين عموما وخاصة من أوروبا ومن غير المسلمين من عدة جهات من العالم ، نستأنف خطتنا المذكورة باصدار جزء من المجلة بالفرنسية أيضا زيادة عن أصله بالعربية أو ترجمته اليها .

« الأصالة »

كلمة افتتاح

الملتقى الثامن للفكر الإسلامي

مولود قاسم نايت بلقاسم
وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
حضرات الاساتذة الافاضل ،
حضرات السادة والسيدات ،

أود أن أبدأ هذه الكلمة بما أنهيت به كلمة افتتاح الملتقى السابع . وأرحب بكم باسم الرئيس بومدين والجزائر كلها فى هذا الجو الطبيعي الرائع ، والاطار التاريخي المجيد ، « فى الناصرية ، عاصمة الناصر بن علناس الحمادي ، مدينة النور قبل باريس بقرون . التى جابت البحار بأساطيلها ، وبهرت الانسانية ببلاراتها ولآلئها التى كان يجتمع فيها الحكام بالعلماء بحضور الجمهور ، وغمرتها بعلومها وفنونها ، وأضاءت أوروبا والعالم بجامعاتها وشموعها : بجاية ! » .

حضرات الاساتذة .

اخوتى الطلبة والطالبـات ،

نجتمع لأيام وليال لتدارس نقاط خمس نراهافى غاية الأهمية لا بالنسبة للجزائر والعـالم الاسلامى الأوسع فحسب ، بل وللانسانية كلها،وهى التى تمر بأزمة طاغية تهدد القيم ، وتتعرض لعواصف عاتية تنذر باكتساح الحضارة وآثارها!

1) نود ان نستعرض معا ما نالته جاليـات وأقليات من حسن معاملة ، أو عانتـه وتعـانيه اليوم من عنت وعذاب ، فى مختلف أنحـا العالم ، ونرى فيما اذا كان يليق بالعلمـا ، والمفكرين عموما ، ورجال الاعلام أن يبقـوا سلبيين ازاءها ، ويكتفوا فى أحسـن الاحـوال بالحوقلة والاستنكار فى النوادى المغلقـة ،أو يجب عليهم أن يصرخوا فى وجه الظلم حيثما وقع ، وينددوا بمختلف أنواع التميز ، ويفرضوا بسلطتهم المعنوية احترام كرامة الانسان كانسان!

2) كما يبدو لنا من الضرورى أن نتصفـح التاريخ ، ونلقى نظرة فاحصة على عالم اليـوم لنتذكر ونسجل دور المفكر الآن وعلى مر العصورفى أمته وتجاه الانسانية فى كل من قضـايا الساعة وآفاق المستقبل . وهل المفكر الذى وصفه اليونان وينعته عالم اليوم بالنخبة ، وميزه ابـن رشد فى تصنيف الناس الى صفوة ودهما ، أوالجماهير ، كما يقال اليوم ، أقول هل يمتـاز هذا المفكر عن رجل الشارع بالوعى الدقيق بعظـم المسؤولية . وبشمولية النظرة ، وسعـة الصدر ، والتضحية فى العمل على فرض احترام كرامة الإنسان والشعوب . ام ان كل ميزاته هى الشهادات، والوظائف ، والتشريف ، والألقـاب ؟

اذا كان الانسان . أى انسان ، حيوانا ناطقـا حسب تعريف أرسطو ، فانه لا يمتاز عن بقيـة الحيوانات الا بالنطق ، أى التفكير لنفسه ، وأمته ،والانسانية ، وعلى المفكر بالذات يلقى عبء خاص، وبه تناط مسؤولية استثنائية ، هى اسمـاع نتيجة تفكيره ، والمناداة بصوت ضميـره !

3) وكيف لا نشير ونحن فى بجاية الى الـدور البارز الذى ساهمت به الـدولة الحمـادية فى بنا الحضـارة والفكـر الاسلاميين ، وبالتالى فى الحضارة العالمية ، ويكفى أن نذكر ، كرمـز الى ما قامت به الدولة الحمادية فى الميادين الحضارى والفكرى ، ان اسم الشمع المضىء لأوروبا والعالم قبل اكتشاف الكهربا بقرون مستقى من اسـم بجاية . BOUGIE، وتدل على ذلك بطون التاريخ ،

ويذكر به القاموس الفرنسي لاروس ، وان عبـدالرحمن بن خلدون ، مؤسس علم الاجتماع . كان يدرس بها بجامع القصبة وهو فيها حاجب ، أي رئيس وزرا. ، وان المهدي بن تومرت كان يدرس بجامعها الريحانة ، وان جامعتها كان يرتـــادها رجال علم وفكر من بقية المغرب ، ومن الاندلس ، والمشرق . ومن أوروبا الغريقة اذ ذاك في ظلمات قرونها الوسطى ، وان علما من أعلام هذه القرون الوسطى الأوروبية ، وهو ريمون لول ، المسمى بـا «الدكتور الملهم» ومؤلف كتاب «الفن الكبير» في المنطق . جا. الى بجاية للدرس والمنـاقشة ٠وسيحدثنا عن هذا كله بتوسع واختصـــــاص الاساتذة الكبار في هذا الملتقى .

4) والحضارة والفكر الاسلاميان اللذان كـانا منطلق أوروبا نحو نهضتها وتقدمها ، يتطلبــان منا أن ندرس أسباب ازدهارهما وانهيارهمـــا ،وعوامل انبعاثهما ، لأن التاريخ يعيد نفسه ، واذا كانت براقش قد جنت على نفسها . فنهضتهـــا من كبوتها لا تتوقف الا عليها ان صح العـزم ، وقويت الارادة . واستخلصت عبر التـــــاريخ ،واستلهمت تجارب الامم .

ان الحضارة والفكر ارث مشترك ، بقـــدرما هما عمل جماعي . والتاريخ يسجل لكل امـة لبنتها ، ويؤاخذها على كسلها وتقصيرها ، ومن تهاون هان ، وخسر الرهـــان !

5) وهل صحيح ما يبدو لنا من أن طريـــق الخلاص الوحيد للامة الاسلامية ، ولأية امة من الأمم في وضعها . هي الكد في تدارك ما فـات ،والسعي للحاق بركب الناهضين ، مع المحافظة على روحها وخصائصها ، وتقديم الجـــوهر على الاعراض ، وعدم الاستغناء بالقشور عن اللباب ، وضرورة الاقلاع عن التعلق بسلبيات الحضـــارة الحـديثة الاقتصـار على ايجابيـاتها ، وهذا كلـه هو ما نقصده بالانيـة والأصالة ، مع التفتـــح والعالميـــة .

وهنا أود أن أذكر بما سبق أن أشرت اليـــه بايجاز في الملتقى السادس ، وهو اننا امـــام فريقين نرى أن كلا منهما مغال وواقـــــع في الشطط .

احدهما فريق المتقوقعين ، المتزمتين ، المنزوين، المنكمشين ، الراكدين ، المنغلقين ، الجـامـدين . الذين يدعوننا باسم المحافظة على التقاليـــد الى عدم الاكتفا. باقفال الأبواب ، بل يطلبون منـــا أيضا سد النوافذ ، حتى لا يتسرب الينا بصيص من نور ، أو نسمة من هوا. ، ونبقى في الظلمات ، ونتعرض للاختنـاق !

والفريق الآخر يلحون علينا باسم التقدمية ،والثورية ، والتطور ، والتمدن ، وسعة الأفق ، والتفتح ، والعالمية ، الى عدم الاكتفا. بفتح النوافذ واسعة ، والابواب على مصاريعها ، بل يصمون آذاننا بالمناداة بضرورة نزع السقوف أيضا ، وهم المغامرون ، السطحيون ، الممسوخون!

ونحن نجيب أولئك وهؤلا. بأننا لا نريد أن نحرم أنفسنا من الاكسجين والضو. اللذين هما اكسير الحياة ، ولا أن نعرض أنفسنا للزوابع الجارفة المطيحة بالابنية . المخلخلة للاوتاد ، المهلهلة للعماد !

اننا ندعو الى فتح النوافذ ، بل والأبواب عند اللزوم ، ولكن مع الاحتفاظ بالسقوف والرفوف، ونقف باقدام ثابتة على أديمنا الراسخ ، لنرنو، مطمئنين ، واثقين بأنفسنا ، الى عوالم أخرى نستقى من تجاربها الناجحة ، ونتعظ باخطائها ،وهو ما يدعونا اليه الاسلام،وما نجح به السلف. أولم يسيروا فى الأرض ، أفلا ينظرون !

اما أن نبقى معلقين فى الهوا. ، ونشرئب من خلال السقف المنزوع الى عالم المجهول ، فلن تكون النتيجة الا الوقوع فى الدرك الأسفل والانحدار !

هذا ما قصدناه بالجمع بين الانية والأصالة مع التفتح والعالمية ، الذى يفتح النوافذ والأبواب، ولكنه يحتفظ بالسقوف والرفوف ، والذى يبدولنا المخرج الوحيد للانسانية التى تعانى اليوم أزمة حضارية حادة ، تهدد البنا. البشرى بالتصدع والانهيار .

حضرات الاساتذة الافاضل ،

اخوتى الطلبة والطالبات ،

هذه هى المواضيع التى نريد النظر فيها معا ،ونفتح باب مناقشتها واسعا ، ونرجو أن نخرج من ذلك كله بنتائج تكون هى نفسها خطوات تمهيدية فى مسيرة ينبغى أن تستمر لتتقى الحضارة ، وتصون كرامة الانسان .

وأخيرا أتمنى لأعمالنا التوفيق والنجاح ،وللاساتذة والطلبة الضيوف طيب المقام فى بجاية والجزائر .

والسلام عليكم ورحمة الله

وضع الأقليات والجاليات عمومًا والإسلاميّة خصوصًا

في كثير من بلدان القارات الخمس
وواجب العلماء والمفكرين، ورجال الإعلام نحوها

الاستاذ فرنسيس منهايم
كاتب ورئيس
الجمعية البلجيكية العربية
بروكسيل ـ بلجيكا

ان عنوان النقطة الاولى لملتقى الفكر الاسلامى الثامن واسع جدا ويسمح بالدخول فى مشاكل وحالات متنوعة جدا ـ فالنقطة الاولى اذن المعنونة « وضع الاقليات والجاليات عموما والاسلامية خصوصا فى كثير من بلدان القارات الخمس وواجب العلماء والمفكرين ورجال الاعلام نحوها » ٠

ان هذا العنوان يفرض طريقتين : وصف حالة موضوعية وبما انها مسألة « واجب » اصدار اقتراحات نظام اخلاقى ٠

اقترحت فى العرض الذى اقدمه لكم ان اصف حالة موضوعية جدا : وهى حالة الاقلية الاسلامية التى تعيش فى بلادى بلجيكا وبالاخص اميز عائلة واوحدها : الجالية الجزائرية ٠

اما الواجبات التى تعود الى فئات معينة من الاشخاص والتى تواجه المشاكل التى تطرحها هذه الاقليات فانى اقيد نفسى تقييدا فى اطار مهنتى ككاتب وصحفى اى كشاهد عيان ·

فهدفنا اذن ان نصف المشاكل الاخلاقية والثقافية للاقلية الاسلامية فى بلجيكا وخاصة فى المجموعة الجزائرية ·

ولكن لتفهم هذه المشاكل من الضرورى تحديد هذه الاقلية وهذه المجموعة على المستوى الديمغرافى والتاريخى والاقتصادى وغيره ·

1 ـ يعيش فى بلجيكا 10 ملايين نسمة من المواطنين بينما هناك 700000 اجنبى تقريبا يعيشون فى البلد ـ وتجدر الاشارة الى ان هذا العدد ما هو الا تقريبى لسبب بسيط هو انه لم توجد احصائيات كاملة لهؤلاء الاجانب ـ ان الارقام المعطاة من طرف الشرطة تخص الاشخاص الذين يزيد عمرهم على 12 نسمة ـ اما تلك التى تعطيها وزارة الشغل والعمل فتخص المستغلين وتلك التى تعطيها الادارة فهى غير كاملة ـ واخيرا فان العناصر القنصلية هي اقرب الى الصواب من غيرها ـ وعن هذه المعلومات تعرفانه يوجد 5571 جزائرى فيهم 2215 رجل اكثر من 21 سنة و 573 امرأة اكثر من 21 سنة و 2783 شابا وشابة ·

ان الجالية الجزائرية قليلة نسبيا بينما نجد الجالية المغربية تفوتها ثمانية اضعاف والجالية التركية اربعة اضعاف ـ اما التونسيون فان عددهم لايتجاوز الفين ـ وفى المجموع فان الجالية الاسلامية تمثل 10 ٪ من مجموع الاجانب ـ (ويجدر بنا أن ننبه ان هذه النسبة لا تحتوى على بعض المائات من الالبانيين واليوغسلافيين ومواطنين لبعض بلدان اوربا الشرقية الذين يدينون هم ايضا بالدين الاسلامى) ·

2 ـ الهجرة الاسلامية فى بلجيكا حديث عهد نسبيا ـ وعرف هذا البلد الصغير المصنع جدا افواجا اخرى من المغتربين : ايطاليون ويونانيون فى بداية القرن ثم بولونيون وتشيكيون وقت استغلال الموارد الفحمية بصفة قوية ثم اسبانيون وقت حرب اسبانيا سنة 1936 ـ وما دخل عمال افريقيا الشمالية الى بلجيكا الا بعد الحرب العالمية وخصوصا بين 1955 و 1967 ـ وتجدر الاشارة ايضا الى مشاركة بعض الجزائريين كعمال في المناجم في معركة الفحم الكبرى التى خاضتها بلجيكا غداة استقلالها فى سنة 1944 على أمل انقاذ اقتصاد ارهقه الغازى النازى بكيفية خطيرة ·

3 ـ وهذا يفسر ظاهرة ثالثة للجالية الجزائرية فى بلجيكا ـ بينما هذه الجالية شابة جدا اذ + 80 ٪ من اعضائها لا يتجاوزون 40 سنة فان 1/3 الرجال الجزائريين الذين يعيشون في بلجيكا هم عمال مناجم متقاعدون يواصلون مع ذلك نشاطات اخف فى نفس القطاع ·

وخارج هذا القطاع المنجمى نجد اغلبيـةعمال افريقيا الشمالية فى قطاع البناء والحديد ـ ونجد بعضهم فى قطاع المواصلات الذى يفـــرمنه الشبان البلجيكيون اكثر فاكثر لانه يحتـــوى على اعمال ليلية وفى يـــوم الاحـــد ·

وفى الجملة يمكننا القول بأن اغلبية عمال افريقيا الشمالية يشتغلون فى مناصب خطيـــرة وسخة وشاقة ـ يتقاضون اجرا حسنا نسبيـــاكرفاقهم البلجيكيين ـ وهذا لا يعنى ان وظيفتهم مرغوب فيها وسنرى لماذا ·

4 ـ ان الوضعية العائلية لعمال افريقيـاالشمالية غالبا ما هى صعبة ـ نصفهم عـــزاب وزيادة على ذلك فان نصفهم تقريبا متزوج هاجربدون عائلة واصبح وحيدا ·

5 ـ يجد عمال افريقيا الشمالية صعوباتجمة فى الحصول على سكن لائق وخاصـة اذا كانوا ذوى عيال ـ وهذا راجع نسبيا الى عنصرية ارباب المنازلوالشقق تلك العنصرية التىسنتحدث عنها ايضا ـ وهو راجع ايضا الى نقصان السكنالاجتماعى الذى تعانى منه بلجيكا ـ ان شركات عديدة تبنى دورا بأثمـــان بسيطـــة وتخصهاللمواطنين او لمواطنى بلدان المجموعة الاوربية ـ وفى بروكسال بالاخص فان ازمة السكن جـــداوآلاف عمال افريقيا الشمالية يعيشون فى اكواخ حقيرة ·

وبصفة عامة فان اخرب الاحياء (والمعينةللهدم عن قريب) هى الوحيدة التى تسمح بايواء هؤلاء العمـــال ·

6 ـ ان تجمع عمال افريقيا الشمالية الكثيففى بعض الاحياء له نتيجة مباشرة فى المجتمـــع الدراسى لهذه الاحياء ـ فى بعض مدارس ضاحيةبروكسال او المنطقـة المنجمية بهينو Hainaut اغلبية التلاميذ هم ابناء عمال افريقيا الشمالية ·ونظـــرا للحالة الحاسمة فان التشريع المدرسى لبلجيكا لا يسمح بمواجهة هذه الحالة الشاذة ·وهكذا فانه لا توجد وسائل تعليمية تساعد ابناء عمال افريقيا الشمالية بالتكيف بصفة جدية علىالتعليم الاوروبى · كما أنه ليس لاولياء الطلبـــة ان يفرضوا تعليم الدين الاسلامى لابنائهم وبينمايسمح القانون بذلك لاولياء التلاميذ المسيحيين او البروطسطنين او اليهود ·

7 ـ وان كانت السلطات البلجيكية تنـــددبالمظاهر العنصرية وتريد ان تتبع سياسة ايجابية تجاه البلدان العربية عامة وبلدان افريقيا الشماليةخاصة فان العمال المسلمين · غالبا ما يتعرضون الى المشاكل الادارية او عدم التفهم او معارضةبعض الموظفين البلجيكيين فى الادارات المحليـة او الشـــرطة ·

8 ـ وهذا يؤدينا الى ان نتكلم على آخـــرنقطة في وصفنا : وهو جو اللامفاهمة والعنصرية المتأجحة التى غالبا ما تحوط مغتربى افريقيـــاالشمالية ·

واظن انه امـــام جمعية كهذه لا بد من الشجاعة للصعود الى العناصر والنظر فى المشكل فى افقها التاريخى :

ان المعارضة الثقافية للعالم الغربى المسيحى تجاه العالم العربى والاسلامى لقديمة منذ ظهور الاسلام • وهى توجد كذلك بصفة مستمرة كتبنا التاريخية والمدرسية • فقد تعلمت دائما ان الديانة الاسلامية ديانة غاصبة لا تسامح وان الحضارة العربية قد اضمحت وتلاشت بعد فترة قليلة من الزمن ـ وقد تعلمها ابى من قبل وجدى قبلـــه وكذلك ابوه وجده من قبل •

ومن الجدير الا نعمم ولكنه من الطريف الا نعترف بهذا الاتجاه السلبى تجاه الاسلام • ومن البديهى ان نعارض الخسائر التى احدثتها •

كما هو من الخطأ ايضا الا نعترف بأن كتابا كثيرين حاليا من بينهم مسيحيون كثيـرون يتخذون مواقف تاريخية اكثر ملائمة للحقائـــق ويتحدثون عن الاسلام باحترام الشىء الذى كان ينقص الغربيين بكثرة اولائك الذين كانوا يزعمون معرفته •

ولكن ان كان التاريخ ومن يكتبونه يتحررون اليوم من الحقد الازلى فهذا لا ينـــزع شيئا من المرض الذى وقع وهو عظيم ومختبىء بصفـــة عميقة فى العقليات الاوروبية •

ان هذا المرض لكبير جدا سيما وانه كـان يهيىء العقول بدون شعور الى ان تسيطر عليـه آفـــة اخرى واعنى بذلك الدعايـــة الصهيونية الموجودة فى الغرب منذ جيلين وقد وجـــدت فى بلادى وغيره ابواقا قوية ومضرة • وليست نيتى فى كلامى هذا التحدث عن المشكل الفلسطينى الاليم وانما التحدث عن الاقلية الاسلامية التـى تعيش فى بلجيكا وعن المشاكل التى تواجهها ـ ولا بد لي ان الاحظ ان مواضيع الدعاية الصهيونية التى تشكل حدثا مؤقتا اضيفت الى عدم تفهم اقدم يمكننا ان نقبره تنظيميا من طرف الرأى العـــام الغربى تجاه كل ما هو عربى ومسلم •

ويضاف الى ذلك ردود الفعـل الانانيـــة للجمهـــور تجاه بعض الاحداث السياســـية والاقتصادية بصورة عامة فان الرأى العام البلجيكى قد تعاطف مع الكفاح الذى خاضته الشعوب المستعمرة بغية انتزاع استقلالها السياسى • الاان الرأى العام هذا نفسه اكثر تحسسا وحقدا حين تحاول هذه الشعوب انتزاع حقوقها الاساسية فى الميدان الاقتصادى •

وان تصدر الحكومات العربية ـ والحكومة الجزائرية خاصة ـ معركة شعوب افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية التى تخوضها الآن لفرض توزيـــع اعـــدل للثروات والموارد العـــالمية ـ ان هذا التصدر اثار ردود فعل عنصرية من نـــوع جديد لاتنجو منها بلادى مع الاسف • ومما لاشك فيه ان البعض يحاول في فرنسا وبلجيكا الانتقام من العمال العرب المغتربين وان جانبا من الـــرأى

العام اكثر استعدادا لسماع مثل هذه النداءات بسبب انه لم يحط احاطة كافية باسهام اليد العاملة الاجنبية فى الاقتصاد الغربى الذى لم يكن ليستطيع الاستغناء عنها فى فترة مارس 1945 ـ 1970 على الاقل تلك هى الخطوط الكبرى لوضعية عمال شمال افريقيا فى بلجيكا · وكما قلتم فان اللوحة لايضبط عليها ولكنها تشمل بجانب ظلماتها انوارا ـ واكون ظالما لو لم ابرزها خاصة ان بعض هذه الانوار تبرهن ان شيئا اخذ يتحول فى الغرب وفى بلجيكا بوجه ادق ·

اما النقاط الايجابية فسأذكرها مبعثرة فى غير ترتيب منطقى ـ واود قبل كل شىء التأكيد على دور ودادية الجزائريين فى بلجيكا والمصالح القنصلية وسط الجالية الجزائرية ·

1 ـ على خلاف رعايا بلدان اخرى (واذكر رعايا المغرب وتركيا) فان العمال الجزائريين فى بلجيكا لايشعرون بعزلة وليسوا معزولين بالفعل وان الرئيس بومدين قد ذكر مرارا فى خطبه ان الجالية الجزائرية جزء لا يتجزأ من الجزائر وانه يتعين بناء على ذلك بذل كل الجهود بغية اعادتها الى البلاد · والاحظ ـ فيما يتعلق ببلجيكا على الاقل ـ ان الودادية تضطلع تماما بدور الوساطة بين الامة الجزائرية وبين الجالية الجزائرية المغتربة سواء نظر الى الودادية باعتبارها ملتقى ومجمعا ، او خلية دفاع او اداة تربية للشباب حيث تنظم دروسا للعربية والدين الاسلامى ومعسكرات صيفية فى ارض الجزائر نفسها ، وكذلك تربية الكهول حيث تحرض العمال على استكمال معلوماتهم المهنية والنظر الى هذا الاستكمال تبعا لحاجات الاقتصاد الجزائرى المستقبلة ، ومعنى هذا بعبارة اخرى تبعا لاعادة انخراط هؤلاء العمال فى هذا الاقتصاد ·

2 ـ النقطة الثانية البالغة الايجابية : الروح الجديدة التى تسيطر على جانب من الرأى العام البلجيكى وخاصة وسط الشباب · فهؤلاء الشباب ابعد ما يكونون عن كل فكرة عنصرية ، وان وجود عمال شمال افريقيا بجانبهم قد ايد ايمانهم هذا بالمساواة الاساسية وحرمة وكرامة كل البشر مهما يكن اصلها وماضيها الثقافى ووظيفتها الاجتماعية · وهذا التضامن النشيط بين الشباب البلجيكى وعمال شمال افريقيا يتجلى فى عدة ابنية كالمنظمات النقابية ولجان الاحياء والحركات الجامعية والمبادرات الثقافية بل والرياضية ·

وهذا التضامن يسهم فى استبعاد الاجراءات الظالمة التى قد تتخذ ضد العمال العرب من طرف السلطات الرجعية ولكنها تسهر على علاقات مودة اساسها التقدير المتبادل والتعارف ·

وعلى قدر نمو التعارف ينمو الاحترام وبقدر ما ينمو الاحترام ينمو التعارف ·

3 ـ ان هذا التضامن من صنع المسيحيين وبعض القسيسين ـ ولما كانت الجالية الاسلامية فى بلجيكا تملك بعض المساجد ـ وان كانت غير كافية ـ فقد وضع عدة قسيسين كاتوليكيين ررعاة

بروستانسطي من تلقاء انفسهم كنائسهم تحت تصرف العمال المسلمين ٠ ان عهد التبشير المسيحي قد ولى الى الابد ٠

ان الناس مختلفون ـ وهم متساوون ـ وفي نفس الوقت مختلفون ٠ اليس طبيعيا ان يخاطبوا الله في لغات وطقوس مختلفة ـ اليس حقا على من يصلي لله ان يحترم الآخرين الذين يصلون ٠

4 ـ ان السلطات العمومية نفسها ـ لها دور في بعث هذا التضامن حتى ولو اخذنا عليها حاجتها الى الجراة في المبادرات التي تتخذها ـ خاصة في ميدان التقنين لصالح الغرباء ٠

وهكذا فان آخر وزير للشغل والعمل ارناست قلين وهو احد اصدقائكم منذ امد طويل قد اتخذ عده اجراءات لمنح معتمدات لمن يتكلفون بما يسمى « الكفل » الروحي والثقافي للعمال العرب ـ وهذا فان عددا من البلديات التي انشأت مجلسا شوريا للعمال المهاجرين تود ان تشارك هؤلاء العمال الى اتخاذ القرارات البلدية بصفة اكثر مباشرة ٠

وهكذا فان عددا من النواب المتزايد عددهم يطالبون ان يمارس العمال الاجانب حقوقا سياسية زيادة على الحقوق الاقتصادية بشرط ان تكون هذه الحقوق ملائمة وسيادة الدولة ٠

5 ـ وآخر نقطة من الاحسن ملاحظتها هنا هي : ان رجال السياسة ورجال الكنيسة والجامعيين الذين يعيشون مع مشاكل الهجرة قد تراجعوا عن فكرة الاندماج ـ قد مر زمن كانت النفوس الطيبة تريد أن تساعد القادمين الجدد ان يشابهوا قدر الامكان مواطني البلد المضيف ـ ومن الممكن ان تجد هذه الارادة تبريرات حين كانت تستضيف الوافدين من نفس الثقافة اذ كانت رغبتهم الاستيطان النهائي في هذا البلد ـ وهكذا فان آلافا من الاسبانيين او الايطاليين قد استوطنوا في بلجيكا دون أمل العودة وجنسوا اولادهم بلجيكيين ـ ولكن فكره الاندماج تصبح سخيفة فيما يخص العمال العرب المسلمين والذين يعيشون هناك آملين في العودة الى الجزائر او الى المغرب يوما ما ـ فان هؤلاء العمال من الضروري ان نحترمهم في شخصيتهم الحقيقية وفي اختلافهم ٠ وما يطلبون الا اندماجا مؤقتا في مجموعة اقتصادية في حاجة اليهم وهم في حاجة اليها ٠

وفكرة الاندماج المؤقت هي التي طغت اخيرا ـ اعرف انها تناسب ارادتهم التي عبرت عنها مرارا السلطات الجزائرية ـ ومن الممكن ان اقول انها تستوحي نهائيا السياسة التي تنوى سلطات بلادي اتباعها تجاه اليد العاملة الوافدة من البلاد الصديقة وبلاد المغرب ـ اود أن اتحدث عن النقطة الاخيرة الموجودة في الموضوع الاول لاشغالكم ـ اعني واجبات رجال الاعلام وعمال مواصلة الجماهير امام الاوضاع التي سردناها امامكم بايجاز ٠

اكلمكم عن المهنة التى أمارسها وهى الصحافة وحسب رأيى ، رأى صحافى بلجيكى تجاه هجرة العمال العرب المسلمين الى بلادى ·

كنت دائما اعتبر ان مهنة الصحافة مهنة شاقة متى كانت تحتوى على الشهادة ـ كلمة شهد تحتوى اولا على الاطلاع ثم الادلاء بما نعرف ـ فكلتا الطريقتين تحتوى على عدة عقبات من الصعب جدا تحاشيها ·

كثيرا ما يقال ان الواجب الاول للصحافى ان يكون موضوعيا · وبعد ان مارست هذه المهنة عشرين سنة استطيع ان اقول ان هذا ليس صحيحا كله لسبب بسيط وهو ان الموضوعية تظهر لى مستحيلة ـ ان الصحافى ليس مؤرخا فهو فى الحق منغمس فى التاريخ الحاضر ـ شغله الاول ان يعيش فى الواقع ان يحاذى رجالا احياء انه ينفعل كرجل حي يعيش وضعيات ملموسة ـ ولو اراد ان يكون موضوعيا فهل يستطيع ؟ بالعكس عليه ان يكون نزيها ـ فالنزاهة هى عمله الاول ـ فانه لا يستطيع ان يخدع لا من يتكلم عنهم ولا من يكلم ـ كما انه لا يستطيع ان يخدع نفسه ويسقط فى افخاخ الكتابة ·

واظن ايضا ان هذا الواجب الاساسى اى النزاهة يرافقه حقان : حق الاشمئزاز وحق الابتهاج ـ واظن أننى استعملت هذين الحقين فى مادة تلائمهما ـ فكم فى الاوضاع التى وصفناها من مواضيع الاشمئزاز والابتهاج كم ظلما مسلطا على العمال المهاجرين فى شخصيتهم وهم متقبلون هذه الحياة السقيمة · كما نبتهج حين نرى ذلك التضامن الذى يقوى يوما بعد يوم بين هؤلاء العمال ومواطنى البلد المضيف ·

اظن ان واجبنا كصحافيين يستطيع ان ينحصر فى نقاط محسوسة قابلة لتغيير عقلية الرأى العام تجاه المهاجرين تغييرا جذريا اذ هو الاهم فى النهاية ـ لابد ان نذكر الى الرأى العام هذا ان اقتصادنا الغربى يحتاج الى اليد العاملة الخارجية ـ لم يجد هذا الاقتصاد ما يحتاجه من عمال فى عين المكان لذا اضطر ان يطلبها من اسواق العمل الاخرى وجلب هذه القوى الاضافية التى هو فى حاجة اليها · طبعا فان الفائدتين متلائمتين ان العمال الوافدين عند ما يعملون برضى منهم لانهم وجدوا مزايا مادية ـ ومن الجدير بالذكر فيما يخص هجرة عمال افريقيا الشمالية انها نتيجة مباشرة للاقتصاد الاستعمارى ـ لم تصنع فرنسا الجزائر ابدا لم يهمها ابدا ان توفر العمل للجميع ـ انها حولت اناسا كثيرين وجدوا انفسهم فى مناطق لم يجدوا فيها وسائل العيش كافية ـ من هنا نشأت الهجرة أى من اضطرار الانسان ان يعيش وان يعيش ذويه ـ من الاحسن تذكير هذا للرأى العام ولو لم يكن هو المسؤول ـ كما هو الامر للرأى العام البلجيكى مباشرة ولا حليف السياسة التى طبقت هذا زمنا طويلا ـ ومهما كانت اسباب الهجرة فمن واجبنا

ان نذكر الرأى العام ان العمال الوافدين عدناهم رجال ، رجال ليست عليهم واجبات فقط ولكـــن لهم حقوقا أيضا ـ رجال ليس همهم الوحيد كسب المـــال ولكن لهم اشتغالات عائلية واجتماعية وثقافية ، رجال ليس همهم الوحيد الحصول على سكن لائق (وقد رأينا انه غالبا ما لايجدونه) ولكن يحتاجون الى محيط بشرى ليساعدهم عـــلى ان يتكونوا على النطاق الخلقى والثقافى ·

لابد ان نكون ذوى شجاعة حتى نقول الى الرأى العام ان العمـــال الجزائريين المقيمين فى بلادنا لهم الحق المطلق فى ان يرددوا مع ابـــن باديس الشعارات الثلاثة : « الاسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر بلدنا » · وفى نظرى فانه لا يـــوجد أى تناقض بين ارادة تطبيق هذا الشعار وضرورة الاندماج المؤقت فى مجموعة عمل اجنبية ·

ولابد علينا كلما اقتضت الحاجة ان نذكر قيم الحضارة العربية الاسلامية وأن نضع الاسلام فى وجهـــه الحقيقى ـ طبعـــا فانه ليس على الصحافيين ان يعيدوا كتابة التاريخ ولا نظريات الفلسفة ـ ولكنه فى استطاعتهم ان يدلوا بوضوح ان هذا التاريخ قد كتب جيدا وان هذه النظريات غالبا ما كانت خاطئة ـ اتذكر خاصة مـــا تعلمته عن عقم الاسلام من الناحية العلمية وعن التناقض الموجود بين هذا الدين الموحى وتطور المعرفة · وفهمت بعدئذ انهم ارادوا ايهامى كما خدعـــوا اجيالا من التلاميذ فى الغرب ـ فهمت ان الاسلام يمكنه ان يكون قوة تحريرية وانه ما فتىء كذلك ـ وما فهمت ففى استطاعتى افهامه لغيرى اذ لدى فرصة الكتابة وأن مهنتى الشهادة ·

وحين يعلم الرأى العام فى البلد المضيف القيم الثقافية والخلقية للعمال المهاجرين جيدا فانه ستزول عدة افهام سيئة وسيقوى التضامن بين الرجال الذين تحتم عليهم الاوضـــاع الاقتصادية ان يعيشوا معـــا ·

على الصحافيين ايضا وعلى كل من يعمل فى اجهزة الاعلام ان يكشفوا عن اضطهاد العمال المهاجرين سواء من طرف ارباب العمل او مـــن طرف السلطات العامة ـ ان التجربة لتبين ان الاتهامات العامة لهذا الظلم لاجدى ومتى كـــان الرأى العام مجندا فان السلطات المعنية لابد وان تتبـــع ·

فمثل هذه الحملات يستطيع الصحافى ان يساعد العمال المهاجرين على ان يتغلبوا عـــلى عقدة الخوف التى غالبا ما تشلهم ·

وهكذا سيقطعون الصمت الذى يتخذونـــه امام الاضطهادات وسيرفضون طريقة الاستغلال الذى يحاول ان يطبق عليهم وبكيفية موجـــزة سيطالبون ويفرضـــون كرامتهم الانســـانية ـ الكرامة ـ أود ان اتم بهذه الكلمـــة ـ ان هذه الكلمة كثيرا ما كانت معدومة فى مفردات الهجرة

ـ لابد من استرجاعها ٠ اعنى كرامة العمـــال المهاجرين وعائلاتهم كما اعنـى ايضا كرامتنا ـ ان كرامة حضارة ما تقاس بمدى ما تفعله للغير ـكرامة مجتمع ما تقاس باحتـــرام من تستقبلهم عندها ـ ان كرامة الانسان تقاس بالصورة التى يسيدها على غيره ـ اعتبر العمال العرب الذين هاجروا الى بلادى كاخوانى كما اعتبر انه من واجبى كصحفى ان اكتبه ـ هذا ما وددت أن اقوله كصحفى ان اكتبه ـ هذا ما وددت ان اقوله بكل بساطـــة ٠

وضع الأقليات والجاليات عموماً والإسلامية خصوصاً

في كثير من بلدان القارات الخمس
وواجب العلماء والمفكرين، ورجال الإعلام نحوها

د. عبد الكريم سايتو
استاذ الاقتصاد
بجامعة طوكيو ـ اليابان

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الاول

امتداد الاسلام نحو الشرق :

منذ بدء دعوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الى الاسلام ـ دين الله ـ في ربوع مكة ـ وقد مر على ذلك ألف وأربعمائة سنة تقريبا ـ والاسلام ينتشر في جميع أنحاء الارض ، بالطبع ، لقد تركزت غالبية المسلمين أولا في الجزيرة العربية باعتبارها المكان الاصلي للدعوة ، ثم انتشر بعد ذلك في جميع البلاد العربية ، ثم في بلاد المغرب وايران والترك والافغانستان والباكستان والهند وبرما وتايلاند وأندونيسيا ومليزيا وسيلان ، تلك البلاد التي تكون العالم الاسلامي ، وكذلك الصين وبلاد السوفييت حيث يوجد عدد كبير من المسلمين .

فى آسيا ـ احدى قارات العالم الخمس ـيتكثف جمهور المسلمين فى الغرب ، والقليل منهم فى الشرق ، ثم أقل القليل فى الشرق الاقصى ،وحين أذكر الشرق الاقصى انما أريد مثلا الفلبين والصين بما فى ذلك هنج كنج وفورموزا وكورياواليابان · انه من الاهمية بمكان أن أقـول : ان الاسلام هو دين المساواة بين جميع الطبقـاتوجميع الاجناس فى العالم · واذن ، لم يكـن انتشاره وامتداده فى جميع أنحاء الارض بالقوةوالسيف كما يقول اعداء الاسلام ، وانما بالاخاء والسلام والمساواة ، وبخاصة كان لتلك المعـانىأثرها العجيب فى الاجزاء الشرقية من آسيـا · فلم تكن هناك جيوش أرسلت الى الصـين أوالروسيا ·

هل كانت هناك بعثات حربية أو سياسيـةبغرض دفع الناس الى الاعتقاد فى الاسلام وتفرض على الناس الدخول فيه فى مليزيا أو سومطرة أوجاوة انه من الواضح جدا ـ طبقا لتاريخ العالم الحديث ـ أن التجار العرب فى شواطىء البـلادالعربية مثل حضر موت واليمن وعمان وغيرها قد امتدت تجارتهم ـ تدريجيا ـ فى سـلاموإطمئنان وأمان عبر شواطىء البحار الشـرقية حتى وصلوا الى ميناء اتشى ، ثم الى الشمـالالغربى من سومطرة ، وأنهم استقروا هناك ثـم تزوجوا من أهالى تلك البـلاد ، وبنوا منازلهم ،وعاشوا مـع عائلاتهم هناك ، وكان اعتقادهم الراسخ فى الاسلام ومبادئه سببا فى جعـلالمواطنين يتأثرون بعقيدتهم ويقلدون طريقتهم فى الحياة ·

حينئذ انساخ الاسلام بالتدريج الى كـل أجزاء الجزيرة ، ثم الى جاوة وسايبس وسولو ثم الى مندناو (الفلبين) وهكذا ·

الفصـل الثـانى

انتشـار الاسـلام فى الشـرق الاقصـى :

1 ـ الطريق الشمالى :

بدأ الاسلام فى مكة بدعوة الرسول محمدصلى الله عليه وسلم ، ثم انتشر بعد ذلك فى كـل الانحاء · وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلمبسنوات قليلة وصل الاسلام الى العراق وايران (فارس) وازدهرت بالاسلام فى أيام الدولـةالاموية والعباسية والساسانية · وقد ذكر أيضا أنه قد اعدت بعثة وصلت فى عاصمة الصين فىدولة تانج بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بعشرين سنة فقط · وفى سنة 711 وصل محمد بنالقاسم السند (الباكستان) وفى سنة 751 هـزم مسلمو آسيا الوسطى الجيش الصينى وفتحـواالطريق الى الصين ، ومن ثم انتشرت التعاليـم والحضارة الاسلامية فى الشرق عن طريق الاجزاءالشمالية من آسيا · وفى القرن التاسـع صارت

كل منطقة التركستان دولا اسلامية • وبعد القرن العاشر وجدت كثير من الدول الاسلامية مثل الفاطمية والغزنوية (خورازم شاه الغزنوى)والسلجوقية (سلجوق) والايوبية والسلطان محمد الغرفى الافغانستان ، وقطب الدين ايبك وكذلك الامبراطورية العثمانية وكثير ، وكذلك كل المنطقة بين النهرين والاناضول والكردستان واذربيجان وفارس وخراسان وخارى وكيفا وسمرقند وطشقند وفرغانة وكشجر وبلوخستان وافغانستان والهندوس والبنجاب ودكا وبنجالا وكشمير ، وانتشر فى قلب آسيا عبر جبال تنج شان وطريق تكارا (كشجر ويرقند وخوتان) وصحراء جوبى ومنغوليا ومنشوريا ثم الى العواصم الصينية خاصة •

2 ـ الطريق الجنوبى :

فى خلال وقت قصير من فجر التاريخ الاسلامى انتشر هذا الدين الحنيف فى جميع الجزيرة العربية كما ذكر من قبل • ثم ان التجار المسلمين من الشواطىء العربية مثل اليمن وحضر موت ومسقط وعمان ذهبوا الى ايران وبلوخستان والسند والشاطىء الغربى لقارة الهند ثم الى قمة هذه القارة ثم الى سيلان أو جزر مالديف •ثم استمرت رحلاتهم فيما وراء المحيط الهندى الى برما ومليزيا وسومطرة وجاوة وبورينو وسلبس وسولو ثم الى الفلبين (منداناو) وقد ذكر أيضا أنهم وصلوا كانتون (شمال الصين) فى فجر التاريخ الاسلامى •

3 ـ انتشار الاسلام فى الصين :

لقد ورد فى تقرير صينى قديم فى عصر (دولة تانج) سنة 651 أن أول بعثة جاءت الى الصين كانت من الدولة الاسلامية (تاجيك)واستقرت فى المكان الذى هو شمال الافغانستان الآن • ومنذ هذه الزيارة أرسلت الى هناك ست وثلاثون بعثة من الدول الاسلامية • وقد حضرت هذه البعثات عن طريق الشمال ، واستقر بعضهم فى العاصمة تشانجن ، وبعضهم استقر فى يوانج تشو وهوانج تنج أو جزيرة هاى تنج •

وكان عملهم فى الغالب هو التجارة ولم يكن للتبشير الاسلامى على عكس ما تقوم به المسيحية المأجورة •

وفى دولة (سنج) من القرن العاشر الى القرن الثالث عشر نشطت حركة المرور والاتصالات بين الصين وبين المسلمين من الشمال والجنوب وكان هؤلاء المسلمون من التجار الذين استقروا فى مدن : هوانج تنج وكايفن وهانج تشو ـ الخ تلك المدن التى كانت فى الغالب موانى أو مراكز تجارية •

وقد حافظ هؤلاء التجار المسلمون على التبادل التجارى العام بين الشرق والغرب ، واتصلوا بالناس فى هذه الاماكن ، وأروهم طرق حياتهم الاسلامية ، وعلموهم الاسلام ـ ذلك الدين الصالح لكل زمان ومكان :

وفى عصر دولة (يوئن) من القرن الثالثعشر الى القرن الرابع عشر ، غزا المنغوليون كثيرا من الدول الاسلامية فى غـــرب آسيا وخربوهاتخريبا عنيفا ، ولكن ـ بدل ذلك ـ اتحدت الحدود والقيود والعادات فى امبراطورية واحدة ونتجتمع ذلك حضارة اسلامية عظيمة تحت حكم الدولة المنغولية (يوئن) ، وكان هناك اختـــلاط كثيرواتصال عظيم بينهم ، واستدعى كثير من مسلمى غرب آسيا ورقوا الى مناصب هامة فى الصيــنوفى ميادين التعليم والصناعة والتجارة والرياضة والفلـــك والتكنولوجيا والجغرافيا والطبوغرافيا ـ الخ ، ولا يستثنى من ذلك تعاليم الاسلام وطابع الحياة الاسلامية ، فقد سرت الى الناس من خلالذلك ، حتى انه ـ بعد توالى السنين ـ قد اهتدى الى الاسلام أعداد كثيرة من الصينيين ، وقـــدوجد المسئولون الصينيون أن الاسلام خير مساعد على الادارة والسياسة ، ولذلك لم يضطهدوه ·وقد ظلت كل الاراضى التى احتلها المنغوليون على اسلامها ، بل ان كثيرا من المسلمين انتشـــروانتشارا واسعا وعميقا فى الصين ·

وقد اعتنق الاســـلام الملك انانذا وجنوده ـ وعددهم مائة وخمسة وخمسون الفـا ـ كما صارت محافظات كيانج سى وسو تشوانج وطرفانفى دائرة الحكم الاسلامى ·

ولقد رقى السيد شمس الدين أحد مسلمىبخـــارى (1211 ـ 1279) كمؤسس ادارى فى منصب صينى ملائـــم ، وكان كثير من المهتدينللاســـــلام ـ خاصـــة ـ من محافظات : أنان وسوتشوانج وكيانج سى · وفى عصر عائلـــةمنج (1368 ـ 1643) تغيرت السياسة والادارة ، وعـــانى المسلمون من اضطهاد هذه الحكومة ،وواجهوا كثيرا من الصعوبات ، ولكنهم ظلــوا محافظين على دينهم تحت ضغط هذه الظروف ·ولقد حرم عليهم التزوج من الجنسيات المختلفة وأجبروا على أن يلبسوا مـــلابس على الطرازالصينى وأن يغيـــروا أسماءهم على الطريقة الصينية · على الرغم من هذه الفترة العصيبةفانهم لم يغيروا دينهم ولم يتركوا اسلامهم وظلوا محتفظين بتعاليم الاسلام وعقيدته وطريقة حياتهم·ولقد أبعدت حكومـــة منج المسلمين الى سمرقند وهامى وطرفان فى الشمال الغربى والى أماكنأخرى وسكنوا غيرهم فى أماكنهم التى أخرجوا منها · ولكن المسلمين الذين هم من أصل تركـــىأو ايــــرانى أو منغولى اختلطوا مع الطوائف الصينية على الـــــرغم من الصعوبات والعقباتالجنسية واللغوية ، وكونوا طوائف اســــلامية متعاونة تحت فكرة الاسلام ·

وقد أدى هذا الاضطهاد الحكومى الى اتحادالمسلمين وثباتهم ، كما تزوج بعضهم من بعض على اختلاف جنسيتهم حتى من الصينيين ، وكانوايتكلمون اللغة الصينية فى حياتهم اليومية ويلبسون الملابس الصينية ولكن كانت طريقة حياتهم اسلاميةمحضة ووجهة نظرهم فى الاسلام لم تتغير أبدا · ولما صارت الصين فى حكم عائلة (تشنج) 641 ،زادت الطوائف الاسلامية بالتدريج فى الصيـــن وانتشرت بالرغم من اختلاف الجنسيات ، ولكنجدت فى هذا الوقت مشكلة أخرى هى القتـــال

بين الجماعات الاسلامية وجماعـة هان القومية(مؤسسة صينية قومية) · هذا القتال انتشر فى معارك مسلحة · ولقد انتهى حكم عائلة تشنــج فى 1911 (الامبراطور هسوان) ·

لقد ورد فى التقريرات أن جمهور المسلمين فى ذاك الوقــت كـان 35،400،000 مســلما · وفى سنة 1961 أعلن التقرير الذى نشر فى بينــج تحت عنوان (مجلة القوميات فى الصين) أن جماعة المسلمين يبلغ بيانهم كالآتى :

اســم الدولة	فى سنة 1953	فى سنة 1957
هوى هوى (صينية)	300 و 559 و 3	335 و 934 و 3
فيجولس	100 و 640 و 3	205 و 901 و 3
كازاكـس	300 و 509	160 و 533
تونجانــس	700 و 155	345 و 159
كرغيــس	900 و 70	862 و 68
سراهــس	600 و 30	923 و 31
تاجكـس	499 و 14	014 و 15
أرزبكـس	600 و 13	557 و 11
بوالـــس	900 و 4	516 و 5
تراتــارس	900 و 6	371 و 4
المجموع الكلــى	799 و 005 و 8	288 و 665 و 8

4 ـ انتشار الإســلام فى الفلبين :

كانت هناك موجات اسلامية عن الطريــق الجنوبى عبر الموانى الساحلية للهند وســيلان وجزيرة مالديف وسو مطرة ثم مرت بمالكا قاصدة الى الشاطىء الشمالى لبورنيو اومارة خــلال بحر جاوة وبحر مكاسر الى المستقر الاخيـــروهو الفلبين فى ذلك الوقت ·

تتكون الفلبين من كثير من الجزائر ، ولقدنزل الاسلام أول ما نزل فى جزيرة سولو وجزيرة منداناو ثم الى لوزون فى النهاية ثم أنتشــر فى تلك المنطقة من الشرق الاقصى · لقد ورد فــى تقرير ان الشيخ مقدوم ـ وهو من مالكا ـ كــان عالما مشهورا ومفتيا وقد بذل كثيرا من المجهودات لنشر الاسلام فى مالكا حوالى سنة 1380 ، وكان هؤلاء الذين قاموا بالدور الهام فى نشر الاسلام

فى الفلبين _ فى الغالب _ تجارا مسلمين مثلهمفى ذلك مثل اخوانهم فى الصين وبخاصة هؤلاء التجار العرب الذين جاءوا من مكان بعيد مـــنحضر موت عن طريق البحر ، وقد تركوا اوطانهم ليستقروا فى هذا المكان يعلمون الاسلام ، ويليهمالحكام الوطنيون فى مناطق بحر الشمال فى شرق آسيا الذين اهتدوا للاسلام مـــع رعيتهم وقومهمجميعا ، ولقد جعلت قوة ارادتهم ذلك امرا سهلا وسريعا · وثالثا فان العلماء والغيورين عـلىالاسلام قد حضروا لزيارة هذه الاماكن وقامـوا بالتبليغ بين الكفار ·

ولقد قيل ان بعثات صوفية أيضا أرسلت منايران فى ذلك الوقت · ثم ووجه هذا التقـــدم الاسلامى المسالم فى الفلبين بهجوم عنيف اسبانىفى القرن السادس عشر · بعد هذا الهجـــوم الاسبانى بدأت ثلاثة قرون كلها حرب لحمايـــةالاسلام والامة ضد الاستعمار الاسبانى · وفى أثناء هذه الفترة الطويلة تحمل المسلمون وغيرهمعناء شديدا ولكنهم قاتلوا ببسالة · ولقد هـزم السلطان سليمان فى لوزون بســـرعة فوقعـــتالجزيرة فى أيدى الاعداء ، واخيرا حدثت معـارك عنيفة لا نهاية لها فى الاجزاء الجنوبية من منداناووسولو ، وكان من بين المقاتلين الذين اشتركوا فى هذا الجهاد السلطان بنجيان سلطـــان سولووالسلطان ديباتيان قدرتى سلطان مـــا جنداناو وداتو اقادير سلطان راناو · وبالرغم من الغاراتالاسبانية اليائسة المتتالية لم يستطيعوا أن يهزموا المسلمين الفلبينيين · واخيرا واجه الاسبانيونسوء المصير الذى حملهم على التخلى عن طموحهم الوحشى نتيجة لتأثرهم بالهزيمة فى الحــــرب الاسبانية الامريكية سنة 1898 · انه لم يكن هناك قتال أكثر عنفا وتعاسة فى تاريخ الفلبين من هذهالحرب التى كانت بينهم وبين الاسبانيين ، وحقا أنهم حموا بيضة الاسلام حماية تامة من الاعداء· انه ليس فخرا لهم فحسب ولكنه فخر كل المسلمين فى العالم من غير شك · ان نور الاسلام وحضارتهربما ازدهرت وانتشر عبيرها فى الفلبين لـــو لم تكن هذه الحرب الاسبانية ·

لم يكن المسلمون الفلبينيون سعداء ليستقبلواالامريكان بعد الاسبانيين ، ولكنهم كانوا متعبين تماما فى ذلك الوقت · وفى أثناء التسلط الامريكىأبدى المسلمون الفلبينيون مقاومة عنيفـــة لهذا التسلط ايضا ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يكسبوابسبب العدد الكثير من الامريكان وبجانب الاسلحة الفائقة الامريكية · وكان القواد الذين ماتوا فىهذه الفترة : داتو على فى سنة 1905 وجيكيرى فى 1909 وداتوا أميئتابا رديد فى 1909 وداتـــوأمبوانجوس فى 1911 ونجيب أمـــــير فى 1913 وسايبول بونجلوسيف الدين فى 1914 · وحينئـــذأصبح المسلمون تحت الادارة الامريكية والتاثير الكاثوليكى ، ثم فسدت حال المسلمين شيئا فشيئا ·وفى سنة 1945 حصل الفلبينيون على الاستقلال بعد الحرب العالمية الثانية فاتصــــل المسلمونالفلبينيون مباشــــــرة بمسلمى العالم ، وبدءوا

يستيقظون ، وفى سنة 1950 زار الفلبين جماعة التبليغ الباكستانيون ثم الشيخ شلتوت شيخ الجامع الازهر وغيرهم ، وجاءتهم المساعدات المالية والروحية من القاهرة ومكة وجاكارتا وليبيا وكوريا وغيرها ، وكذلك ايضا اختلطوا بأندونيسيا ومليزيا وهنج كنج واليابان وكوريا وغيرها ، وبدا أن مستقبل المسلمين فى الفلبين فى تحسن ولكن لسوء الحظ اقول ان هناك فى هذه الايام تصادما مستمرا بين اخواننا المسلمين وبين الجماعات المسيحية المعانين بوساطة الاداريين الحاليين ·

لقد بلغت الضحايا فى تصادم سنة 1971 كما ورد فى تقرير حكومة الفلبين اكثر من الف ، وأن ست مدن فى جنوب سان بوانجا اصبحت أشباح مدن فى سنة 1972 ، وأن عدد اللاجئين بلغ 135 و 213 شخصا ، وقد صدر هذا التقرير فى الاسبوعين الاولين من مارس سنة 1973 · وكان سبب هذا التصادم كما جاء فى التقرير هو سوء المعاملة بما فى ذلك مصادرة الاسلحة أو الارض التى أخذها المسلمون فى المناطق الاسلامية · وقام قطاع الطرق المسيحيون المدعوون (ايراجا) بمهاجمة المسلمين ، وقام المسلمون بتنظيم جماعة مسلحة لحماية انفسهم · لقد كان تعبئة الجيش والبوليس لاجل هذا الغرض دافعا الى جدية هذا الصدام · ولقد ذكر أن قائد جماعة المسلمين المسلحين هو الاستاذ نور مسوالى من جامعة الفلبين ، وامتدت مناطق القتال فى كوتاباتو وسان بوانجا ولبنجان وباسيلان وهولو ثم بعض الاماكن فى جزيرة سولو ·

ولاجل حالة المسلمين المؤسفة فى الفلبين اهتم مسلمو العالم بهذا الامر · ففى يونيو 1973 أرسلت بعثة الى الفلبين لبحث هذا الامر تضمنت اشخاصا من الافغان والسنجال والصومال ومن السعودية العربية ، ولكن لم يقل الضغط بعد ، ولايزال المسلمون هناك يعانون من اراقة الدماء ما لا يقل عن نظيره فى فلسطين · ولقد اعلن الرئيس ماركوس نفسه أن هناك مليونا من اللاجئين المشردين فى هذه المناطق · انه لشىء محزن ليس لهم فقط بل لكل جميع اخوانهم من المسلمين ولكل البشرية على هذه الارض · يجب الا نهمل هذا الامر ونضعه جانبا ، بل يجب أن نطالب بحق الانسانية لاخواننا المسلمين فى الفلبين · ولاجل ذلك نرجو من حكومة الفلبين :

1 ــ أن توقف الاعمال الهجومية التى يقوم بها الجيش والبوليس ·

2 ــ أن تقوم بعمل مهادنة بين الفريقين ·

3 ــ أن تقوم بالغاء الامتيازات التى تميز الآخرين على المسلمين ·

4 ــ أن تنشىء قانونا يبيح للمسلمين حق تملك الارض ·

5 ــ أن تقوم بتحسين النظام التعليمى لابناء المسلمين ·

6 ـ أن تنقذ المتعطلين ومن لا عمل لهم من المسلمين ·
7 ـ أن تنشىء المستشفيات والعيادات الطبية فى المناطق الاسـلامية ·
8 ـ أن تبيح لهم الاختلاط باخوانهم فى الخـارج ·

اننا يجب أن نمد أيدينا الى هؤلاء الاخوة المسلمين الفلبينيين الذين يبلغ عددهم ثلاثة ملايين على وجـه السرعة ·

5 ـ انتشار الاسـلام فى كوريا :

ان التبشير للاسلام فى كوريا لم يصل فى الوقت الحالى الى الدرجة المطلوبة شانها فى ذلك شان اليابان التى ستذكر فيما بعد ، لا عن الطريق الشمالى ولا عن الطريق الجنوبى · قد يكون من المحتمل أنه قد حدثت اتصالات معينة بواسطة الطرق الشمالية فى زمن دولة يوئن الصينية عندمـا حصل هذا الاختلاط العظيم بين الصين والاقطار الاسلامية ، ولكننا لا نستطيع أن نذكر على وجـه التحديد متى كان ذلك ·

قبل الآن فى سنة 1950 تبعا لنتيجة الحـرب الكورية قد إستقر هناك جنود أتراك من القـوات الدولية للامم المتحدة ، وهؤلاء الجنود كانـوا مسلمين يتصرفون فى حياتهم تصرفا اسلاميا ، فكان ذلك تبليغا للاسلام غير مقصـود ، وكانت هذه فرصة عظيمة ليعرف الكوريون عظمة الاسلام وأن يتأثروا بذلك فيدخلوا الاسلام واحدا بعـد الآخر · وبعد الاتراك جاء كثير من الاخوة المسلمين المسلمين من الباكستان ومليزيا والسعودية العربية وسنغافورة والافغان الى هؤلاء المسلمين · الجدد البالغ عددهم آلاف قليلة فى النصـف الجنوبى لجزيرة كوريا · وسيبقى اسم الحـاج صبرى سوه رئيس اتحاد مسلمى كوريا فى تاريخ انتشار الاسلام فى كوريا كواحد من عظمـاء الرجال · وأول مسجد الآن فى سبيله الى الاكتمال فى سيول ، وهو المسجد الذى فى سبيله بذل داتو ابراهيم السقاف (من سنغافورة) ومولانا السيدجميل (من باكستان) كثيرا من المجهود والوقت ، وما أنبله غرضا مقدسا ، واننا لنتوقع كثيرا من التقدم لجيراننا الجنوبيين فى المستقبل · ليـس عندنا أخبار فى الوقت الحالى عن المسلمين فى النصف الشمالى للجزيرة ·

6 ـ الاسلام فى هنج كنج (حذف)
7 ـ الاسلام فى فورموزا (حذف) ·

8 ـ الاسـلام فى اليابان :

ان الاتصال بين اليابان والصين وجد فعلا من عصر (تانج 618 ـ 957) عندما ظهرت أول بعثة اسلامية فى الصين ، ولكن لم يات شـىء بخصوص الاسلام من الصين الى اليابان ، وكذلك لم يحضر الزائرون المسلمون عبر البحـر الى اليابان ·

منذ ذلك الوقت الى القرن السادس عشـر لم تكن العلاقة بين البلدين متينة بسبب العقبات الطبيعية أو وعورة البحر والتصرف غير الودى من دولة يوئن تجاه المسلمين ·

وفى القرن السادس عشر بدأت رحلة البحارة الاوروبيين الى الشرق ، ولكن سياسة الحكومة اليابانية نحو اغلاق الحدود تماما منذ سنة 1639 الى سنة 1853 أوصدت جميع ابواب البلاد ، ولهذا لم تتهيأ الفرصة لتقدم الاسلام الى هذه البـلادولا للاتصال من البلد الى الخارج والعكس · فى سنة 1868 وهو عصر الامبراطور ميجى أزيحت هذه المغاليق وفتحت الابـواب على مصراعيها ودخلت الحضارة الغربية البلاد ودخل معهـــاالاسلام بواسطة الاوروبيين غير المسلمين مـــن خلال كتبهم بالاختصار · وفى سنة 1875 نشـــركتاب مترجم من الانجليزية الى اليابانية اسمـــه (سيرة النبى محمد) وربما كان هذا أول كتابفى اليابان حول الاسلام · وفى سنة 1890 زار اليابان بعثة صداقة مـــن الامبراطور العثمانى ،وكان هذا أول اختلاط بقطر اسلامى ·

وفى سنـــة 1895 بعد الحـــرب الصينية اليابانية مباشرة اعتنق الاسلام (ب· أريجـا) وكان أول مسلم فى اليابان · وفى سنة 1909 حجالبيت الحرام (ك· ياماؤكا) مع الحاج عبـــد الرشيد ابراهيم التركى ونشر كتاب (الحـــــج الى مكة) · وفى سنة 1917 أدى الحج (ا· تاناكا) وأحضر معه ثلاثة من المسلمين الاتـراك · وفىسنة 1909 لجأ الى منشوريا ثم الى اليابان مئات من مسلمى الاتراك الروسيين بعد الثورة ، وقـدقبلتهـــم اليابان كلاجئين وجعلتهم يستقرون فى اليابان · وقد باشروا حياتهم الاسلامية فى اليابانبحرية تامة مؤثرين فى اليابانيين كما استمـروا فى حفاظهم على الدين لمدة طويلة ، وقد سجلـتكتبهم المنشورة عن الاسلام الى الآن مثل (يـانى جابون محمد) ·

وهناك كتب نشرت عن الاسلام باللغــــةاليابانية مثل (قـــوة الاسلام) لمؤلفه ياماؤكا ـ و (نشاط المسلمين ومستقبل آسيا) لمؤلفه واتانابو (حياة محمد) ومؤلفه ساكاموتو ، و (تاريخ الاسلام الحديث) ومؤلفه كاواس ، و (دراســةعلى المسلمين فى الصين) ومؤلفه دازاى ···· ولكن لم يهتد الى الاسلام الا القليل جـــدا لانمؤلفى هذه الكتب المذكورة لم يكونوامن المسلمين فى الغالب · وفى هذا الوقت كان كثير من البلادالاسلامية يرزح تحت نير الاستعمار الاوروبى ، ولكن الترك وايران والافغانستان تبادلو التمثيلالدبلوماسى مع اليابان · وفى سنة 1932 أسست (جمعية التمدن الاسلامى) فى طوكيو ·

وفى سنة 1932 بنى أول مسجد فى كوبــىبأيدى التجار المسلمين الاجانب ، كما ذهب بعض الشباب اليابانى للحـج (سوزوكى ، هوساكو ،كوورى ، ياماموتو) · وفى سنة 1938 فى 12 مايو افتتح مسجد طوكيو وحضر الافتتاح الامير سيف الاسلام حسين من اليمن وعبد الوهاب داود بك

من مصر والشيخ حافظ وهبه من السعودية العربيةوكثير من الضيوف من العالم العربى والاسلامى ، وأخذ الامام المفتى عبد الرشيد ابراهيم منصبـرئيس الشرف فى حفل الافتتاح ٠

وبعد هذا الافتتاح الرسمى بثلاث سنوات وقعت الحرب الامريكية اليابانية فى المحيط الهادى ونتيجة لهذه الحرب استقلت كثير من البـلادالاسيوية ، وفى أثناء تلك الحرب اعتنق الاسلام كثير من الجنود والبحارة والمدنيين الذين عملوافى الخارج من اليابانيين حيث اتصلوا بالمسلمين وصاروا حقا مسلمين ، ولكن بعضا منهم كان قداعتنق الاسلام لاسباب حربية أو سياسية ولكنهم اختفوا بعد الحرب ٠ لقد بدأت الحركة الاسلاميةفى اليابان حقا بعد هزيمة الامبراطورية اليابانية مباشرة من غير مساعدة أو تشجيع من أى سلطةاللهم الا من المسلمين ٠ فى سنة 1952 أنشـئت جمعية للمسلمين الموجودين فى طوكيو وانتخـبالسيد صادق امايزومى كرئيس لها ، وقد أطلـق على هذه الجمعية اسم (جمعية مسلمى اليابان)وبعد ذلك سجلت هذه الجمعية فى الحكومة كجمعية قانونية مسجلة فى سنة 1968 ٠

1 ـ مركز الاسلام الحالى فى اليابان (سيشرح فى أثناء الحديث) ٠

2 ـ النشاط الحالى للجمعية (سيشرح فى أثناء الحديـث) ٠

3 ـ غرابة الدين بالنسبة لليابانيين (سيشرح فى أثنـاء الحديث) ٠

الفصـــل الثـالث

انتشار الاسلام فى مناطق الاقليات المسلمةودور المفكرين الاسلاميين :

أريد أن اتحدث عن انتشار الاسلام وتعضيده والاتحاد بين الجماعات الاسلامية فى بـــلاد الاقليات المسلمة وبخاصة فى اليابان الذى يعتبر بلدا لا أمل لنشر الدعوة الاسلامية فيه ٠

1 ـ موضوع بـث الدعـوة الاسلامية :

كل مسلم مسئول عن تبليغ الدعوة الاسلاميةفى أى مكان ٠ أستاذ التبليغ هو المسلم نفســه بصرف النظر عن جنسيته وسنه ومركزه ونوعهـ ذكرا أو أنثى ـ وتعليمه وعقله وقدرته المالية الى آخر هذه الاعتبارات ٠ أى انسان يابانى أوغير يابانى يجب أن يخصص وقتا قل أو كثـر ، طال أو قصر لهذا الغرض ٠ كل واحد قائــدتبليغ ، ويستطيع أن يعمل بنفسه أو مع غيره من الناس فمثلا : اثنان أو جماعة قلـــت أو كثرتكمنظمة أو جمعية أو اتحاد ، مسلم كشاف رحالة ـ ذكرا أو أنثى ـ ، جماعة النساء ، منظمـــةالشبــــاب ، اتحاد العمال ، اتحاد المدرسين ، جمعية الطلبة وهكذا وهكذا ـ على أي حال ، فان موضوع الدعوة وتبليغها يجب أن يكون مسئولية كل مسلم أمام الله ٠

2 ـ المبدأ الاسلامى الواضح السهـل الاساسىيجب أن يكون شعار التبليغ للدعوة ، وكل مبلـغ يجب أن يعمل باعتقاد ثابت أنه لاشـــــىء غيرالاسلام يستطيع أن يحل مشاكل العالم وان ينشر السلام الحقيقى تحت علم (الله اكبـــر) وهوالخالق القادر ، ولا يقرب الامور غير الاساسية بالتفصيل ، ولا اكراه فى الدين • وأن يجعـــلنفسه مثلا صالحا وقدرة حسنة ، وأن يشـــرح الاسلام بالحق والعدل وحب الانسانية ، وأن يكونحريصا فى حديثه وكتابته ، وأن يدرس ويتبـــع طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم فى كـــل أعماله ، وان ياخذ المثـــل المناسبة من الحديث ويستخدمها فى التبليغ للدعوة الاسلامية بين غير المسلمين •

3 ـ غـــرض التبليـغ :

جمهـــور الناس وبخاصـــة : الفقـــراءوالمحتاجين والمرضى والشباب والتلاميذ والطلبة وبخاصـــة دراسى اللغـــات الشرقية والتاريخوالارامل والاقارب والمعارف الشخصية للداعى •

4 ـ طريقـــة التبليـــغ :

أ ـ الحديث والحوار : انه مالوف وموثر ، تستطيع أن تزور من تـــريد تبليغه شخصيا فى بيته أو فى مكان عمله أو فى أى مكان ، وتخاطبهوجها لوجه ويفضل أن يكون الحديث فى مكان هادىء وتستطيع أن تستدعيه الى بيتك لتحدثـهوتتحاور معـــه •

ب ـ محاضرة أو اجتماع للشرح والتفسير : يجب أن تعد مثل هذه الاجتماعات وأن يحضر اليها من يريد التبليغ ويتحدث ويشرح المستمعينويستطيع أن يستدعى الشخص الى مكان معيـن كصالة عامة أو مدرسة أو نادى أو شركة أو مستشفى أو معبد • والمسجد افضل كل هذه الاماكن •

ج ـ الراديو والتلفزيون والسينما •

د ـ الطباعة : يطبع المطلوب تبليغه فى كتيبات أو صحف أو مجلات أسبوعية أو منشورات دورية أو كتب أو يدخل ضمن البرامج فى الكتبالمدرسية •

هـ ـ الخطابة فى الشوارع •

و ـ تعاون الاجانب المسلمين فى اليابان : العلماء الاجانب والدبلوماسيون ورجال الاعمال والطلبة والذين أرسلوا من البلاد الاســــلاميةلمساعدة الحركـة الاسلامية فى اليابان يجب أن يشتركوا فى رحلات فى جماعات لغرض تنشيط حركة التبليغ خلال البلاد •

ز ـ ارسال الطلبة المسلمين الى الاقطار الاسلامية ليدرسوا الاسلام : فى الوقت الحـــالى هناك عدد من الطلبة اليابانيين يدرسون فى مصر (الازهر ، جامعة القاهرة ، جامعة عين شمس)

وفى أندونيسيـــا والسعودية العـــربية وليبياوالباكستان وايران · واذا أمكن ففى الجــزائر والمغرب وتونس وفى البلاد الاخرى ، وهذه البلادالاخيرة طلبت فعلا ارسال بعض الطلبة ·

ح ـ الانتفاع بالطلبة الذين يتخرجون بعد عودتهم من البلاد الاجنبية :

يوجد الآن فعلا مجموعة من الطلبة اليابانيين الشباب المسلمين الذين درسوا فى الاقطـــار الاسلامية ثم رجعوا الى اليابان يعلمون فى حقــل التعليم والاعمال الاخرى · هـــؤلاء نريد أن نرغبهم فى النشاط الكلى أو الجزئى للحركة الاسلامية ·

ط ـ مبنى للنشاط الاسلامى : انه من الضرورى أن يكون هناك مبنى اسلامى لهذه الحركة ولمباشرة كـل الاعمال الاسلامية بوساطة المسلمين وايضا لاجل أن يساعد على وحدة المسلمين ·

ى ـ افتتاح مركز اسلامى فى عاصمة اليابان : المركز هو المكان الاساسى لاجتماع المسلمين ويمكن أن يؤدى فيه الصلاة والتبليغ والاصالات المختلفة والاجتماعات والاتفاقيات والنشـــــر والمحاضرة والاطلاع على الكتب فى مكتبته . ويمكن أن يضم غرفا يستعملها المحليون أو الضيوف الذين يحضرون من مختلف البلاد ، وللخدمات العامة للمسلمين وغير المسلمين جذبا لهم ، ويمكن أن يستقر المسلمون حول هذا المركز ويكونوا دولة اسلامية صغيرة أو مجتمعا اسلاميا تتمثل فيــه وحدتهم وقوتهم ·

ك ـ افتتاح مصلى : لاجل راحة المصلين واجتماع المسلمين الذين يعيشون بعيدا عن مسجد طوكيو أو كوبى أو المركز الاسلامى المتوقع بناؤهفى بعض الاماكن ، يجب أن تبنى مصليات صغيرة فى أماكن متعددة مثل توكوشيما وسنداى وفكوكا ·

ل ـ فتح مدرسة : فتح مدرسة يكون من الوسائـــل المريحة لتعليم الدين الاسلامى للاولاد والبنات المسلمين والمسلمات المحليين والاجانبفى اليابان ، وليدرس فيها المسلمون الجدد طريقة الاســـلام دراسة عملية والدروس الضروريةواللغوية والثقافية ·

م ـ افتتاح قسم اللغة العربية : اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم ، ولهذا فان فتح قســم اللغة العربية مهم جدا ، وليكن فى المركز الاسلامىأو فى الصلى أو فى حجرة لهذا العرض ·

ن ـ العيادات الطبية الخيرية : وهذا العمل أيضا يجب أن يتصل بالمركز أو فى أى مبنــى آخر ، ويخدم المرضى واليتامى والارامل ··· الخ

6 ـ ميزانية نشــر الدعوة :

فى بلاد الاقليات الاسلامية بغير استثناء يواجه المسلمون عجزا كبيرا فى ميزانية الدعوة والمسلمون عادة ليسوا أغنياء فى مثل هذه المواقف ، مع أن اليابان فى درجــة عالية من التقدم الصناعـــى ·

أ ـ يجب أن نساعد الاشخاص المسلمين أو الشركات الاسلامية لتزيد نشاطها فى ميـــدان التجارة والمال ··· الخ ،وأن تفتح شركات ومكاتب أعمال فى الخارج ليزداد التقارب وتقـــوى العلاقات وليحسن عمل المسلمين ودخلهم ، ومن ثم يمكن بسهولة أن يساهموا فى ميزانية نشــر الدعوة الاسلامية ·

ب ـ المساعدات المالية من البلاد الاسلامية·

ج ـ قبول التبرعات الاختيارية من الشركات غير المسلمة اليابانية أو الاشخاص الذين هــم أصدقاء للمسلمين أو يميلون للاسلام بدرجة معقولة فى التعاون ·

د ـ أننا نقوم بدور الوساطة بين الشركات العمالة والتجارية اليابانية والاقطار الاسلامية وذلك على أساس العمولة ·

7 ـ **الختـــام :**

كما بدأت من قبل ، لقد أغلقت الجزر اليابانية حوالى ثلاثة قرون لتمنع البعثات المسيحية وذلك لان اليابان قد علمت أنذاك أن المسيحيين يخفون غرضا آخر هو الانقلابات السياسية ·

ولو أن الاسلام دخل اليابان فى ذلك الوقـت لما منعته اليابان لانهم يعلمون أن الاســـلام ليس له طموح سياسى للتسلط على البلاد ، وتوجد الآن حرية الديـن فى الدستور اليابانى ، ولهذا فليس هناك أى عقبة أو صعوبة فى نشر أى دين ،وبالرغم من ذلك فانه توجد بعض التحيزات ضد الاسلام ، فمثلا (الاســلام دين الصحارى) أو (المسلمون يتزوجون أربع زوجات) أو (الاسلام يعنى القرآن فى يد والسيف فى اليد الاخرى) ،وربما كانت هذه من عمل بعض الشياطين ذوى المقاصد السيئة للاسلام · ويجب على اخوانـنـا فى الاقطار الاسلامية أن يكونوا حذرين من هذه الاشاعات ، ويجب أن نعمل جميعا على ازاحـة هذا التحيز من قلوب اليابانيين كما نعرف كيف نصد هجمات الاعداء الجديدة ، ولهذا الغرض يجب أن ينشأ معهد للدراسات الاسلامية بواسطة المسئولين المتخصصين من الاقطار الاســلامية ومسلمى اليابان وأصدقائهم من العلماء · انـه يلاحظ أن بعض العلماء المسلمين الذين يعلمـون فى الجامعات الاوروبية أو كندا يلقون محاضرات عن الاسلام ليس بغرض نشر الاسلام والدعايـة له حقيقة وانمـــا على العكس من ذلك وأما فى اليابان فان العلماء غير المسلمين من علماء التاريخ أو اللغات الشرقية ليس لهم قصد سىء نحـــو الاسلام ، ولذلك يجب أن نحافظ على العلاقة بيننا وبين هؤلاء العلماء ، وأن نزيح سوء الفهم ونقدم صورة حقيقية للاسلام ، فان خبرة العقول اليابانية على العموم تدل على أن قبولها للاسلام من الامور السهلة الممكنة أكثر من تقبل العقـــول المسيحية الاوروبية لـــه ·

فاذا حاولنا أن نحل مشاكلهم وعرفنا كيف نوفق بين طرق الحياة الاسلامية وطرق حياتهم فان ذلك يجعلهم يتقبلون فكرة الاسلام بسهولة ،ويصبح من المتوقع زيادة عدد المهتدين الى الاسلام من اليابانيين . اننا لنرجو أن ندعـــو العلماء والمفكرين غير المسلمين أولا بنشاط وصـــراحة ونجعلهم يفهمون فهما جـــيدا ونثير حماستهم ونجعلهم يقفون بجانب الاسلام ويصبحون مسلمين حقيقيين أخيرا .

أمر هام آخر هو كيف نحافظ على جعل المسلمين ثابتين على عقيدتهم ونزيد هذه العقيدة رسوخا . فى بلاد الاقليات الاسلامية مثل اليابان تكون جماعـــة المسلمين غير قوية والتسهيلات الاسلامية قليلة ، وهم أيضا محاطون بغير المسلمين وهناك كثير من المحرمات فى الشوارع والمنـازل ولذلك تحت ضغط هذه الظروف كلها فان الحاجة تشتد الى وجود المركز الاسلامى ليحميهم مـــن الحرام وليكون اتحادا قويا من العائلات الاسلامية حوله ، ويجب أن نحاول جعل كل الافـــراد فى العائلة مسلمين ، وأن نعد نصفا صالحا (زوجا) لكل مسلم مفرد ليكن كل الاطفال شرعيين ولنكسب زيادة المسلمين فى العدد والقوة .

دور المفكر اليوم وعلى مرّ العصور في أمته وتجاه الإنسانية في كل من قضايا الساعة وآفاق المستقبل

د· عزيـز الحبـابى
(المغـرب)
مستشار بوزارة التعليم العالى والبحث العلمى ـ الجزائر

أيها الاخـــوة

السـلام عليكـم :

1 ـ من يشرب الريح لا تشبعه الشمس

ان خريطة العالم الثالث ، والعالم الاسلامى خاصة ، خريطة اطارها الشمس ، دفئا وضياء · ولكن الضربات الشمسية قد تؤدى الى الموت اذا لم يكن داخل الدماغ سوى الفراغ · الشمـس تنعش من يحسـن التكيف معها ، وتقضى على الآخرين ، أصحاب الاتكال ، واللامبالاة ·

والناس رجلان ، واحد يقنع بضرورة التكيف ويلتزم به ، وثان لا يفقه شيئا ويعيش فى غيبة عن ذلك · ولكنهما معا مسؤلان ، **لان حيـــاةالانسان ، فى أصلها ، مسئولية** · ان الفـــرد يحاسب على أفعاله ونتائجها ، امــام ضميره ،وامام المجتمع ، وأمام القانون (الشرع) · والفرق بين الافراد ، خلقيا ومجتمعيا ، يرجع الى مقدارالوعي بتلك المسؤلية والاخلاص فى تحملها ·

فالعبارة « الخاصة والعامة » تبيان لتلك التفرقة : الجميع مسؤول ، الا أن للخاصة قدرة على فهم المسؤولية وعلى تفهيمها وتنفيذها ، وعلىمراقبة التنفيذ ، وأما العامة فهم مسؤولون ولكن لا قدرة لهم على مراقبة سير المسؤوليات وتنفيذهالانهم ليسوا من « أهل الحل والعقد » ، أى أنهم لا يعون الواجبات بكامل الوضوح ، وبالطبـــعلا يستطيعون تحملها على الوجه الاكمل ·

يغلب على ظننا أن « مسؤولية » بهذا المعنىهى ما سماه القرآن بـ « أمانة » : « انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال ، فأبينان يحملنها واشفقن منها ، وحملها الانسان» (١) ·

لولا قبول الانسان تحمل « الامانة » لما استحق خلافة الله فى الارض · فاللـــه قد اجتبى الانسان وجعل الارض تحت حضانته ، مع حـــقالتصرف فيها (2) ·

« الامانة » عظيمة ، ونتائجها خطيرة · لذاوجب أن يتسلح الانسان لها بكل ممكناته وقدراته·

هنا يتدخل التفكير ليعين على بلورة المعطيات الطبيعية والبشرية ، قصد استثمارها كمـــا يجب أن تستثمر · فالتفكير يعطى المعنى والمضمونللمكتسبات · وهى عمليات تاتى على اشكـــال وبمراحـــل ·

أولا : يشخص الامراض ويظهر ما فى المكتسبات من مساوىء ، ويتحسس ، ثانيا : ما فى الموروث من علامات الشيخوخة ليعلن عن المبادراتاللازمة للتغلب على العوائق · اذن ، مهمة المفكر الاساسية هي أن يوضح المشاكل الموضوعة ويوصــــى بالحلول المستعجلة والخطط الرئيسية لمواجهة أحداث المستقبل · أمـــا الثقافة ، فهىمجموع الوسائل المعرفية والتقنية التى يبنى عليها الاطار الذهنى والاطار التاريخى لكـل مكتسب مجتمعى أو علمى · تقدم الثقافة المعطيات التـى تمكن التفكير من فهم الظروف الانتقالية وتوجيههابحثا عن حلول مؤقتة ، فى انتظار حالات أكثـر التصاقا بالحتمية · فالسابق واللاحق ، ما هـــوموجود وما هو فى طور الوقوع ،أو يتوقـــــع حصوله ، كل ذلك أشكال من الحركة فى نموهـــاوهى تتغير ، رامية الى الاكتمال · فما هو قـــار يكون دائما جـــامدا ، والجمود يعادى نواميسالحياة · ان الثقافات تغذى الحضارة الانسانية ،

1) الاحزاب ، 72 ·

2) استخلاف الله الانسان على الارض ، انظـر فى القـــرآن : 24 ، 55 – 2 ، 30 – 38 ، 26 ، 10 ، 14 – 69 ، 7 ·

والحضارة صيرورة عبر التاريخ ، زاحفة الى الامام أو متراجعة الى الوراء ، ولكنها أبـــدا لا تعرف الوقوف والاستقرار ٠ وعنصر الصيرورة الاساسى هو التغـــير فى كل مرافـــق الحياة الانتاجية والاستهلاكية ، فى تفاعل مع ما يحصل عن ذلك من تحولات فى أنماط التفكير والسلوك ٠

لذلك ، لا يمكن أن نقول أن لنا ثقافة حقيقية تغذى تفكيرا صينا يتجذر فى ما جريات المجتمع ، من سياسة واقتصاد وأخلاق و٠٠٠ فالثقافـــة حضور حال فى المجتمع ٠ انها مجموع انـــواع الكفاح الذى يقوم به مجموع الافراد ابتغاء تغيير فى كيفيات الحياة الى أحين ، وابتغاء اذاعـــة المكتسبات العلمية والتقنية والمعنوية بين الجميع ،بالتساوى ٠ فالغاية من الاكتشافات والاختراعات العلمية والتقنية هي تحقيق الكفالة والعـــدل للجميـــع ٠

استنادا الى هذا المفهوم لـ « ثقافة » يمكـن التاكيد بأن التفكير يعتمد على التاريخ ، ولكنه لا ينقب عن الماضى لذاته ٠ انه يبحث ، فى الماضى عما يعين على ترقية الحاضر ٠ أو بعبارة أوضح : يرمى التفكير الى توجيه القدرات والامكانيات ،لدى مجتمع ما نحو مستقبل أفضل ٠ تختلف ثقافة المفكر عن المعرفة التاريخية ، بأنها لا تصرف فى الماضى ، بل فى « المضـــارع » (طبقا لاصطلاح النحويين ، اى فى الحاضر والمستقبل) ، مـــع التاكيد بأن الثقافة والتاريخ للماضى لا يتناقضان ٠ فاذا كان التاريخ يبحث عما فى ماضى الامـــة من ثورة للاعتزاز بالامجاد وللتعاظم فان الثقافة الحـــق تبحث عما فى الحاضر والمستقبل من عناصر الثورة فى سبيل تنمية الطاقات البشـرية واستثمارها للصالح العام ٠ فسواء تقدمـــت الثقافة على تحول مجتمعى وهيأته ، وســـواء صاحبته ونفخت فيه من روحها أو اتـــت بعده لتوضحه ولتبلوره ، فان وجودها ضرورى فى كل الحالات ٠ ان مجتمعا بدون ثقافة مجتمع متجمد ،أى ميت ، أو فى سبيل الموت ٠ وثقافة بدون تفكير يصقلها ويوسع لها الآفاق ، ثقافة تخريف وتخدير أو على الاقل ثقافة تويـــم ٠

2 ـ « لا » النافية للصـــدق

الســؤال الآن هو :

هل الثقافة بالمفهوم السابق ، تنطبق ، حاضرا ، على الثقافة العربية الاسلامية ؟ اذا نحـــن انصفنا الواقع ، جاء الجواب مجلجلا ، مؤلما : « لا » حقـــا ، لنا مثقفون يعـــون مسؤوليتهم ويتحملونها بصدق وعن جدارة ، ولكنهم قلـــة القليل ومحاصرون بعداء مثقفين آخرين ينصبون لهم الفخاخ ، حسدا وبغضا ٠ وهؤلاء المثقفون المناوئون الحاسدون يتفرعون الى أصناف ثلاثة :

الصنف الاول يتكون من « **حمالي الثقافة** » ، مثلهم كمثـــل حمال الاسفار ٠٠٠ يتكدس فى ذاكرتهم كشكول من المعلومات ، لها أحيانا نكهة أموية أو برمكية أو أندلسية ، ولكنها غريبـــة

عن القرن العشرين · لها طرافة ، ولكن تنقصها الفاعلية والمزامنة · فهم كالذى يسير وبصـــره مركز على الخلف متجاهلا الاتجاه الامامى · هذه الفئـــــة من المثقفين ، فى تعاليها الارستقراطى المتسلخ عن الزمـــــان والمكان ، تذكرنا ببعض الصوفية · يقول أحد هؤلاء ، وهو السهل بن عبد الله : مخالطة الوالى للناس ذل ، وتفرده عنهـم عز ، وقلما رأيت وليا لله عز وجل ، الا منفردا ويحكى عن صوفى آخر ، هو ابراهيم بن اد ، انه كان يغلق بابه من خارج فيجيىء الناس فيجدونه مغلقا فيرجعون على الاعقاب ·

هذا اختيار للعزلة ، مبدا وتطبيقا ، مع تفضيلها على العمل والعقل والمصلحة العامة · وهو مخالف لما جاء فى القرآن الكريم : « والعصر ، انالانسان لفى خسر ، الا الذين **آمنـــوا وعملوا الصالحات** » ·

فالايمان مصحوب بالعمل ، والصالحات هنا غير مقيدة بتعبد ، بل تشمل كل نشاط يتوســـم فيه خيـــر ·

فلو اختار كل افراد مجتمع ما الانعزال والعزلة ، لتوقف سير الحياة ، فى كل مرافقها ، ولكان أول ضحايا هذا الوضع هم العاطلون المتطفلون ، مهما كثرت ادعيتهم وصلواتهم ، لان « الصـلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ، كما يؤكد القرآن (3) · وهل من عمل أنكر من التخلى عن الواجبات نحو الذات والاقربين والمجتمع ؟ لقد « فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما » (4) ·

لم يحتفظ التاريخ باسم مصلح غير مجرى أحداث عصره بالتسابيح فى الخلوات ، والتذرع بالدعوات ··· بل على العكس ··· فكما يؤكده أبو حامد الغزالى ، لو أن الناس زهدوا فى الدنيا : « لبطلت المعايش ، ولو بطلت لهلكوا وهلك الزهاد أيضا » (5) ·

الصنف الثانى ، « **المثقفون المرتزقة** » يعيشون من الثقافة ، أو مما يظنون انه ثقافة · مــــن فيهم المدرس ، والناشر ، وخطيب المحافل المتنوعة ، والصحفى المصاب بالاسهال الذى يكتب فى كل شيء ، والمذيع الذى يتحدث فيما يعرف وفيما يجهل ··· اننا نعيش حياة كثر فيها الزيــــف والتزييف ، ومن كثرة ما مارسنا هذا النمط من السلوك ، صرنا لا نعيه ، فاصبح عادة فينا وتطبعا لا تزيده الايام الا تأصلا · فلا غرابة أن يذهب استاذ الى قاعة التدريس ليفرغ ما تجمع عنده ، ثم يرجع الى بيته ، مثل ما يفعله بائع الخضر ، والبقـــال ، وغيرهما من التاجرين فى مـــواد الاستهلاك الاولية · نعم ، تحولت الثقافة الـــى بضاعة ، الا أنها بضاعة لا يقدر على استهلاكها

3) 29 ، 45 ·

4) قرآن : 4 ، 95 ·

5) الاحياء ، كتاب ذم الدنيا ص 1754 ·

الا المحظوظون ماديا · وكثيرا ما تستغل تلــك البضـــاعة لفائدة الانظمة القائمة ، فتجعل من المرتزقة أبواقا تسخرهم وتحتقرهم :

« من يهن ، يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت ايلام » ·

يحتوى صنف « المثقفين المرتزقة » على نماذج كثيرة عرفها اجدادنا · ومن جملة من عدها ووصفها ، محللا ناقدا ، عبد الرحمن بن خلدون وابو حامد الغزالى · يقول صاحب **احياء علوم الديــن :**

« ··· وجماعة يلتمسون اقوالا وافعالا ، يتعجب الناس منها ، حتى تنبســط قلوبهم عند مشاهدتها ، فيسخوا برفع اليد عن قليل من المال فى حال تعجب ، قد يندم بعد زوال التعجب ، ولا ينفع الندم · وذلك قد يكون بالتمسخر ، والمحاكاة والشعبذة ، والافعال المضحكة · وقد يكــون بالاشعار الغريبة ، والكلام المنثور المسجع ، مع حسن الصوت · والشعر الموزون اشد تأثيرا فى النفس ، لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلـــق بالمذاهب ، كأشعار مناقب الصحابة وفضائل أهل البيت · أو الذى يحرك داعية العشق من أهــل المجانة ، كصنعة الطبالين فى الاسواق ، وصنعة ما يشبه العوض وليس بعوض ، كبيع التعويذات والحشيش الذى يخيل بائعه أنها ادوية ، فيخدع بذلك الصبيان والجهال ، وكأصحاب القرعة والفال من المنجمين · ويدخل فى هذا الجنس الوعاظ ، والمكدون على رؤوس المنابر ، اذا لم يكن وراءهم طائل علمى ، وكان غرضهم استمالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكدية (···) **وكــل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لاجل المعيشة** » (6)

اما الصنف الثالث فيتكون من « **المثقفين الانانيين** » يجدون فى الثقافة وسائل للتسلية فيلجاون اليها ، عند الحاجة ،مثل ما يلجاون الى السجائر أو الى لعب الورق   ارضاء لنشوة خاصة · فالثقافة عندهم بدون بعد مجتمعى ، نـــوع من الزخرفة ، مثلها كمثل التوابل التى تضاف الــى الغذاء · المثقفون ، من هذا النوع ، طفيليون على المجتمع ، لانهم لا يسهمون فى تغيير أوضـــاع الشغل وأنماط الحياة ، لا يعايشون وسطهم ولا يتعمقون فى أوضاعه ليعالجوها · هنا أيضـــا نجد المقارنة بنوع من الصوفية · يقول أحدهم : « من أراد أن يسلم له دينه ويستر ح بدنه وقلبه ، فلا يلقى الناس ، فان هذا زمان وحشة ، فالعاقل من اختار فيه العزلة » ·

ان لكل الازمنة « وحشة » ، كما لكل زمان انعزاليون لا ينفعون أحـــدا ، ولكن مجموع الشعب ينفعهم · فما كان لحولقاتهم واستغفارهم ولا لوعيدهم ولو عودهم من تأثير على ســـير الامـــور ·

6) احياء علوم الدين ، كتاب ذم الدنيا ·

هل يكفى أن يقال « لا » لـ « وحشة العالم لتنمح ؟

ليست « لا » عصا سحرية · فتفضيل العزلة ، رفضا للعالم يغمس أصحابه فى غطيط مستديم ان محاولة طرد المشاكل من حسباننا ، بتناسيها أو بافكار وجودها جملة وتفصيلا ، لا يصدر الا عن درويش مغفل ، أو عن خداع غبى · وفى كلتا الحالتين ، ينبثق عن رفض العالم ومشاكله تمرد سلبى ويؤكد أن الانعزالى غير كفء للخلافةعلى هذه الارض ، غير قادر على تحمل الامانة ، لانه دون مستوى التضحيات من أجل المسؤولية ·

وبما أن المسؤولية هى أكرم ميزات الانسان ، يمكن أن نتساءل :

ما هو وضع أولائك المنعزلين الرافضين للمسؤولية التى تحدد انسانية الانسان ؟

فلنفرض أن النبي نوح اعتصم بالعزلة وزهد فى العالم ، أيام الطوفان · هل يكون عمله الا خيانة كبيرة للامانة العظمى ؟ فلو أن الله أرادلنا العزلة لتركنا فى بطون الامهات ، بل لما أوجد أرحاما وأمهات !··

فالى مثل أولئك الزهاد الـ ـ لا ـ منتمين ، يوجه القرآن هذا السؤال :

« أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلـوب يعقلـــون بها ، أو آذان يسمعون بها ؟ فانها لا تعمى الابصار ، ولكن تعمى القلوب التى فىالصدور » (7) ·

تلك هى الاصناف الثلاثة لمثقفينا · اننا لـم نفضل صنفا منها على آخر ، ولم نحاكمها ، وانما حاولنا اقتناص نتائج فاعليتها فى المجتمعالعربى الاسلامى ، سلبا وايجابا · ولم نرد رفض هذا الصنف أو الآخر ، فهى موجودة بالفعـــل ،ولها الحرية والحق فى الدفاع عن كيانها ، كمـا لنا الحق والحرية ، نحن الشعوب ، فى أن نرفضما نراه توظيفا سيئا للتفكير ولتسيير التفكير · ان الثقافة ارث حي مشترك ، والوقت يسرقنا ، لنينتظر الوقت حتى تخرج « ثقافة الحمالين » مـن فوضاها ، و « ثقافـــة المرتزقة » من الاستثمارالخاص ، و « ثقافة الطفيليين » من الانانية ·

3 ـ **الاسلام ليس استسلاما** .

تلك أصناف من مثقفينا ، تتواجد وتتآمر ، عفويا ، على عالمنا العربى الاسلامى ، لانها تمثل وتزكى ، موضوعيا ، الزيف · فلنا جامعات ،ولنا آلاف وآلاف من « العلماء » و « الاساتذة » و « الاطباء » وما لا عد له من الادباء والصحفيينومع ذلك : أين نحن مما يجب أن نكون ؟ ·

7) الحج ، 46 ·

فاما أننا غير واعين ، لا نحسن التفكيـــرفى أوضاعنا واستخلاص العبر مما كنا ومما نحن عليه ، ولا نقدر على مقارنة احوالنا باحوال امـمأخرى ، شرقا وغربا ، واما أن الاشغال الفردانية قد الهت المفكرين عن واجباتهم . فالثقافة الملتزمةهى وحدها التى تستطيع أن تغذى التفكير التقدمى أما الثقافات الاخــــرى فبضاعات للقوت ، أوللتسلية ، او للتباهى ، تخضع لقانون أســـواق العرض والطلب ، كبقية مـواد الاستهلاك ، فى أنظمة الاقتصاد الحر . فاذا جاز لنا أن نقتبس تشبيها جريئا من أبى حامد الغزالي ، قلنا : انالثقافة الـ ـ لا ـ ملتزمة مثل الطعام : « ولا فرق بين ادخال الطعام فى البطن وبين اخراجه مـــنالبطن ، فى ان كل واحد منهما ضرورة البدن ، ومن همته ما يدخل بطنه (فقط ، وبطنه هو وحدهلا غير) فقيمته ما يخرج منها » (8) .

من المجازفات أن ندعى أن العالم العربى الاسلامى لا يتوفر على مثقفين واعين . انهــــم موجودون ، ومنهم مثقفون ، حسب العرف ، ممتازون ، **ولكن وجودهم حضور فى حيز مكانى ، دون ثقل زمانى** ، بمعنى أنه وجود لا يتحرك مثل بعضالاوانى الفضية الفريدة التى تعلق فوق الجدار ، لا تصلح للعادة ولا للعبادة ، فالاحتياج اليهـــامنعدم ، بقدر ما انعدمت فيها الحركة التى تمكنها الصلاحية والاستعمال .

فعلى قلة المثقفين المسلمين (بالنسبة لسبــع مائة مليون او يزيد) يختار جلهم الصومعـــة العاجية ، ولسان حالهم يردد الآية القرآنية : « اذهب أنت وربك فقاتلا ، انا ها هنا قاعدون » ، بل ان فى مواقفهم ما يمكن أن يعبروا عنه بقولهم : « يا شعوبنا ! جاهدوا ، اعملوا ، فاننا لمنتظرون الغنائم لنقاسمكم اياها ، اذا لم نستطع الاستبدادبها كليا » ، وكذلك يفعلون .

. . .

الى أى شىء يرجع هذا ؟

ان « المفكر » عندنا تنقصه الشجاعة ، كما تنقصه خصال أخرى ، نود أن نعرضها بايجاز راجيا أن يتسع لها صدركم .

قلنا ان للانسان ، من بين بقية المخلوقات ، ميزة أولى ، هى المسؤولية ، « الامانة » العظمى ، وكلنا نعلم أن المسؤولية التزام ، ومن يقبل الالتزاميقبل ، ضمنيا ، التضحيات . انها ، مخاطـرة دائبة براحته ومصالحه . وبتعبير اســـلامى : **الثقافة جهاد** ، وكما جاء فى حديث نبوى : « أفضل جهاد كلمة حق عند حاكم ظالم » . من هم المفكرونالمسلمون الملتزمون بمنطق هذا الجهــاد ؟ ... فبدونه لن تصبح الثقافة نقدا بناء يضىء سبيلالحياة اليومية ، جذورا فى مجتمع الحاضـــر واغصانا تشق أجواء المستقبل .

8) **الاحياء** ، كتاب ذم الدنيا .

المفكر عندنا يخاف أن ينتقد ، مفضلا المجاهلة على المجابهة ، ويخاف أن ينتقد لانه لا يريد أن يرى نفسه كما يراه الغير ، وكما هو فى واقعه ٠اننا أعداء للنقد الذاتى ٠

نقطة الضعف الثانية فى طبيعة مثقفينا كونهم يرتاحون الى الصمت مـع الخنوع ، والى الصمت مع الاهانات ، عوضا عن المواقف التى يفرضها عليهم مركزهم فى المجتمع ومواقف التوجيه والتنبيه والتحذير ، دور « الرائد و « المحتسب » ٠

ليس فى امكان كل الناس أن يقوموا بدور الرقيب العام ، بدور المصلح ، يامر بالمعروف وينهى عن المنكر ٠ فالدعوة الى المعروف أو الى الابتعادعن المنكر فرض عين على كل مسلم ، لكنه فـرض تتغير كثافة المسئولية فيه حسب مقدار وضـوحوعمق المعرفة بما هو حسن وخير ، وبما هـو قبيح وشر ، وبما هو ممكن وبما هو محال ، بماالمنطق والعقل ٠ فالمفكر خاصة ، والمثقف عامة ، هو طبيعى وعقلانى ، وبما هو غير طبيعى ويخالفهو من يحسن التفرقة بين المتناقضات ويصـل الى المهارة المنهجية لتغليب جانب الفائدة عـلىجانب الضرر ٠ ولنا فى الانبياء أسوة حسنة ٠ يثبت تاريخ الاسلام أن بعثة محمد (صلعم) مـرتبمراحل ، الاولى أنه تأمل فى معنى الرسالـة ، قبل أن يقنع نفسه بوجوب القيام بالدعوة اليها ،المرحلة الثانية أخذ يقنع من حوله بضرورة الالتزام معه على نصرة المبادىء التى وصل الى صحتها ،المرحلة الثالثة ، تجاوز دعـوة أهله وعشيرته الاقربين الى كافة الناس أجمعين ، بشيرا ونذيراوسراجا منيرا تجاه الانسانية فى كـل قضايا الساعة وآفاق المستقبل ٠ ولم يركن الرسـولالكريم الى أن فى الزمان « وحشة » و « جاهلية »٠ فالنبوة لا تنصب على الماضى ٠ انها تنبىء وتنبىءبالحال والمستقبل ، وكانها نظرية مستقبلية جامعة تشمل كل أنشطة الانسان ، وتخطط لسيرته الماديةوالمعنوية والفكرية والروحية ٠ ان النبوة التزام كلي يرمى الى استثمار مجموع الامكانيات البشريةلصالح مجموع الناس ، وبما أن « العلماء ورثة الانبياء » ، لزم تحديد مفهوم « عالم مسـلمو « مفكر مسلم » ٠ يستحق هذه التسمية أو تلك ، أو هما معا ، من يركز حياته على الالتزام بفهمالاوضاع والناس ، وتقييمهم بميزان العقـل وبميزان القسط ٠ فالاصلاح الجيد ينبنى على علموعلى تفكير سديد ينطلق من قيم تنصـب على الاعمـال ، لا على العنديات ، وتنصـب ،بالخصوص ، على ما نفعله بالعنديات ٠ فلا بـد للمفكر المصلح الاصيل أن يكون عارفا باوضـاعالمجتمع الذى يرمى الى اصلاحه ، وقادرا على بلورة الشروط والطرق التى تخول الافراد وجوداانسانيا ٠ ان الثقافة ، وقد نخلها التفكير ، هى وحدهـا التى تجعلنا قادرين على التفرقة بين« الحياة النباتية » (حياة تنحصر فى التغذيـة والنوم والجنس) وبين حياة الاشخاص الخاضعةلقيم ومعايير شمولية ٠ فلكل فـرد عمر يعد بالسنوات وعمـر يتطور كيفيا ، فان هو أحسن استكمال واستعمال العمر الكيفى ، ساهم فى تغيير نوعية التاريخ البشرى ٠

معنى هذا أن الثقافة تشمل كل أوجه الافعال الانسانية فى السياسة ، والاقتصـــاد ، والتربية ، والاخبار ، والاخلاق ·

· · ·

4 ـ « يصلب الانبياء من اجل راى فلماذا لا يصلب الشعراء ؟ » (9) ·

المفكر الملتزم حيوان مجتمعى وسياسى بالطبع ، والالتزام يفرض قبول التضحيات يروى القرآن قصص الانبياء وانهم التزموا باظهار الحقيقة والدفاع عنها ، فعرفوا الاحراق (ابراهيم) والحكـم بالصلب والقتـــل (عيسى) أو النفي(موسى) ، والهجـرة (محمد) · فلنتأمل التزام ابراهيم :

« واذ قال ابراهيم لابيه آزر : أتتخذ أصناما آلهة ؟ انى أراك وقومك فى ضلال مبين ! وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ، وليكون من الموقنين · فلما جن عليه الليل ، رأى كوكبا ، قال : هذا ربى ! فلما أفل ، قال : لا أحب الآفلين · فلما رأى القمر بازغا ، قال : هذا ربى · فلما أفل قال : لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالينفلما رأى الشمس بازغة ، قال : هذا ربى ، هذا اكبر · فلما أفلت ، قال : ياقوم ، انى برىء مماتشركون ! انى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والارض حنيفًا ، وما أنا من المشركين » (10) ·

فلكى يبتعد ابراهيم عن الشرك ، « يوجه » وجهه الى الذى « فطر السماوات والارض » ، الى الله لكونه علة العلل ، اى المبدع للسماوات ، بما فيها من مرئى ومجهول ،خالق الارض ، اى الكون المادى والكائنات الحية ، ومن بينهما الانســانالحيوان المجتمعى بالفطرة · فبعد أن تأمل ابراهيم فيما عليه قومه ، لم يخف أن يصرح لابيه آزر : « انى أراك وقومك فى ضلال مبين » ·

هذا حكم دون محاباة : ابراهيم يحب أباه ، ولكنه يفضل الحقيقة ، فدفعه التزامه نحو الحقيقة الى أن يخاطر براحته ومركزه بين أهله وفى محيطه ، فسفه رأى المنحرفين ، قبل أن يعلن عـــن موقفه ، وهو موقف ناتج عن فحص وتأمل فى الواقـع ·

هكذا يجعل الاسلام العمل مرتبطا دائما بالنية التى هى توتر يجعل وعينا يقظا ، وضميرنا مترقبا لسير العمل ولنتائجه ·

· · ·

ايـــها الاخـــوة :

كل ثقافة لا تقدم معها ليست ثقافة ولا فائدة فى أصحابها · « الثقافة للثقافة » انما تجـــرد الواقع من واقعيته ، وتجعل « التفكير » تخريفا أو تدجيلا · ان الفكر ماطر بتاريخ معين ، فيـــه

9) نزار قبانى ·

10) قرآن : الانعام ، 174 ـ 179 ·

تفاعل مع جماعات بشرية فى مسيرة النمو المادىنحو الاكتفاء ، والنمو النفسانى نحو الاكتمال ٠ فالثقافة ، والعلم ، والتفكير ، وسائل لا غايات فى ذاتها ٠ ان التاريخ الانسانى نسيج تامل متواصل ، بحثا عن وسائل أنسنة الانسان ، كل انسان ٠ ذلك هو المثل الاعلى الذى ينشد تحقيقه كل تفكير سليم يقول القرآن :

« والعصر ، ان الانسان لفى خسر ، الا الذين آمنو وعملوا الصالحات ، **وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** »٠

فالتواصى بالحق هو تجنيد عام لكل الطاقات البشرية على مختلف مستويات المجتمع ، من أجل المصالح المشتركة ٠ والذى يتواصى بالحق ، أى يلزم به غيره ، لا بد أن يكون على بصيرة من هذه المسئولية ، فيصبر ويصابر ٠ لان الحياة معارك دائمة ، ولا يتغلب عليها الا كل ملتزم ، متزن ، صابر ٠

مصنف عصري لطب العين

من القرن السادس الهجري

مرشد الكحالين، لمحمد بن أسلم الغافقي

د. سعيد شيبان
استاذ طب العيون
جامعة الجزائر

– معالى وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية .

– سادتى العلماء ، سيداتى ساداتى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما معناه : (ليس المشاهد كالسامع رحم الله أخي موسى فانه حينما سمع ارتداد قومه غضب ، ولما رأى وشهد – كسر الالواح) . أو كما قال .

وتقول الحكومة الصينية : (ان رسما واحدا بشاهد خير من الف كلمة تسمع) .

فلربما تاثرت بهذين المثلين ، اذ اخترت موضوعا اقدمه لنتأمل فيه معا ـ فى هذه النقطـــة الرابعة من هذا الملتقى الكريم ـ دراسة حول مخطوط طبى عربى ٠

بفضل الله تعالى حصلت على نسخة كاملة لمخطوط طبى فـــريد من نوعـــه فيما نعلم ، وموضوعه يتعلق بتخصصى فى طب العين ٠

وان اغتباطى بتصفحه وبدراسته حملنى على تقديمه لكم ، آملا أن تشاطرونى هذه الفائـدة وهذا الاغتباط ٠

سيداتى ساداتى ،

1) لا يمكن أن يكون هذا درسا فى تاريخ الطب وانما هو محاولة للفت أنظار شبيبتنا المتعلمة لهذا الميدان المهم وهو تاريخ العلوم الذى يندرج فى تاريخ الفكر البشرى ٠

2) وغنى عن الايضاح أن عنوان هذا الحديث يجب الا يشكل اى التباس ٠

3) وليس باطراء لشخصية معينة ، فى تاريخ الطـــب اذ تنقصنا معلومات كثيرة حـــول ما سبقه وما لحقه لكي نعطى تقويما صادقا وموضوعيا لما قدمته هذه الشخصية أو تلك كمجهود خاص للتقدم العلمى فى زمانه ٠

4) وبالاحرى لا يمكن أن نقدم هذا الكتاب كنموذج يحتذى فى الممارسة الطبية فى هذا الربع الاخير من القرن الـ 20 ، أى بعد ثمانية قرون من تأليفه ، فان فعلنا هذا نكون غير صالحين لنـــرث هذا التراث ، ففى المقدمة التى كتبها الغافقى يذكر ان السبب الرئيسى فى تاليف كتابه هو اختلافه مع من سبقه ٠ ومن هم سابقوه ؟ انهما ابن سينا ، وأبو القاسم الزهراوى وما أدراك من هما ٠

ولم يصدر رأيه عن نظرية مجردة بل عن ملاحظة سريرية أو محاولة تجريبية ٠

والجدير بالملاحظة أن الغافقى سمى كتابـه « المرشد فى طب العين » لا المرشد لطبيب العين ، فانه نبراس لدراسة أمراض العين ٠ وهنا نرى من المفيد أن نسوق اليكم وصية الرازى التى ضمنها كتابه المسمى بالفصول حيث ينصح المعنيين بالطب بالتاليف فيقول :

« اذا كنت معنيا بالصناعة واحببت أن لا يفوتك ولا يشذ عليك منها شىء فاكثر جمع الكتب فى الطب ، ثم **اعمل لنفسك كتابا** فيكون كذلك كنزا عظيما وخزانة عامرة » ٠

فبهذه الوصية نفسها عمل الغافقى ٠

ففى الوقت الحاضر كل كتاب فى الطب يصير قديما بعد 10 سنوات بسبب اختراع طريقـــة جديدة للتشخيص أو للعلاج تصحح خطئا سابقا أو تحل مشكلة كانت عويصة ٠

فلماذا اذن استعملنا كلمة مصنف عصرى فى عنوان هذا الحديث ٠

1 ـ ذلك أن الثمار التى نعتبرها الآن صحيحة للتجربة البشرية لا تزال عصرية ما دامت غير منقوضة وهذا الكتاب للغافقى يشتمل على عـدد كبير من هذه النتائج ٠

ا) طريقة تصنيفية وتعليمية لا زالت ذات قيمة ٠

ب) استعراض وتحليل للامراض والاعراض لا زالت منطقية ٠

جـ) أخطاء كثيرة ولكنها كلها نتيجة لسير حر للفكر ، وبهذا الجانب يعتبر تقدما ، وهـــو مساهمة من الحضارة الاسلامية للفكر البشرى ٠

د) فكر يتصف بالدقة والامانة العلمية ، اذ نرى هذا المؤلف ينتقد تشخيصه وتنبؤه لمصيـــر المريض بمناسبة علاج رضيع عمره شهر ، ونرى كذلك كيف يعطى كل التفاصيل اللازمة لصنع آلات الجراحة ولتطبيق الطرق الجراحية تطبيقا ناجحا ٠

هـ) يتسم هذا المؤلف بالظاهرة البنائية فهو يبنى على تجربة الاقدمين وافضلهم كأنه يطبق تلك الوصية المهمة من الفيلسوف الرومانى Cicéron الذى كان يطالب بدراسة كل شىء فى افضـــل مراجعه ولدى اكبر مؤلفيه ٠

فان المكتبة الطبية لمؤلفنا تشتمل على كتـب ملكية مثل كتاب المسائل العشـــــر لحنين بن اسحاق ، والقانون فى الطب لابن سينا ، وعلى بن عيسى ، وكتب ابى القاسم الزهراوى ٠

وهو يدرسها على ضوء تجربته الشخصية وعقله الواعى ٠

2) وكفى هذا الكتاب فخرا أن يكون عصريا فى زمانه ، ولقد رأينا سابقا على أى أســاس بني هذا الكتاب بعدما درس مؤلفه احسن ما كان موجودا فى عصره ، وسنرى على الرغـــــم من ذلك وليس بعيب فيما نفهم أن مرجعا مهما قد فاته بسبب تشتت المسلمين فى زمانه ، فكتـــب الحسن بن الهيثم يظهر أنها لم تكن من مطالعاته ، ويحتمل أن الغافقى كان فى كتابــه ممارسا اكثر منه فيلسوفا حكيما ٠

3) وان الذى يضفى الصبغة العصرية لشىء ما بالنسبة لنا هو أن يكون ذلك الشىء مفيدا فى الوقت الذى نعيش فيه ٠ ولنا أن نستفيد استفادة كبيرة من دراســـة هذا الكتاب حيث نجد فيه المصطلح العلمى الاصيل ، الذى يمكننا من النسج على منوالهم من حيث تركوه بعدما انتزعـــت القوة الغاشمة الاقلام من ايديهم ، اذا أردنا فـى السبعينات من القرن الـ 20 أن نؤلف كتابا فى طب العين بالعربية ، فيكون كتاب الغافقى آخـــر مرجع علمى من الطب العربى الاسلامى فيلزم

علينا أن نسد هذا الفراغ وأن نتعرف لنقطة الانطلاق لما نعرفه من اتصال بين دمشق والاندلس ، اذ نرى آخر وأعظم كتاب من الطب العربى القديم فى الاندلس ، وأول كتاب فى الطب العربى الحديث آت من دمشق فليس لنا الا التأثر أمام هذا الجسر العملاقى الذى يبنيه القدر بين طور وطور من حياة الحضارات ٠

فهل يمكن أن نزيد أن الطب الذى يسمى بالطب الشعبى أو الطب العربى فى البلدان الاسلامية فى وقتنا الحاضر لو تمكن من استعمال كتب ذات قيمة مماثلة لقيمة كتاب الغافقى عوض تلك الكتب المتوفرة له كأمزجة من وصايا أغلبها سخيفة وبعيدة عن العقل والمعروفة « بالهارونيات » لكانت صحة المسلمين أحسن بكثير مما هى عليه الآن ٠

هذا فيما يتعلق بالمعانى أو التعاريف التى أردنا أن نعطيها لكلمة « عصرى » فى عنوان حديثنا ٠

فنحن واعون أن دراسة المخطوطات من أعمال مؤرخى العلوم بمشاركة المترجمين واللغويين والفنيين المتخصصين فى المادة المدروسة فى المخطوط ، ولكن لا بد من بداية لكل عمل ، ان ثمار الماضى من الضرورى أن يتذوقها كل جيل لنضمن التسلسل والرقى ، فكل جيل يجب عليه أن يحقق ما ترثه منه الاجيال اللاحقة ٠

ان التحليل لهذا المخطوط يرينا بصفة جلية :

بعض الاسباب فى الازدهار العلمى ، وأسبابا أخرى فى الانحطاط ، ولربما يتبين للدراسين جزء من شروط الانبعاث فى هذا الميدان على الاقل ٠

ـ ان هذا المخطوط الطبى بقى ثمانية قرون مجهولا عند المسلمين ، وله أمثال عديدة تنتظر فى مكتبات العالم من يتجه اليها ويعطى لها حقها من العناية والدرس ٠

فبعد هذه الاعتبارات ٠ وكان لا بد أن نتعرض لها أمام شباب سيكون سنه اربعين سنة فى بداية القرن 21 ٠ والذى يضطر ليستعد له كل يوم ٠

فلنستعرض على التوالى ان أردتم المعطيات حول تاريخ هذا المخطوط ، ثم حول مؤلفه ، ثم تحليلا سريعا للنص من حيث التبويب والمحتوى والاسلوب ، بمقارنة مع ما نعرفه الآن ، ثم نستخرج بعض النتائج العامة من هذا التحليل لكي نجيب عن بعض الاسئلة المطروحة فى النقطة الرابعة ٠ ففى مكتبة المستشفى الجامعى قسم العينين بكلية الطب « بستر اسبورغ » منذ ما يزيد عن 20 سنة ٠ تعرفت لاول مرة باسم الغافقى وبكتابه ، من بين المؤلفات العديدة بالالمانية والانجليزية والفرنسية ، كان هناك كتاب تحيطه هيبة كبيرة وهو ترجمة جزئية للدليل فى طب العين ، قدمها

ذلك الطبيب الشهير مؤرخ الطب العربي ـ ماكس مايرهوف ـ الذى عاش فى القاهرة وطبعت هذا الكتاب معامل صيدلية باسبانيا · فكنت مسرورا بالنظر الى صورة طبق الاصل لصفحة من المخطوط الذى زين به المترجم ترجمته لقد تصفحت هذه الترجمة متعجبا من المصطلحات ومرددا فى نفسى ان شرقنا العربى فى الناحية الحضارية ما يزال بخير وان للغة العربية فى هذه المكتبة ممثلا فليست غائبة · ومرت السنون ···

وفى سنة 1972 م شاركت فى مؤتمر دولى حول تاريخ الطب الاسلامى نظمته بميلانو الجمعية الايطالية لتاريخ الطب · فقضيت عطلتى الصيفية فى اعداد مساهمتى لهذا المؤتمر وقرأت حينئذاك كتاب « ما يرهوف » الذى وجدت نسخة منه فى مكتبة مصلحة العينين بالمستشفى الجامعى بالجزائر ثم القانون فى الطب لابن سينا ، ثم كتاب الجراحة لابى القاسم الزهراوى بترجمة « لوكلر » · ورأيت انه من المفيد أن اقارن هذه المعلومات بكتب طبية عامية شعبية مثل كتاب الرحمة فى الطب والحكمة والقصيدة الدرعية اما فى التاريخ فتصفحت كتاب «طبقات الاطباء لابن أبى اصيبعة» ، ونفح الطب فى غصن الاندلس الرطيب فى أخبار لسان الدين الخطيب للمقرى · والحلل السندسية للامير شكيب رحمه الله ·

هل تسمحو لي أن اذكر كذلك زيارات لطيفة ومؤثرة قمت بها فى بعض مساجد « جرجرة » و « تاجزيت » باحثا عن مخطوطات عساها تكون مفيدة لهذا الموضوع ـ فقدمت نتيجة عملى فى المؤتمر ، ولقد نشر من طرف مؤسسة « لورانزيني » وعقدت العزم على أن أتم هذه الدراسة ان شاء الله حينما احصل على المخطوط كله ·

بفضل الله حصلت على صورة شمسية (ميكروفيلم) من هذا المخطوط من مكتبة الاسكريال ، عن طريق المكتبة الجامعية ، فالمخطوط كله لما ينشر بعد ، ورأينا فى سجل المخطوطات المصورة ، الذى دلنا عليه الدكتور عمار طالبى ، ان مخطوطا مصورا موجودا بدار الكتب المصرية بالقاهرة وتنص النبذة التقديمية لهذا المخطوط أنه من سنة 560 هـ ·

فبمناسبة مؤتمر علمى عقد فى شهر فبراير الماضى بالقاهرة ، تمكنا من تصفح المخطوط المصور المشار اليه بمساعدة ابن الشيخ طفيش من غرداية ·

وهذا المخطوط يبدأ من المقالة السادسة · فبعد المقارنة اتضح ان هذه الصورة مماثلة للصورة الشمسية التى حصلنا عليها من مكتبة الاسكريال · ويغلب الظن ان هذه الصورة هى التى قدمها « مايرهوف » لدار الكتب المصرية ·

هذا فيما يتعلق بتاريخ النسخة ، وقد سقته اليكم كمثل لما يحتاجه تاريخ الطب من فرص واهتمام ومساعدة ·

فماذا بالمخطوط نفسه ؟ ان مخطوط الاسكريال هو كتاب مسجل تحت رقم 835 من حجـــم الثمن ، يشمل 292 ورقة ، احرق جزء منها • فان الاوراق الاولى تتضمن كتابة بحروف لاتينيـة تصعب قراءتها •

وهناك كتابة بالعربية بحروف تختلف عن حروف المصنف ، ويقول ان هذا كتاب جليل القدر

ان الكتابة انيقة جدا فهى تقرأ بكل سهولـة ، الا فى المواضيع المحروقة ان تقسيم النص تقسيم منتظم بتوسيعات منسجمة ، فيلاحظ داخـل النص تشطيبات يجدر ذكرها ، فبعد جـل البسملات جملة « وصلى الله على سيدنا محمد » تظهر مشطوبة عليها الا فى حالة واحدة حيث كانت غير ظاهرة للمتصفح المسرع • وهذا مما يشير الى أن هذه التشطيبات لم تكن من دارس وانما من شخص اجنبى عن الدرس ، اما تاجر واما من حاكم متعصب من الكنيسة فى مرحلة الغزو الاسبانى أو كل قارئ نصرانى أو يهودى أو مسلم أجبر على أن يكتم دينه ، ففى الكتاب كذلك صور عديدة لآلات جراحة العين •

ان هذا المخطوط قد قدمت خلاصة عنه فى كتاب « لوكلر » عن تاريخ الطب العربى فى 1876 ، وتحدث عنه « هرشبرق » المؤرخ الكبير لطب العين فى المانيا ثم « ماكس مايرهوف » فى 1933 •

ــ فلننظر الآن ماذا تعرفه عن مؤلف هذا الكتاب ؟

حسب « لوكلر » و « هرشبرق » ، ان احمد بن قسوم بن اسلم الغافقى طبيب متخصص فى طب العين عاش فى القرن الـ 12 الميلادى •

وتنص النبذة الموجودة فى سجل المخطوطات بدار الكتب المصرية أن المؤلف توفى فى سنة 560 هجرية أى 1180 ميلادية • وأن نسخة منه كتبت فى « مالاقا » • ان المراجـــع التى قدمها الغافقى تظهر أنه مارس طب العين فى وقت ما بقرطبة ، وأنه حرر كتابه لفائدة ولده ، بعد تجربة كبيرة فى الصناعة • ان مايرهوف يلاحظ أن اسم الغافقى منسوب الى غافق ، وهى قلعة بضواحى قرطبة •

اننا بحثنا فى بعض الكتب المهمة لتاريخ المدينة الاسلامية بالاندلس ، مثل : نفح الطيـب ، الحلل السندسية ، طبقات الاطباء • فلم نجد اثرا لهذا المؤلف ، بالرغم أن عددا كبيرا من العلماء من اصل غافق من ولاية قرطبة ، تتحدث عنهم هذه المؤلفات التاريخية •

فابن أبى اصيبعة مثلا ، الذى كان هو نفسه طبيبا متخصصا فى طب العين يروى لنا تاريخ حياة احمد الغافقى الذى ترك كتابا حول النبات •

فبينما يعتبر البعض أحمد الغافقي ابنا لمؤلف المرشـــد فى طب العين فانه من الغريب أن يكون ابن أبى اصيبعة يجهل هذا ، أو لا يتحدث عن مثل هذا الكتاب ، مع أنه زميله فى الاختصاص.

فحينما نقرأ هذا الكتاب نتساءل هل هو النص الاصلى أم نسخـــة منه ؟ بما أنها النسخة الفريدة المعروفة حاليا ، هل أحرقت جميع النســخ الاخرى مثلما كادت تحرق هذه النسخـــة بالذات ؟

فحسب بعض الجمل يغلب الظن أنها نسخة .

وبقي هذا التاليف مجهولا فى المغرب والمشرق بسبب انقطاع الصـــلة بين الاندلس وباقى العالم الاسلامى حينئذاك .

فلنفحص الآن النص نفسه ، وقبل كل شيء عناصـره وتصميمه ، ان الكتاب يبدأ بمقدمة غنية غزيرة المعانى ويشتمل على 6 مقالات هى بالتوالى :

الادب الطبى وتعاليم الفاضل ابو قراط ، وهو المرجع اليونانى الوحيد الذى نجده فى هذا الكتاب ، ثم تشريح الراس ، ثم ما نسميه بعلم الغرائز ، ثم بعلم الامراض العام ، ثم بالادويـــة . والصيدلة الطبية . ثم تفصيل دقيق وشامل لامراض العين من أعراضها الى تشخيصها الى علاجها بالطب أو باليد والحديد، وهو الذى يسمى بعمل اليد : CHERURGE وكـــل مقالة تفتحها البسملة . والصلاة والسلام على رسول الله المشطوبة فى هذه النسخة فى جل المواضيع مثلما أشرنا اليه .

ان المقالات الست ، مقسمة بحروف أبجدية سميكة بعيدة عن الالتباس ، ان تصميم الموضوع معلن عنه فى بدء كل مقالة وكل باب ، ان هذا الجانب التعليمى البيداغوجى له قيمـــة ثابتة فى عصرنا الحاضر فى أى درجة من درجات التعليم ان التصميم الواضح له اهمية كبيرة .

ان ماكس مايرهوف فى دراسته لاول كتـــاب علمى فى طب العين وهو كتاب حنين ابـــن اسحق العشر مقالات فى العين فى القرن الثانى الهجرى ، عصـــــــر المامون . يقول ان المؤلفين اليونانيين والكتاب العرب الاولين يكررون الحديث عن المرض الواحد 3 مرات . المرة فى كتاب التشخيص فى كتاب الاعراض ثم فى كتاب العلاج . أما بعد تلك الفترة فان أساطين الطب العربى الاسلامى توصلوا الى تصميم منطقى اكثر وتعليمى اكثر الا وهو التصميم الحديث لدراسة وتعليم الامراض ككل ، فيدرس بصفة كاملة كل مرض فى مختلف جوانبه . فهذا كان تقدم كبير أحرزه الطب فى المدرسة الطبية العربية الاسلامية . فان الغافقى فى كتابه يدرس كل مرض دراسة تامة ، فالفهم ميسر والحفظ كذلك .

ففى دراسة الامراض يستعمل الغافقى تصميما تشريحيا عصريا فانه يبدأ بالاجفان ثـم الملتحمة ثم القرنية ثم البيت الامامى للعين ثم القزحية ثم العدسة ثم القسم الخلفى ، ثم المادة الزجاجية ثم الشبكية ، ثم العصب البصرى ، ثـم الجهاز الدمعى وأخيرا العضلات التابعة للعين·

فهذا تصميم يجده القارىء فى كل المصنفات الحديثة ·

هو تصميم عصرى تماما ، وقد لاحظ المؤرخ الايطالى الحكيم « سارنيلى » فى دائرة المعارف الاسلامية بأنه فى الحكم على الكتاب من وجهتنا الحديثة لا يمكن الا أن نتخيل فى تصميم التـأليف واعداد المادة نوعا من تنبؤ للفكرة الحديثة عن امراض العـين مرتبطة بالجسم كله وتابعة له بالضرورة ·

هذا فيما يتعلق بتصميم الكتاب وعرض المعلومات فماذا بمحتوى الكتاب ؟ فللمقارنة مـع الطب الاوروبى اتخذنا كمرجع كتابى « دولارى » الذى نشر فى باريس سنة 1820 وكتاب « سكاربا » الذى نشر فى « يافيا » بايطاليا فى 1821 ، ولقـد اخترنا نهاية الربع الاول للقرن التاسع عشـر الميلادى لانها المرحلة السابقة لاختراع المنظار العينى ، الذى مكن الطبيب من فحص الاجزاء الخلفية للعين أى الطبقة الشبكية وحليمة العصب البصرى وهذا الاختراع الذى حصـل على ايدى « هيلمهولتز » بالمانيا احدث ثورة جذرية فى طـب العين بعد سنة 1850 ·

ان مقدمة الكتاب ناقصة ، اذ احرقت الصفحة أو الصفحات الاولى كما قلنا ذلك مـن قبل فالذى بقي منها له قيمة كبيرة ، ان الكلمات الاولى التى بقيت لنا من حديث الغافقى هى : ابتغاء الزرع لا ابتغاء العشب ! ! ويحذر طالب الطب من الغلو فى ابتغاء الاجرة التى تفقد الثناء · فيقول لولده أنه لما بدأ دراسة هذه الصناعة لم يجد كتابا جامعا لما يحتاجه طبيب العين ويتحدث عـن المؤلفين الكبار السابقين معطيا رأيه فى كل واحـد منهم ، بفكر منتقد واضح · فهذه المقدمة تشير الى المراجع العربية الاسلامية وحدها لانها هي التى كانت لها القيمة بعدما هضمت التراث اليونانى والهندى والمصرى والفارسى القديم ولكن الغافقى يعطى مكانة كبيرة لابى قراط فى بـاب الادب الطبى ، ويتحدث عن الفاضل أبى قراط فقوانين الطب التى تفصلها المقالة الاولى بوضوح وبدقـة هو كتمان لسر المريض ، مجانية العلاج للفقراء ، واحترام الاساتذة ، فان التعبير عنها بليغ جدا ، وسيكون لها أثر لا محالة فى تحرير قوانين الطب فى بلداننا ·

ان هذا الكتاب يشرح طريقة معقولة لتكوين طبيب العين اذ يطلب منه معلومات واسعـة فى الطب وامراض العين ·

ان التشريح على ما يظهر فى هذا الكتاب لم يتقدم كثيرا ، فتلاحظ هنا كذلك ثغرة كبيرة ، اذ ما يسمى برسم ابن الهيثم غير موجود فى هذا الكتاب ، وهنا تجدر الاشارة الى أن فى مكتبـة

كلية الطب بالقاهرة يوجد مخطوط مصور فى تشريح العين ، لشمس الدين بن محمد بن الحسن الكحال المعروف « ببورد » ·

ولا أعلم ان كانت هناك دراسة له ، فمشكلة التشريح مشكلة عويصة فى كل البلدان تستلزم دراسة وافية · فهي مشكلة لم تحل بعد فى كثير من بلدان العـالم ·

ولكننا نعتبر التشريح كمادة أساسية فى تقدم الطب برغم تقدم الوسائل التعليمية الصناعية ·

أما علم الغرائز فان النظرة للمقالة ترينا أن هناك ثغرة كبيرة فى تطور العلوم فى البلدان الاسلامية ، اذ يتبين أن الغافقى لم يحصل أو لم يستفد بذلك الشرح الذى قدمه مئتا عام قبلـــه العالم الحسن بن الهيثم بالقاهرة ، اذ اوضح أن الرؤية نتيجة للاثر الحسي الذى يتركه النـور فى العين · ومعلوم ان اهل العلم قبل ابن الهيثم كانوا يدعون الرؤية لقاء بين روح يخرج مـــن الدماغ ومن العينين متجهة نحو الاشياء ، وبين الاشياء نفسها · فقـال ابن الهيثم ان الألم الذى نحس به فى الصباح حينما ننظر الى الشمس لدليل قاطع على أن عملية الابصار تتحقق بدخـــول الضوء فى العين ·

وكذلك هناك ثغرة ثانية على ما يظهر فى مخطوط الغافقى ، وهو الجزء المتعلق بالنظـــر بالعينين · اذ اخترع ابن الهيثم جهازا لفحص البصر بالعينين ، وهذا الجهاز يرسمه العالم الكبير جافال فى أحد كتبه فى 1896 ·

انه من المفيد جدا ان نتعرف لاسباب هذه الثغرات ، فاليكم قائمة من الاسباب لذلك :

1 ـ قطع العلاقات العلمية بين مصر والاندلس فى هذه المرحلة المضطربة من تاريخ السلمين·

2 ـ ان ابن الهيثم اضطر ان يتصنع الجنون ، بعدما غضبت عليه السلطة المالكـــة فى القاهرة ، حسب بعض المؤرخين ، فان صح هذا يكون مفهوما ان تبقى كتبه مهملة ولم تنشر ·

3 ـ عدم الاطلاع من طرف عامة الاطباء على العلوم الاساسية ، مثل الرياضيات والبصريات ويكون الاعتناء بهذا النوع من المؤلفات قاصرا على عدد معين من عباقرة الطـــب ، الذين كانوا يهتمون بجميع أنواع المعرفة وجميع فنون العلم ·

4 ـ رابعا واخيرا أن تكون هذه المؤلفات قد وصلت للاندلس ، ولكن الاحراق الاجرامى مثل الذى قضى على ما يقرب من 200 الف كتاب فى قرطبة ، لم يترك اثرا لهذه الكتب ·

هذا فيما يتعلق بالمقالة الثالثة ، اما المقالة الرابعة :

ان مفاهيم علم الامراض العام متأثرة بالتعليم الطبى فنجد فيها تلك الشوارع الواسعة لطب الامزجة والطبائع ، وكان هذا التصنيف اليونانى الاصل يسيطر على علاج الامراض التى ليس لها سبب ظاهر حينذاك ٠

اما المقالة الخامسة :

أما الصيدلة فهى متنوعة ، وتشتمل على الادوية والعقاقير التى جربها القدماء مع ملاحظة أن نوعا من التمييز تتصف به قائمة العقاقير التى يقدمها الغافقى ، فلتاريخ الصيدلة ان يظهر هذا التمييز !

أما المقالة السادسة وهى اكبرها فى المخطوط ، فانها ترجمت باكثريتها من طرف « ماكس مايرهوف » ٠ تدرس أمراض بصفة وافية ، سنكتفى فى اطار هذا الحديث على بعض الملاحظات التى تظهر لنا مهمة ٠

ان تفحص هذا الكتاب يرينا أن الغافقى يعطى أهمية خاصة لطب العينين عند الاطفال ، وهذا التخصص لم يقم الا مؤخرا فى العصر الحديث ٠

ان التراخو ما موصوف فى أنواع عدة حسب الظواهر السريرية ، وحسب درجة خطورته ، ان العلاج الذى يوصى به الغافقى هو اشراك الادوية المنقهة مع حك الحبوب بآلة لامسة تسمى « الوردة » ، وهذا علاج مقبول فى الحالات المتطورة ٠

ان التهاب الملتحمة المعروف بالرمد صنف وقسم الى حاد ومزمن ، والحال أن بعد مرور ستة قرون على وصية الغافقى بتقطير الادوية المعقمة فى حالة الرمد يشير أستاذ طب العينين فى باريس بشق الملتحمة ، وهذه طريقة غير ناجحة بل خطيرة ٠

ان الاستاذ « سكاربا SCARPA » من بافى فى 1821 ، ويحتمى بالمؤلفين العرب حسب تعبيره فى التقسيم السريرى لامراض الملتحمة ولعلاجها ٠

ان الكتابين الغربيين من فرنسا وايطاليا يتبعان تصنيف الغافقى ، وقائمة الامراض التى وصفها الغافقى ٠

واننا نجد بعض الاخطاء فى العلاج عند المؤلفين ما كان يقوم بها الغافقى ٠

ان « دولارى » كان فى سنة 1820 بباريس يحذر من اجراء عملية على الشعرة الا فى الحالات القصوى ، والمعروف أن العلاج الناجح الوحيد هو عمل اليد أى الجراحة ـ والغافقى يوصى بعمليتين لهذا المرض حسب تطوره مع ارشادات دقيقة ٠

ان علاج الاكياس غير منطقى فى القرن التاسع عشر اذا قارناه بالعلاج الذى يوصى بـــه الغافقى الذى يشير الى قطع الجفن من الخارج للاكياس السطحية مع خيط الجرح بخيط حريرى او بشعر امرأة ، وهذا النوع من الخيط الاحيائى يوصى به ويستعمله بعض الجراحين فى العصر الحديث لنعومته ورقته لجراحة القرنية ٠

ان السبل وهو غشاء ذو عروق يغطى القرنية يعتبره الغافقى كمرض معدى والمعروف الآن أن التراخوما الذى يسبب هذا السبل وهو عرض من أعراضه ، معد للغاية ٠

ومحاربة التراخوما ترتكز على الحيلولة بين المرض والعين السليمة ٠

ان علاج الظفر فى العين بنوعيه العادى والنوع الملتحم مشروح بغاية الدقة ، ويميز بين الظفر الحقيقى وشبه الظهر الذى يؤدى علاجه الى خطر ، ان لم يتخذ الجراح بعض الاحتياطات ٠

ويوصى الغافقى بعلاج خاص بعد العملية لكي يمنـــع الالتصاق بين الجفن والعين ، هذا الالتصاق الذى يحدث بعد العمليات الحديثة ان لم يراقب المريض بصفة جيدة ٠

ان الغافقى يعطى لنا وعلى ما يظهر لاول مرة بابا كاملا يشمل الرضوض وهي الحـوادث التى تطرأ على العين ، ويعطى لنا وسائل استخراج الاجسام الخارجية التى تاتى الى العين ٠

ان الغافقى يصف بدقة الاعراض لامراض القرنية وتجدر الملاحظة أن هذا الوصف بالعـين المجردة شيء غير سهل وهو يصف بصفة صحيحة العرض الاساسى لاختراق القرنية والذى نعلمه فى العصر الحاضر بنفس الاسلوب وهو اللطخـة السوداء تحيطها ساحة بيضاء مع تغيير شكل الحدقـة ٠

ان تشخيص المرضى المصابين بالساد وهو « الكاتاركت » يعتبـــر تقدما كبيرا بالنسبة للتشخيص الذى يشرحه ابن سينا فى القانون ٠

ان التنبؤ بمصير المريض بعد العملية يستنبطه الغافقى من انعكاسات وتفاعل الحدقة للضوء الموجه نحو العين ، ويعتبر عدم تحرك الحدقة عرضا ينبيء بعدم برء المريض ٠

انه يوصى بقدح الساد ، ولكن الطريقة الموضحة والآلات المستعملة تستدعى الاحترام بعـد قرون من عـرضها ٠

ان العلاج ما بعد العملية على الطريقة التى يوصى بها الغافقى تستدعى هذا الاحتـــرام والاعجاب اكثر فاكثر ٠

نعم ان الغافقى يطبق ضمدا على العينين ، ويلزم مريضه بالراحة التامة مدة ثلاثة أيام بدون تحرك ، مع استعمال مرهم احيائى وهو صفرة البيض وهو مادة عقيمة بدون جـــراثيم ، حينما تستعمل مباشرة وهي كذلك تحتوى على فيتامينات صالحة لالتحام الجرح « فيتامين أ » ·

من ناحية جراحة الاجفان ، ان هذا فى الكتاب تقدما ملموسا بالنسبة الى أشهر كتاب فى الجراحة فى ذلك العصر ، وهو كتاب ابو القاسم الزهراوى ·

ان استعمال بعض الازهار من نوع « البيلادون » كان معروفا لديه لتوسيع الحدقة وتغيير وقتى للون العين من أزرق الى أسود ·

ان الغافقى يوصى كذلك بوضم العين فى بعض الحالات لكي يتحسن مظهرها ، وهي خطوة فى جراحة التجميل ·

تلك هي بعض العناصر التى اقتبسناها اثناء قراءتنا للمخطوط وبصفة خاصة للجـــزء الاخير منه ، الذى ترجمه ماكس ما يرهوف ، فلا شك أن تحقيق المخطوط كله سياتى بمعلومات اضافية ·

بعدما لاحظنا محتوى هذا النص ، فلننظر الآن الى لغته ووسائل التعبير فيه ، ان اللغويين والادباء يستطيعون بدون شك أن يقولوا اكثر مما اقوله أنا فى هذا الموضوع ، أمـــا فيما يهمنى كطبيب يقوم بمجهود لتحسين لغته العربية ، فـــان الوضوح والبساطة والايجاز ودقة اللفظ هي الصفات التى لاحظتها واعجبت بها · فلغة هذا المخطوط هي لغة علمية بدون التزويقات البيانية ·

ان الطريق الذى سلكته اللغة الطبية العربية من زمان المامون والمترجمين الاولين طريـــق طويل ، ان دراسة مقارنة لكتاب حنين ابن اسحق ولكتاب الغافقى اللذان تفصلهما أربعـــة قرون لا بد أن تظهر هذا التقدم الذى حصلت عليه اللغة العـــربية فى التعبير العلمى عن التقدم الذى حققته المدارس الطبية العربية فى هذه المدة مـــن الزمن ، وهذا طبيعى جدا ·

ان قائمة المفردات والمصطلحات العلمية مهمة ، فليس فيها تلك الترادفات الضارة للتعبير العلمـــى ·

فى هذا الكتاب مثلما أشرنا اليه يستعمل الرسم كأداة تعليمية بطريقة حسنة ، ويقدم المؤلف التفاصيل اللازمة لصنع الآلات المرسومة رسما مناسبا لحجمها ·

وبعدما عرضنا محتوى هذا الكتاب وبعض امتيازات لغته ، وتعرفنا الى ما هو معروف عن مـــؤلفه ·

فهل يمكن أن نستخلص بعض الافكار لتطرح فى ميدان المناقشة حـــول عوامل الازدهار ، وأسباب الانحطاط وشروط النهضة للطب كجــزء من مقومات الحضارة عند العرب والمسلمين ؟

أما أسباب الازدهار فانها ملخصة فى الاعتبارات التى حملتنا لتسمية هذا المصنف مصنف عصرى هو الذى نعتبره عصريا فى زمننا ؟ ما الذى يبشر بميلاد الطب الحديث فى هذا المخطوط نرى أولا : التنظيم المنطقى للمعارف ـ ثانيا : التعبير بأسلوب واضح ودقيق ـ ثالثا : دراســة منتقدة للمراجع العلمية المهمة ـ رابعا : اهتمــام كبير بالملاحظة الدقيقة ـ خامسا : التجـربة الشخصية التى تمكن صاحبها من رفض الخطأ أيا كان منشؤه ٠ وهناك أخيرا تنبؤ بما ســـوف يكون فى القرن الـ 21 فى هذا الكرم الذى يتصف به الغافقى ومن معه ، بايصال العلم الى من يليه مع اعطائهم كل التفاصيل الفنية الناجحة التى قلما يعطيها كثير من العلماء فى القرن العشرين ٠

ان الطب يتطلب الملاحظة والتطبيق والمثل فالكتب وحدها لا تكفى ، ولابد من شـــيخ يريك شخوصها ، ويظهر أن الركود ثم الانحطاط آتيان من هنا ، فبعد هدم المغـــول المدارس الطبية العربية الاسلامية فى بغداد وزوال الاندلس بقيت الكتب هي العوامل الوحيدة فى التكوين الطبى فهل للكتب الا أن تكون كتبا أخرى ونسخا ؟ ابتعدت شيئا فشيئا عن حقائق الامراض الى أن وصل الطبيب الى استعمال رسوم سحرية وطلاسيم لكي يعالـــج ؟

ففى كتاب الغافقى لاتوجد بالطبيعة أية رسوم أو خطوط من هذا النوع الخرافى ٠ اذ يركز العلاج على الدواء مثلما أوصى به الرسول صلوات الله عليه وسلامه فى حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رجلا قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رســـول الله اينفع الدواء من القدر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (الدواء من القدر وهو ينفع من يشاء بما يشاء) ٠

ولقد سقت هذا الحديث لانه يفند كل الادعاءات حول ما يسمى بالاسباب العقائدية لركـود المسلمين ٠

أما السبب الثانى للانحطاط أو عدم النمو هو ما لاحظناه ان هذا الكتاب فى الطب لم يستفد من العلوم المجردة المجاورة له ، مثل البصريات لطـــــب العين ، فان اعمال ابن الهيثم انتظرت « نيوتن » و « كبلر » لكي تستعمل لفائدة المعرفة البشرية ٠

وهنا يجدر أن أؤكد أن أكبر التقدمات فى الطب حصلت بحلف العلوم الاساسية من المعامل والعلوم السريرية من المستشفيات ٠

فمثلا فى طب العين النظرات والمنظار العينى حققت تقدما عظيما فى معرفة العين وطبها ٠

فاذا اردنا أن نلخص عوامل الانحطاط أو الركود عند المسلمين بصفة عامة على ضـــوء ما وجدناه اثناء هذه الدراسة ، فسنجد سببين أساسين :

السبب الاول : القطع العمودى ، بين الاجيال الذى يحصل بهدم ما بناه الاولون أو جهله ·

وهذا الذى يعلل أن قانون ابن سيناء صـــار منسيا وترك المجال للهارونيات ·

والسبب الثانى : هو القطع الافقى بانعدام التبادل فى جيل واحد ·

وان مثل ما حصل لتراث ابن الهيثم يجمع هذين السببين ، القطع فى الزمان وفى المكان ·

أما عوامل النهضة ، فهناك عوامل معروفـــة مجربة فى تاريـــخ كثير من المدنيات والعامل الاول هو ما قام به العرب فى بغداد بين القرن الاول والثانى للهجرة فى بغداد ثم ما قام به الغرب بعد 3 قرون حيث انتبه كل لما عند غيره من كنوز وأخذ الاسباب لاستيعابها ،والاستفادة منها · ففى النصف الاول من القرن 12 نظم كبير الاساقفة Raymond Jauvetal ورشة للترجمة فى طليطلة ، وفى نفس الوقت اشرف « جيرار دو كريمون » على 86 ترجمة من الكتب العربية ، وطلب Pierre vénérable بترجمة القرآن العظيم ·

ينبغى أن نلاحظ هنا أن الغرب ما فتىء يترجم ويصحح الترجمات جيلا بعد جيل لكي يستفيد من تراث غيره ·

ولربما كان هذا سرا من أسرار نهضته المستمرة ·

ونزيد أن الغربيين قاموا بعمل مشترك ، اذ كان مثلا فى الاندلس علماء مترجمون أتـــوا من البلدان المختلفة الاوروبية ، ولكنهم استفادوا من هذا ، وكانت نهضتهم تسير مع نوع مـــن الانسجام ، اذ استمرت المراسلات بين علمائهم وتبادلوا تجاربهم ، الى وقتنا هذا ، رغم كل مـــا يمكن أن يحدث بينهم من حروب وانقسامات ·

فاذا اهتممنا فى دراسة التاريخ بالبحث عن الاخطاء التى يجب أن لا نقوم بها حاليا فـــان تصوراتنا للقرن 21 هي التى يجب أن تقود تفكيرنا وتوجه عقولنا لانه اذا كان ممكنا أن يحاكى الماضى ، فهل يمكن محاكاة المستقبل ؟

ان المهتمين بالتخطيط وبالنظريات المتعلقـــة بالمستقبل يتحدثون عن مجتمع تنتجه هذه المرحلة الصناعية التى يجتازها العالم ، ويكون هذا المجتمع ما بعد الصناعى حسب أحد هؤلاء العلمـــاء البارزين مجتمعا يكون فيه العامل الاساسي للتقدم هو التنظيم والسيطرة على أنظمة العلم النظرى وتكون فيها المؤسسات الفكرية مركز الهيكل الاجتماعى ·

ومن هنا يتضح أن تقدم العلم وهو شرط النجاة يتطلب من كل جماعة بشرية أن تساهـــم باكبر عدد ممكن فى ترقية العلم ·

وهذه المساهمة تتطلب لغة مشتركة لاكبر عدد ممكن من الناس · وتكون هذه اللغــة همزة وصل بين الناس عن طريق المترجمين ·

فان المسلمين تتلمذوا بحكم التاريخ فرادى ثم جماعات وجماهير على مدرسة الغرب فى هذا النصف الثانى من القرن 20 ، ولهذه الظاهرة ابعاد استثنائية ، نعم ان المسلمين يجب عليهم فى هذه الظروف أن لا يكتفوا بتتبع الخطوات بل يجب عليهم ان يسيطروا فى كل مرحلة على نقــل التكنولوجيا ، وتطور المنطق العلمى ·

فيظهر من هذا أن التبادل المستمر والاتصال الدائم بين مسلمى العالم أمر ضرورى لكــي يكونوا اصحاب انتاج فى الحضارة بدلا مــن أن يبقوا مستهلكين فقط ·

ومن أجل هذه المبادلات النوعية فان اللغــة العربية التى هى لغة القرآن التى اثراها علماء المسلمين عبر التاريخ قد اتاحت للشعوب الاسلامية على اختلاف اجناسها ان تتقدم بســرعة فى العلوم وتبنى بناء علميا وثقافيا جعل البشرية تترقى ·

ان هذه اللغة قادرة ــ بفضل جذورها الروحية ان تسهم فى الحاضر والمستقبل فى تقــدم الحضارة وتصبح اللغة العربية مرة أخرى وسيلة لسعادة البشــر ·

هذان العاملان : انفتاح ايجابى نشيط بالترجمة فى الاتجاهين ، والوحدة فى البحث والعمل · هذان العاملان سيضمنان ان شاء الله انبعاثا جديدا للاسلام والمسلمين ·

قبل أن اختم حديثى ، اسمحوالى أن اثير ذكرى غالية منذ 36 ســنة نظم ابى رحمه اللــه لفائدتى فى هذه المدينة « بجاية » فى مدرسة حــرة تابعة لجمعية العلماء بعد أول ســنة دراسية قضيتها فى ثانوية فرنسية بالجزائر فترة تدريبية فى اللغة العربية وفى التراث الاسلامى · عوض العطلة الصيفية حتى لا يفقدنى التعليم فى المدرسة الغربية أعز رأس مال الانسان الا وهو روحه ·

فشكرا لكم اساتذتى ·

ورحمة الله عليك ياوالدى ، فلقد اديت الامانــة ·

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بين التعصّب والإسلاميّة

أو الإسلام من خلال بعض الشخصيات في العالم المسيحي

د٠ ميغـال دى ايبـالزا
(اسبانيا)
استاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر

- معالى سيادة وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية ،
- أيها السـادة الافاضل ،
- أيها الزملاء الاعـزاء ،

قبل كل شىء أريد أن اعتذر لكم لسوء نطقى فى اللغة العربية ٠ أنا اجنبى وكالبعض منكم انى لا أتكلم جيدا هذه اللغة القيمة ٠ ولربما يوجـد هنا من يتكلمون لغتى أحسن كأنها لغتهم ٠ والى هؤلاء جميعا اعتذاراتى ان أسأت الى هذه اللغة ، وأتمنى أن نستطيع التفاهم عند الكلام عن المواضيع التاريخية التى تمس فى آن واحد بلدكم وبلدى ٠

وبالفعل سوف اتكلم عن فترة من التاريخ المشترك لمدينة بجاية وجزيرة مايورك ، تلك الجزيرة التى تلقيت فيها تربية • وان سألنا سكانها يوما عما يعرفونه عن مدينة بجاية فيجيبوا كلهم ان رامون يول مات هناك • أما المؤرخون فانهم لا يعرفون عنه ان توفى فى مدينة بجاية أم فى البحر • ولكن المايوركيين يظنون أنه مات فى هذه المدينة التى أصبحت مشهورة فى مايوركة ومدينة بجاية قديمة جدا وما زالت قائمة حتى الآن • فالمسافة بين المنطقتين 160 ميلا ولكن العلاقات التاريخية كثيرة بينهما • فلنذكر أيها السادة البعض منها :

ـ فى العصور القديمة كانت السفن الفنيقية تعبر البحر الابيض المتوسط من بجاية والجزائر متجهة الى اسبانيا فتتوقف بجزر مايورك وايبزة•

ـ عندما استقر الاسلام فى الاندلس توجه عدد كبير من المسلمين الى البقاع المقدسة لاداء فريضة الحج عن طريق البحر فتوقفوا بمايوركة وبجاية كمثل عصام الجولانى الذى فتح الجزيرة لامراء قرطبة فى أواخر القرن الثانى للهجرة •

ـ خلال الصراع السياسى الذى نشب بين فاطمى افريقيا وأمويى الاندلس فى القرن الثالث الهجرى ، كانت بجاية ومايوركة مناءين عدوين بعضهما البعض واستعملا للحروب البحرية بين الدولتين •

ـ وبعد وقت طويل أى خلال الحروب التى نشبت بين المرابطين والموحدين هيأ بنو غانية أمراء مايوركة المرابطون جيشا للكفاح ضد الموحدين فى المغرب وقد دخل هذا الجيش مدينة بجاية ومنها ابتدأ حربه ضد الموحدين فى كل المغرب الشرقى •

ـ وبعد وقت مضى عقد ملوك اراغون ومايوركة عهودا واحلافا سياسية وتجارية مع الامراء المغاربة ، تسمح لهم بالتجارة مع هذه البلدان • وقد انشأت قنصلية لمايوركة فى بجاية• أما التجارة فقد كانت مزدهرة كما كانت ، عليه منذ قرون وقرون •

ـ وفى القرن الثامن لجأ الى بجاية يهود مايوركة هربا من اضطهاد المسيحيين لهم ، ومكثوا بها تحت حماية الدين الاسلامى الذى هو دين تسامح •

ـ وخلال القرن التاسع والعاشر حاولت القوات الامبريالية لفرناد المسيحى الاراغونى والامبراطور شارل الخامس والمانيا ، أخذ المدينة فارسلوا عدة حملات من مايورك • وقد يعرف فشل هذه الحملات العسكرية •

ـ خلال العصر الحديث أى ما بين القرن العاشر والثانى عشر كان عدد كبير من سكان مايورك فى بجاية منهم المسافرون والاسرى كما وجد عدد كبير من أسرى ومسافرى بجاية فى

مايورك والجزر المجاورة . وهذه هي الفترة المؤسفة والمؤلمة فى علاقات بلدينا . حيث عرفت بالحرب المستمرة التى دامت ثلاث مائة سنة بين الجزائر واسبانيا .

ـ أما الآن ومع استرجاع الاستقلال كثر عدد الجزائريين الذين يزورون أو يعبرون مايورك كما أن المايوركيين الذين ياتون لزيارة بلدكم وهذه المدينة الجميلة هم دائما فى ازدياد ملحوظ .

ـ وأخيرا انى اتكلم لكم اليوم باسم مواطنى مايورك جيرانكم الشماليين مع ذكر السلام والاخوة السائدة بين البلدين المجاورين . هذا السلام الذى يعد آخر رباط لتواريخ عريضة مشتركة والتى تواصل سيرها نحو المستقبل مع اجمل التمانى .

فلنترك ايها المستمعون الحاضر والمستقبل ونعيد نظرة الى الماضى وبالاحرى الى رامون يول ووقته ونحو رحلاته واقامته فى بجاية حتى وفاته فى البحر بين بجاية ومايورك ـ انها تواريخ الماضى ولكن يجب التعرف عنها لانها جزء من تواريخ تظهر تارة مؤسفة وتارة مسرة ـ وهي تراث مشترك للبلدين الجارين .

ان رامون يول رجل دينى من مايورك كان فيلسوفا ، رياضيا وشاعرا ويعد من كبار وعظماء الادباء الاسبان فى اللغة الكاتالانية ، وكان رامون يول اول فيلسوف اوروبى لم يكتب باللغة اللاتينية ، ولكنه كتب باللغة الكاتالانية تلك اللغة الشعبية . جال كثيرا فى أوروبا ومصر وتونس وفى كل المغرب ، وتعرف رامون يول باهم الشخصيات لعصره فى أوروبا . وقد يلاحظ تأثر بعض المفكرين الاوروبيين بافكاره الفلسفية . كان يحسن اللغة العربية ومتأثرا بها فى مؤلفاته . وهكذا أثر رامون يول اكثر من غيره من الفلاسفة الاوروبيين فى التيار الاسلامى للفكر الاوروبى فى القرون الوسطى .

وقد كان ايضا رجلا دينا تابعا لنظام فرانسسكو . وان مثل حياته الدينية وتبشيره يرينا كيف كان يريد نشر الدين المسيحى فى كل أنحاء أوروبا وشمال افريقيا . فقد بشر رامون يول وكتب باللغة اللاتينية والكتالانية فى أوروبا وتعلم العربية من أجل التبشير والكتابة بها فى المغرب وأنشأ فى تلك الفترة فرانسسكودى أسيس النظام التبشيرى من اجل نشر الدين المسيحى فى أوروبا والعالم كله .

ان رجال الدين المسيحيين فرانسسكانيين نسبة الى فرانسسكو بشروا فى كل أوروبا بزهد وتعبد . ولكنهم كانوا يريدون التبشير وسط المسلمين الذين لم يعرفوا الدين المسيحي . فابتدات هذه الحملة التبشيرية بمشاركة سان فرانسسكو نفسه وقد كان دائما ضد الحروب الصليبية لانه كان يظن أنها عسكرية وليست دينية . ولهذا الغرض سافر الى المشرق للابتعاد عن الحروب الصليبية

ومن أجل التبشير هناك · وهكذا فقد استقبل استقبالا حارا من طرف السلطان صلاح الدين الايوبى فى مصر · فاستمع اليه السلطان باهتمام ومراعاة ورجع فرانسسكو الى أوروبا مسرورا بالاهتمام الذى تظاهرت به شخصية كصلاح الدين الايوبى · ولكنه لم يستطع اقناعه وأما تبشيره فقد كان معتدلا ومحترما بدون مهاجمة رسول الاسلام ولهذا فقد احترمه المسلمون لانهم رأوا فيه رجلا دينا يؤمن بدينه ومن أولئك الذين يطلب القرآن احترامهم ·

ولكن رجال الدين الفرانسسكانيين لم يكونوا كلهم محترمين كمؤسسهم وفى نفس الوقت أتت الى المغرب جماعة من رجال الدين ليبشروا بالمسيح ولكنهم هاجموا الرسول والدين الاسلامى ·

ـ فى 1219 انتقلت جماعة تضم 6 من رجال الدين الفرانسسكانيين من ايطاليا الى المغرب لتدعوا الناس الى الايمان بالمسيح · فعبروا ايطاليا وجنوب فرنسا ثم اسبانيا والبرتغال ووصلوا أخيرا الى اشبيلية التى كانت تحت حكم الموحدين · كانت المدينة اسلامية ولكن المسيحيين كثيرون فيها وكان الحاكم يقيم علاقات دبلوماسية حسنة مع مسيحى الشمال وخاصة مع التجار الذين يزورون المدينة ويشاركون فى تنميتها بتجارتهم ·

وعندما سكن هؤلاء ـ رجال الدين الستة ـ عند تاجر مسيحى ، وقفوا أمام باب مسجد وبدأوا التبشير · فلم يرض المسلمون بهذا وأرغموهم على السكوت فلجاوا الى الحاكم وطلب منهم ما هو هدفهم فاجابوا انهم أتوا للتبشير بالايمان وكذلك ببطلان الدين الاسلامى فسجنوا فى برج الذهب بجانب الوادى الكبير وبعد محاكمتهم سالهم الى أين يريدون أن يطردهم · نحو الشمال فى البلدان المسيحية أم الى الجنوب · أى الى المغرب فاختاروا الذهاب الى المغرب · وهكذا طردوا الى المغرب كمشوشين وان الحاكم لم يرد تطبيق حكم الاعدام رغم انهم شتموا النبى وذلك لانه ظن انهم مجانين ولان هذه الحادثة لم يسبق لها مثيل فى الاندلس ·

فى الحقيقة يلزم التكلم عن تعصب هؤلاء رجال الدين الذين لم يحترموا العقائد المسلمة · فعندما وصلوا الى المغرب خرجوا ثلاث مرات من السجن أو مطرودين فرجعوا الى عاصمة الموحدين للتبشير علانية · وان مسيحى مراكش خاصة منهم دان بيدرو البرتغالى الذى كان يعيش هناك الخليفة المستنصر بالله كانوا يريدون اقناع المسلمين أن المبشرين كانوا سريين فى تبشيرهم ومحترمين للدين الاسلامى · ولكن المسيحيين والسلطات الاسلامية كانت تخشى ثورة الشعب وأخيرا وفى 16 جانفى من 1220 قطع الخليفة نفسه رؤوس هؤلاء رجال الدين · فجمع دان بيدرو البرتغالى اجسامهم وأخذها الى أوروبا عندما رحل من المغرب ليتم أيامه فى جزيرة مايورك ·

وهنا نرى فى هذه التواريخ المؤسفة نتيجــة عدم احترام هؤلاء الرجال الدينين للاسلام وذلك أنهم كانوا لا يعرفون الدين الاسلامى واللغة العربية · ورغم هذا ارادوا التبشير فى بلد مسلم · فخلقوا اضطرابات وحاصروا المسلمين بمهاجمتهم للاسلام وشتمهم للنبي · كانوا يحملون بايمان ولكن تعصبهم الدينى لم يؤدى الى اية نتيجة ·

ولكن وضعية وحالة رجل دين فرانسسكى آخر تختلف تماما عن وضعية الرجال الســـت الاولين وهو انسالم تورميدا الذى ذهب الى تونس حوالى 1390 ، ودخل الاسلام تحت اســـم عبد الله الترجمان · ان هذه التواريخ مهمة فى العلاقات بين مايورك والمغرب فى العصور الوسطى ،

لقد ولد انسالم تورميدا فى مدينة مايورك وهو رجل دينى فرنسسكانى أيضا درس فى مايورك وليردا وبولونيا بايطاليا وعند الثلاثنيات من عمره اتجه الى تونس ليدخل الاسلام · وكان ذلك أمام السلطان التونسى وأخذ منصب ترجمان فـى جمارك ميناء تونس ومنه وصل الى منصف قائد الجمارك وشغل مناصب هامة فى الادارة المالية فى مملكة الحفصيين الذين كانوا فى قمة مجدهم وشهرتهم وقد وصلت فتوحاتهم حتى بجاية ·

ان انسالم تورميدا رجل سياسى ودينى وكذلك كاتب ذو مكانة عظيمة لانه كتب من تونـــس عدة مؤلفات باللغة الكاتالانية وبعثها الى بلاده عن طريق التجــار · وكان لهذه المؤلفات اهتماما كبيرا وأثرا عظيما · ويعتبر فى هذه اللغة كاتبا كلاسيكيا · وفى آخر حياته كتـــــب كتابا باللغة العربية وهو « تحفة الاديب فى الرد على أهل الصليب » وفيه يذكر حياته ودخوله الى الاســـــلام والامراء التونسيين الذين خدمهم ونقضه العريض للمسيحية على الخصوص هذا الدين الذى كان يعرفه جيدا لانه كان قسيسا ورجلا دينا مسيحيا ·

وكان لهذا الكتاب صدى كبيرا فى العالم العربى والاسلامى · وقـد وجدت أنا 46 مخطوطة يدوية بالعربية والتركية بين الرباط وبغداد وثـلاث منشورات بالعربية وثلاثة أخـرى بالتركية · الاخيرة منها وجدتها سنة 1970 ، أنا أظن انه المؤلف الوحيد الذى كتب بالعربية وبلغة أوروبيـــة واستطاع أن يكون فى الاثنتين · ولهذا فان حيــاة هذا الرجـــل الدينى مهمة · فرنسسكانى من مايورك استسلم وكتب بالعربية ولكنه لم يتراجـع عن ثقافته المايوركية وحافظ على علاقته الاخوية مع شخصيات من جزيرته وكتب بلغته كما كتب بالعربية وعلى نفس المستوى

ان الفترة التى جاء فيها رامون يول الى بجاية تتراوح بين تعصب الفرنسسكانيين المراكشيين واستسلام الفرنسسكانى التونسى ·

ولد رامون يول حوالى 1232 فى مايورك سنتين أو ثلاثة بعد ان احتلت الجزيرة من طـرف ملك أراغون وقد كان صاحب وســام وملازما باب الملـــك الى ان اهتدى الى الايمان وعمره 33

سنة · فترك عائلته واشغاله وراح يبذل المجهودات فى نشـــر دينه فى أوروبا بكتابته وتبشيره · وبما انه عاش وسط المسلمين اراد ايضا ان يدفـع المسلمين الى الايمان بالعقيدة المسيحية · فتعلم العربية وارغم البابا وبعض الامراء المسيحيين على انشاء مدارس تعلم اللغة العربية لكي يتعلمها المبشرون فيتعرفون على الدين الاسلامى والثقافـة العـربية ·

ورغم انه ادعى نشر المسيحية قبل كل شيء فرامون يول هو واحد من الذين أثروا فى الثقافة الاوروبية بقيم عربية من خلال كتابته ومباد هاته التربوية وهكذا الف كتاب التأمل الذى حـرره بالعربية اولا ثم بالكاتالانية · ودرس فى مختلـف جامعات أوروبا ·

ولكنه فكر أيضا فى نشر العقيدة المسيحية بين المسلمين فرحل حوالى 1280 الى المشرق عامة والى الاماكن والبقاع المقدسة المسيحية فى فلسطين · وبعد اثنتى عشرة سنـــة اتجه الى تونس وتحادث أياما وايام مع العلماء المسلمين متعقلا فى ايمانه أمامهم ومحاولا تفهـم براهنهم · وان تاثره بهذه المحادثات لايستطاع نفيها فى كتبه التى تلــت المحادثات · فتكلم دائما عن الايمان الاسلامى وصفات الله · ولا مبتدأ بالعقائد المسيحية · كما كان يعمل معلمو اللاهوتية الاوروبيين

وكانت هذه المحادثات خطيرة من جانب آخر لرامون يول · لانه اتهم أمام السلطان أنه أمعن وبالغ فى التكلم عن دينه · ولحسن حضه اقنعـت احدى الشخصيات السامية الملك بأن لا يؤخذ أمر فى شأن رامون يول وانما يلزم ارجاعه الـى أرضه وكانت حجته هي التالية : ان قتلنا هذا الرجل الذى جاء هنا للتبشير فان المسيحيين لن يقبلوا المسلمين الذين يريدون نشـــــر العقيدة الاسلامية فى اراضيهم · انها حجة غريبة ولكنها كانت فعالة واستطاعت ان تنقذ رامون يول من الهلاك فى تونس ، فرجع الى ايطاليا وحث البابا والشخصيات الكنائسية على الاهتمام بالتبشيـر عامة وبين المسلمين خاصة ·

وبعد ان واصل يكتب ويسافر فى كل انحـاء أوروبا اقدم فى الخامسة والسبعين من عمـره على القيام برحلة من جزيرة مايورك الى المغرب والى مدينة بجاية فبدأ تبشيره العلنى ومهاجمته للدين الاسلامى فالقى القاضى الحكم عليه وقال له : أى جنون سمـــح لك بمهاجمة ديننا الحنيف علنية ، فسجنه ولكنه انتظر مجيء العلماء المسلمين للتحادث معه واقناعه عن حقيقة الدين الاسلامى فاستجاب له وراح يكتب ليلا ليجمع ثمار هذه المحادثات والافكار وهكذا الف فى بجايـــة كتاب مجادلة رامون يقول المسيحى مع ···

واخيرا بعثه أمير أو حاكم بجاية فى باخرة متجهة الى مدينة بيزة بايطاليا · وهكذا واصل هذا العجوز الذى لا يخضع لشيء كاتبا ومرتحـلا عبر كل أوروبا وكان جديرا بحقيقة الديـــن المسيحى وكان دائما فى استعداد لنشر هذا الديـن حتى عند البابا والامراء المسيحيين · ولكنه لن

يتسى المسلمين ففى 1314 رجع مرة أخرى الى بجاية وهو فى الثانية والثمانين من عمره ومنها انتقل الى تونس حيث طلب من ملك اراغون ان يرسل له ترجمانا وكاتبا يساعداه فى اعماله ، ورجع مرة أخرى الى بجاية حيث مات فى السفينة التى كانت تنقله الى مايورك ٠

وجاء فى بعض الاساطير أن رامون يول اضطهد فى بجاية وفى الحقيقة نحن لا نعلم شيئا عن آخر أيامه التى قضاها فى بجاية ٠ وان سكان مايورك يكنون له احتراما واكراما عظيمين اذ انه فى يوم الاحتفال بذكرى وفاته توضع صورته على مقدم بلدية بالمة ولقد رايتها انا عندما كنت ولدا وهكذا نرى بين تعصب بعض من زملائه الفرانسسكانيين ودخول الاسلام من طرف آخرين شخصية رامون يول العظيمة ٠ ورغم انه دافع فى بعض الاحيان عن الحروب الصليبية ككثير من رجال القرون الوسطى ٠ فقد اشتغل خاصة بالتبشير الدينى بكلامه ومؤلفاته متعلما اللغة العربية والحضارة الاسلامية ٠ وهو رجل ركز تبشيره على الحوار المنظم هكذا ومريدا ان يؤثر فى المسلمين كان المعلم اللاهوتى المسيحى الذى تأثر اكثر من غيره من المسلمين ٠ وهذا مثل لتأثير الحضارة العربية الاسلامية فى أوروبا خلال القرون الوسطى **كلها** ٠

وأنا أظن أن اهتمام رامون يول بالمسلمين وتاثيرهم فيه كان من اسبابها انه عاش فى جزيرة وسط البحر الابيض المتوسط قابلا جميع تيارات هذا البحر المشترك ٠ ولهذا الغرض نصب تمثال رامون يول فى ميناء بالمة بمايورك رمز للضيافة والاتزان ولانفتاح العقل لجميع التيارات الفكرية فى أوقات رامون يول ٠

وفيما يتعلق بانفتاح رامون يول دعونى أيها الاخوة اختم كلامى بهذه الحكاية عن هذا التمثال المشهور لميناء بالما ٠

لقد أقاموه منذ سبعة سنوات وخطر لشخصية مايوركية أن توضع جملة فى كل اللغات كتب بها رامون يول أى باللاتينية والكاتالانية والعربية ٠ هذه اللغات التى كانت لغات ثقافية فى عصره ولاختيار الجملة العربية اتصلوا بى عندما كنت استاذا بجامعة ليون بفرنسا ففكرت أنه من الاحسن ان يختارها عربى مسلم وعلى الخصوص جزائرى لان رامون يول عاش فى الجزائر وتوفى فى بجاية ٠ ولهذا الغرض عرضت الفكرة على زميلى الاستاذ آلدكتور علي مراد الذى كان له اللطف فى اختيار جملة ثمينة لرامون يول وهي « لا محبة بدون ارادة ولا ارادة بدون محبة » وأرسلها الى مايورك ٠

ولكن الجملة كانت كلها فى سطر واحد افقى أما قاعدة التمثال كانت عمودية وضحت القاعدة غير كافية لكتابة الجملة فى سطر واحد فلجأ زملائى المايوركيون الى قطع الجملة من اليسار الى اليمين أي ابتدأوها من الاخير فوضعوا أخرها فى السطر الاول ووسطها فى السطر

الثانى أما أول الجملة فوضعوه فى آخر سطر مــن البلاطة · وهكذا أصبحت الجملة غير مفهومة وغامضة فى أعين الناس ·

أما أنا فقد كنت فى جامعة ليون ولم أطلــع عن هذا الحادث · فاشتكت الناس فى مايورك قائلة أن ما كتب غامض جدا وغير مفهوم · فقــام الشخص وأتى بالفكـــرة بعـــدة مجادلات فى الصحافة قائلا أنه استشار أساتذة جامعات حذيرين بما يعملون وأنه عـــرض البلاطة على بعض العرب وأنهم فهموا المعنى العام للجملة الا أنهــم قالوا أنها تظهر غريبة شيئا ما · واستنتج أننا ترجمنا نص الجملة الى عربية العصور الوسطى ولهذا لم تفهـــم جيدا واستطاع بهذه الوسيلة أن يقضى على احتجاجات الناس ·

وبعد مدة من الزمن مررت بمايورك فرأيـت التمثال وما فعلوه بها · فتلقت الى الســـيد الجليل وقلت له أن هناك غلطة عظيمة ذات أهمية · فتعجب قائلا : أنت كذلك تشكـو الآن بعدما اقنعت الناس جميعا ان الجملة مفهومة · ولكن العلطة أصلحت ونستطلع اليوم رأى تمثال رامون يول وهو فاتح ذراعيه فى ميناء بالما · ذراعان مفتوحتان الى العالم وموجهة الى بجاية خصيصا هذه الارض التى توفي فيها ·

كل هذه الاحداث هي تواريخ العصور الوسطى ـ أما الآن فقد طرأ تغيير شامل بين بلــدى وبلدكم بين الدين الاسلامى والمسيحى ونكن جملة رامون يول التى اختارها زميلى الجزائرى علي مراد ما زالت صالحة ولها شأن فى علاقات المايوركيين مع جيرانهم سكان بجاية · واختم كلامى أيها الاخوة المستمعون قائلا : « لا محبة بدون ارادة ولا ارادة بدون محبة » ·

والسلام عليكم ·

O

مراجـــع عـــربية

البكرى (ابو عبيد الله) كتاب المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب · طبعة دى ســـلان · باريس 1965 ·

الادريسى (الشريف) كتاب نزهة المشتــاق فى اختراق الافاق · (كتــاب الاستفسار فى عجائب الابصار) · ط دى كريمير فيانا 1852 ·

الغبرينى (أبو العباس أحمد بن أحمد ···)

« عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية » طبعة الجزائر 1910 ·

ابن خلدون (عبد الرحمن) كتاب العبر ··· ج 6

الحضارة الإسلامية والنزعة الإنسانية

د· احسان عباس
استاذ الادب العربى
بالجامعة الامريكية
بيروت ـ لبنان

يذهب هانز هينرش شيدر (I) الى أن التراث اليونانى كان هو العامل الأقوى فى تكييف الحضارة الاسلامية ، وأن قبول ذلك التراث انما تم بدافع المنفعة العملية وحدها أبى ليكون وسيلة للدفاع عن الطابع الدينى لتلك الحضارة ، ومن ثم وقعت الحضارة الاسلامية أسيرة للقالب اليونانى ، ولم تستطع أن تتجه نحو النزعة الانسانية ، تلك النزعة التى كانت سر تطور الحضارة الاوروبية المتاثرة ـ كالحضارة الاسلامية ـ بالتراث اليونانى نفسه ·

(I) الاشارة الى بحث له بعنوان (الشرق و التراث اليونانى) وقد نشر بالعربية تحت عنوان « روح الحضارة العربية » ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى ـ بيروت 1949 ·

ان هذه الآراء التى تبدو مترابطة معا ترابط السبب والنتيجة ، انما تمثل فى حقيقتها احكاما مرسلة تعوزها الدراسة الدقيقة المتانية لطبيعة الحضارة الاسلامية فى وجوهها وظواهرها المتعددة على نحو شمولى لا يسمح بالتعميم الجارف ، ولو رددنا هذه الاحكام الى الفروض الاولى التى منها انبثقت لتبين لنا مقدار الخطأ فيها · فقد افترض الكاتب أول ما افترض أن جميع الاقطار التى انتشر فيها الاسلام كالسند وما وراء النهر وفارس والعراق والشام وشمالى افريقية والاندلس كانت قبل الفتح الاسلامى ,بعد حملة الاسكندر قد انتحلت الطابع الهيلينى الحضارى وتخلت عن حضارتها الخاصة ، أو على الاقل أن الثقافة الهيلينية كانتهي العنصر الاقوى السائد فى تلك الاقطار ، وذلك اثر لاتسنده الحقائق التاريخية · ثم ان الكاتب حين تحدث عن الحضارة الاسلامية قصر نظره على جانب صغير من الحياة الفكرية ، أعنى به جانب الدراسات المنطقية والفلسفية ونسى الجوانب الفكرية الاخرى التى قدمت فيها الحضارة الاسلامية صورة نامية من ذاتها وطبيعتها مثل الحديث والتشريع والحقول المعتمدة على التجارب الانسانية كالنبات والجغرافيا ··· الخ ، كما نسي الجوانب المادية من الحضارة والتقدم العمرانى ، بل انه لو شاء التخلى عن تعصبه ليونان لوجد فى الفلسفة الاسلامية نفسها سمات فارقة تعد فى حقيقتها مميزة لشخصية الفكر الاسلامى نفسه ·

ولعل اكبر خطأ يقع فيه المفكر الغربى حين يحكم على الحضارة الاسلامية أنه يحاول رؤيتها من خلال ما ألفه من حضارة ، ويدرسها وهو ما يزال أسير الدائرة الحضارة التى ينتمى اليها · ان الحكم على أية حضارة يجب أن يتم – وان كان هذا أمرا صعبا – بالتخلى الموضوعى عن أي انتماء حضارى سابق ، والحكم على الحضارة المدروسة حسب ما تقتضيه منطلقاتها وعناصر تكوينها وضروب اسهاماتها ومظاهر قوتها وضعفها فى ذاتها ، قبل القفز الى مقايسها بالحضارة التى ألفها الدارس (2) · وهنا يكمن خطأ آخر من أخطاء شيدر وهو رؤيته للحضارة الاسلامية من خلال الاطار الهيلينى المسيحى وايمانه الراسخ بأن الدين المحدد بنظام دقيق لا يستطيع أن يطور من داخله « نزعة انسانية » ·

ومع أن تعبير « النزعة الانسانية » يستقطب خصائص تجريدية يصعب تحديدها واخضاعها لمقاييس عقلية واضحة المعالم ، فان أهم ما يميز هذه النزعة أنها ترفض أن تقلل من قيمة الانسان

---

(2) كان شيدر على وعي بذلك حين قال : « فكل من نشأ ونشىء فى داخل نطاق الحضارة الغربية لا يستطيع أن يفهم الحضارات الاجنبية الا من وجهة نظره هو الخاصة ، شاء ذلك أو لم يشأ » (روح الحضارة 33 – 34) وفى هذا الانصاف يكمن الجور كله لدى الممارسة والحكم ، لان الكاتب لم يحاول أن يبدى أية تحفظات فى أحكامه ·

ومن قيمة عمله الفردى والجماعى كما ترفض أن ترى الجانـــــب الضعيف ـ وحده ـ فى الطبيعة الانسانية ، بل هي تمجد عظمة الفكر الانسانى وقوة ابداعاته فى العلوم والفنون والحياة الاخلاقية وتقود هذه النزعة الى نظرية أخلاقية عن الفعل ، فهي تدفع الانسان الى بذل كل الجهود المتواصلة لتحقيق الكمال الاسمى للعلاقات الانسانية (3) ومن تأمل فى هذه الصورة التى تمثلها هذه النزعة وجدها تتلخص فى أمرين هامين : أ) الاكبار من قيمة الانسان والفعـل الانسانى · ب) اعداده للخلق والابداع ضمن قيم أخلاقية انسانية · وهذان المبدءان يقولان ضمنا : ان الحضارة المبنية على أساس دينى لا تستطيع أن تحققهما ، لان الدين يقيم تعارضا أساسيا بين عجز الانسان وقدرة الله بين الفعل الانسانى والفعل الالهى ، وأنه يضع قيما اخلاقية مستمدة من خارج حركة التطــــور الانسانى ولذلك كله فان مثل هذه الحضارة عاجزة بطبيعتها عن دفع الانسان الى الخلق والابتكار لانها ترده دائما ـ بقوة العامل الدينى ـ الى التمسك بالسنة والتقاليد ، لهذا لا يمكن أن يتم لديه التقدم الروحى الا فى التفسير والتكيف مع الاوضاع الجديدة لا فى التحويل والصياغة من جديد لما ورثه وتلقاه (4) ·

لا أحد ينكر أن الحضارة الاسلامية قد تأسست وتطورت فى نطاق الدين ، ولكن الى أيى حد كان التعارض بين عجز الانسان وقدرة الله مانعا من اكبار القيمة الانسانية ؟ والى أيى حد كان التعارض بين الفعل الانسانى والفعل الالهى معرقلا للتقدم الحضارى ؟ لا مراء فى أن الكشف عن طبيعة ذلك «التعارض» ضرورى لتحديد الاجابـة الصحيحة عن هذين السؤالين ، فالعجز الانسانى شيء نسبى ، لا وجود له فى طبيعة الانسان نفسه ، ولكنه موجود بالقياس الى صـــورة الكمال المطلق ، الى الله ، وهذا لا يعنى أن الانسان يقـف مكتوف اليدين ازاء ما يجده فى الكون مــن عقبات وصعوبات ، بل هو دائما مدعو الى اظهار قدرة اللــه ـ فكرا وعملا ـ من خلال قدرته · وعلى هذا الاساس يصبح الفعل الانسانى فى الكون صورة للفعل الالهى ، وليس فى هذا أيى تهوين من قيمة الفعل الانسانى ، وانما هنالك حذر مستمر من أن يتعاظم الشعور لدى الانسان بقيمة ما يخلقه ويبدعه حتى ليظن نفسه « الها » فى هذا الكون ، وذلك هو ما أدى اليه الشعور بالقـوة فى الحضارة الاوروبية التى نمت النزعة الانسانية الى أقصاها ، وذلك ما أدى بالتالى الى ظهور فكر يؤمن بتفوق جنس أو عرق على سائر الاجنـاس ، ويتفوق الاوروبى عامة على سائر البشـر ، ان أول ما يوحى به مصطلح « النزعة الانسانية » هو تعميم النظرة التقديرية الى الانسان حيثما

(3) بتصرف يسير عن « تاريخ الحضارة الاوروبية » ص ١١١ (تأليف كلود ديلماس وترجمة كوليث حبيب ، دمشق ـ الطبعة الاولى ، دون تاريخ) ·

(4) روح الحضارة العربية 28 ·

كان ، والى أيي عرق انتمى ، ودفعه ـ على أساس هذا المبدأ ـ الى الخلق والابداع فى نطـــاق ظروفه وامكاناته ، ومن هذه الزاوية نجد أن النزعة الانسانية التى قامت الحضارة الغربية على أساسها قد استنزفت على نحو لا انسانى ووقعـت ـ ضمن اخلاقيتها ـ عاجزة عن « تحقيق الكمال الاسمى للعلاقات الانسانية » ، اذ أصبحت ، وخاصـــــة بعد الثورة الصناعية ، حضارة المنتج ـ المستغل ـ المتفوق على كل من عداه ـ وليس هذا شجبا للجوانب الايجابية فى منجزات الحضارة الغربية ، وانما هو محاولة لاظهار مدى الخطورة فى اطلاق « النزعة الانسانية » فيها الى نهايتها القصـــوى ٠

ولم يكن ذلك هو شأن الحضارة الاســلامية ، فان مفهوم النـــزعة الانسانية فيها يستمد وجوده قبل كل شيء من المساواة النظرية بين بنى الانسان ، تلك المساواة التى قد تختـل أحيانا على المستوى التطبيقى ، ولكن هذا الاختلال يمكن اصلاحه بالعودة دائما الى المبدأ النظرى ، وفى الكيان الحضارى الكلى كانت تلك المساواة تعنى اتاحة الفرص للاسهام فى البناء الحضارى بنصيب حتى اننا لو نظرنا الى الصورة العامة لهذه الحضارة لوجدناها « تعاونية اسهامية » ـ ان صح التعبير ، تشترك فيها جميع الاجناس كل حسب طاقاته وامكاناته ، فى ظل دين موحد جامع ، دون أن يفضى ذلك الى نوع من التفرقة العرقية أو من الشهوة الى التسلط والاستغلال ٠ وحسبنا هنا لتأكيد متانة الانتماء الدينى وقوته ، من بين جميع روابط العصبية ـ حسب تعبير ابن خلدون ـ أن نورد مثالا واحدا ، ذلك هو ظهور الشعوبية ، فى سياق تلك الحضارة ، فهذه النزعة التى لـــم تعمر طويلا ، حين كانت الحضارة الاسلامية فى طور ازدهارها ، انما وجدت مـن يدينها ويرفض محتواها فى أناس لم يكونوا دائما ممن ينتمون الى العرب ، ولم تستطع الشعوبية ـ رغـــم كل ادعاآتها ـ أن توهن من ذلك التجانس العام فى الكيان الحضارى الاسلامى ، ولكنها حين انبثقت من جديد على أسس جديدة ـ فيما بعد ـ أدت بالحضارة الاسلامية الى نوع من الجمود ، كمـــا سأبين ذلك فى موضعه ٠

ورغم الانقسامات السياسية الكثيرة ، ورغم الاخطار الخارجية المتعددة ، ظلت عناصـــر التوحيد ـ أو التجانس على الاقل ـ فى الحضارة الاسلامية أقوى من عوامل التجزئة ، ولم يكن الدين وحده هو العامل الحاسم فى تلك الوحدة أو ذلك التجانس ، وانما كانت هنالك عـــوامل أخرى كبيرة منها اللغة وحرية التجارة والتفاعل الثقافى المستمر وقيام تشـريع موحد الأسس ٠ ولست أستطيع أن أفي كل عنصر من هذه العناصر حقه من الشرح والتوضيح وابراز مدى أثـره ـ فى هذا المقام ـ ولكن حسبى أن أقول : ان الشريعة القائمة على أسس كبرى مشتركة قد حفظـت النظام الاجتماعى ثابتا وبذلك أشعرت الفرد بالطمأنينة فى تيـار التقلبات السياسية الكثيرة ،

وجعلت القضاة فى موقف القوة ان وجدوا حاكما يحاول أن يتغول على حقوق الافراد (5) · أما التفاعل الثقافى فربما كان من أبرز المظاهر الحضارية حينئذ ، وكانت الرحلة فى طلب العلم وهجرة الكتب باستمرار من قطر الى آخر ، مما يؤكد الوحدة الحضارية ويمنحها صبغة ثقافية متميزة ، ولم يكن المثقف يجد أمامه حواجز سياسية أو اقليمية ، بل كان يجد الطمانينة حيثما ذهب ، فى ظل مجتمع متجانس العادات والتشريعات متوحد الى حد كبير فى لغة التفاهم · ولكن هذه الحركة الدينا ميكية القوية من التفاعل الثقافى لم تستطع أن تحقق أمرين هامين فى الحياة الثقافية حينئذ :

أولهما : ايجاد جسر قوى محكم بين منهجين علميين متباينين ، نعم بذلت محاولات كثيرة للتوفيق بين الشريعة والفلسفة لدى الفلاسفة المسلمين ، وحاول كل من ابن حزم والغزالى استقراء أمثلة المنطق الارسطوطاليسى من الشريعة الاسلامية ، وكثيرا ما كان المثقف يجمع بين علوم الاوائل والعلوم الاسلامية ، (مثل الغزالى وكمال الدين بن يونس وغيرهما) أو يجمع بين علم الحديث وعلم النبات ــ ومن ثم المعرفة بالعقاقير ــ لقيام العلمين على الرحلة (مثل ابن الرومية الاندلسى) ولكن ظل هنالك منهجان علميان متباينان لخصهما ابن النفيس الطبيب بقوله : « ليس الا مذهبان : مذهب أهل الحديث أو مذهب الفلاسفة » (6) يعنى المنهج المعتمد على الخبر والمنهج المعتمد على الاستقراء العقلى ومع أن للصراع بين المنهجين نتائج فكرية جديرة بالتقدير ، فان هذا الانفصال بينهما جعل النتائج السلبية أشد ظهورا ، حين تعرضت الحياة الثقافية عامة الى جمود·

وثانيهما : ردم الهوة القائمة بين المثقفين وجماهير الشعب ، حتى ظهر فى هذه الناحية ما يمكن أن يسمى « الاستقراطية الفكرية » التى يمثلها المثقفون ، ومع أن لفظة « العامة » متعددة الدلالة بحسب القرينة التى تقع فيها ، فانها كانت تطلق أحيانا للتمييز بين المثقفين وسائر جماهير الشعب أو بين فئة معينة من المثقفين ــ كالمعتزلة مثلا ــ وبين كل من عداهم ، وهي تحمل معنى من الازدراء يقف فى مقابله نوع من الاستعلاء ، واذا كان هذا الوضع قد عزل العامة عن مجرى التيار الثقافى ، فانه قد جعل الثقافة نفسها فى موضع النائى المنعزل ، وأصبحت صلة العامة بالثقافة ــ فى العصور الاولى ــ تتم عن طريق الواعظ أو القصاص ، وكلاهما يزود الجماهير بالتخويف من الموت والعذاب أو بالزاد الاسطورى جملة ، وفى العصور المتاخرة حل محل هذين

(5) أنظر W.M. Matt. Islam and the Integration of Society - PP. 206-207 (London, 1961)

(6) اقتبسه ابن تيمية فى درء التعارض بين العقل والنقل ١ : ٢٠٣ ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، (دار الكتب ــ القاهرة ١٩٧١) ·

أو انضاف اليهما « الراوى » أو « المنشد » الذى يقيم مجالس الاسمار ويملؤها بقصص البطولة والحب الرومنطيقى ، ولهذا وجدت الجماهير ملجأها فى حلقات الصـــوفية ، وفى تلك الحلقات وجدت غذاءها الثقافى والروحى معا ·

من كل ما تقدم يمكننا الانطلاق الى القول بأن الحضارة الاســلامية كانت جماعية (7) فى مقوماتها وغاياتها ، أعنى أنها كانت فى مجموع منجزاتها تستند الى قاعدة منهجية تنظيمية ، ولهذا كان من الخطأ أن ترصد من زاوية « النزعة الانسانية » التى أعطت للحضارة الغربية صبغتها ، ذلك أن النزعة الانسانية تنمى الروح الفردية الى أقصى الحدود ، أما الحضارة المنهجية التنظيمية فانها اذ تحفز الطاقات الفردية الى الابداع ، لاتسمح لتلك الطاقات أن تبلغ الى حيث تجور على المصلحة العامة ، كما لا تسمح لها أن تحطم العلاقة المنظمة بين الله والانسان ، أيى أنها ــ بعبارة أخرى ــ تبقى دينامية الخلق والابداع ضمن أطر معينة ، وتلك الاطـــر تتمثل فى الاستناد الى مفهومات أخلاقية « مسبقة » تحددت فيها المقاييس وتبلورت الى حد كبير ، بقدرة الحكمة الالاهية أو « باللطف » الالاهي ، وتتفاوت القدرة على الابداع تقدما وتراجعا ، انطلاقا وانكماشا ، بحسب التفاوت بين الطمأنينة الجماعية والخوف على وحدة الجماعة وتماسكها ، ومع أن الميل الى التشدد فى الاخذ بالمقاييس ، وسيطرة روح المحافظة والركون الى التقليد ، هي التى تسيطر فى الحالـــة الثانية ، فان الايمان بمبدأ التجدد لا ينعدم جملـــة ، ولهذا نشأ عند بعض المذاهـــب الاعتقاد بأن الله يبعث على رأس كل مائة من يجدد هذا الدين ، وتتفاوت الميادين الانسانية المختلفة من حيث مدى اتساعها وضيقها فى تقبل روح الابداع ، اذ تستطيع القوة الابداعية أن تحقق حريتها الكاملة ــ مثلا ــ فى الميادين المادية والتجريبية عامة · كميدان الصناعـــة والزراعة والفنون المعمارية ، وتستطيع أن تشق طريقها الخاص بها وتنتحل لها سمات فارقة فى فن التصوير والموسيقى والفنون الادبية عامة ، كما تستطيع أن تنطلق حرة فى ميادين الرياضيات والطبيعة والكيمياء والفلك ، حتى اذا بلغت الدائرة المتافيزيقية كان عليها أن تخطو فى حذر ، وأن تظل متنبهة الى أنها لا تستطيع أن تتخطى المقاييس الثابتة ، ولهذا كان مبدأ التوفيـــق بين الدين والفلسفة هو أقوى منطلق فى تاريخ الفلسفة الاسلامية ، سواء أكانت المحاولة مخفقـــة أو ناجحة ·

وتتحدد علاقة الانسان بهذه المقاييس فى نزعتين ــ بينهما درجات ــ وهما نـــزعة القبول والنزوع الى التحدى ، وليست منجزات نزعة القبول أقل ابداعا من منجزات النزوع الى التحدى

(7) كل حضارة فهي جماعية لانها فى خدمـــة المجموع وتطويره ، ولكن ما أريده هنا هو أن المنجزات الحضارية ــ بقوة ارادية أو عفوية ــ كانت فى خدمة التجانس الجماعى ، سواء من حيث التنظيم أو القيـــم ·

كالاستجابة للحث على طلب العلم والضرب فى الارض (التجارة ، والجغرافيا) وابراز قدرة الله فى الكون (علم الحيوان ، النبات ، المعادن ٠٠ الخ) اما التحدى فيجب أن نميز فيه بين وجهتين : وجهة عملية ووجهة نظرية فكرية ، فقد يعد تطوير صناعة النسيج والتفنن فى البناء تحديا لـروح التقوى البسيطة ولكنه تحد لا يلبث أن ينتصر فى نطاق التغير الحضارى الحتمى ، لان مجـال المباح متسع كثيرا ، وقد يكون شرب الخمر تحديا للنهى عنها ، كما أن صرامة منع الربا قد الجات الناس الى التحيل على هذا المبدأ باللجوء الى العينة وغيرها من صور المراباة ، الى غير ذلك من الامور التى تقع فى دائرة التحريم ، ولكن هذا التحدى كان دائما يعامل على أســـاس فردى ، وينحصر فى نطاقه ، ولا يشكل خطرا كبيرا ما دام بعيدا عن أن يصبح قاعدة للسلوك الجماعى ، وهذا هو معنى الحديث الشريف : « من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله » (8) ٠

أما التحدى الفكرى فقد كان أخطر أنواع التحدى لانه كان ـ فى الغالب ـ يمس ـ أو يحاول أن يمس ـ النواة الصلبة فى تلك المقاييس ، أعنى مبدأ التوحيد والتنزيه ، وذلك ما عبـرت عنه الفرق الغالية حين مالت الى تاليه الفرد ، أو ما عبر عنه المفكرون الذين وصفوا بالالحاد : كابـن الراوندى وأبى عيسى الوراق والرازى الطبيب ٠ ولا ريب فى أن غايات كثيرين من هؤلاء لم تكـن فكرية خالصة ، وانما كانوا مدفوعين الى ذلك بغايات سياسية أو مادية ، وقد نظر اليهم فى نطاق الكيد للجماعة ومحاولة ضربها من الداخل ٠ وحين ننظر الى ضحايا هذا التحدى الفكرى نجدهم قلة ـ على مر الزمن ـ اذ بعد عهد قصير من تعقب الزندقة ومعاقبة أصحابها بالموت ، حل الحوار الفكري محل أداة العقاب ، مما قد يشير الى أن الصورة عن الاضطهاد الفكرى مبالغ فيها ، كما أننا يجب أن لا نبرىء الذين مارسوا ذلك الاضطهاد من غايات لا عـــلاقة لها أحيانا بحماية الدين والذب عن المقاييس الثابتة ٠

ويجب أن نفرد ظاهرة التصوف هنا بنظر مستقل ، لانها تمثل أنواعا من التحدى ، فهي من حيث طلب النجاة الفردية والعزلة عن المجتمع تحد للعمل من خلال الجماعة والحرص على التجانس الجماعى ، وهي من حيث تجاوز التشريع وسقوط ضروب التكليف تحد للرابطة التنظيمية ، وهي فى معرض الاتحاد والحلول تحد لمبدأ التنزيه المطلق واذا درست مـن حيث التاويل بدت وكأنها تحاول الثورة على المفهومات العامة التى تيسرها اللغة ، وبكل ذلك يعد التصوف أشد أنـواع الانطلاق الفردى الذى يتجاوز الاطر والمقاييس ، متخذا من الاحساس « بالغربة » منطلقه الى تلك الابعاد ٠ وقد يكون الاحساس بالغربة نتيجة أوضاع اجتماعية واقتصادية وسياسية ، ولكن لاريب فى أن الوضوح الساطع الذى يتميز به التشريع يقوى من أثر تلك الاوضاع ، ولهذا حلت النشـوة

(8) الموطأ ، باب الحدود : 12 ٠

الصوفية محل ذلك الوضوح ، كما حل الاتصال المباشر بين الله والصوفى لتجاوز العلاقات الاجتماعية جملة · ولكن ادراك المصير الذى انتهى اليه التصوف (خلا عند أفراد معدودين) خير ما يصور لنا روح الحضارة الاسلامية ، فقد استطاع الغزالى أن يضيق الفجوة القائمة بينه وبين الفقه ، كما أن تنظيم المتصوفة فى طرق أعاد اليهم الانتماء الاجتماعى ، وحين أصبحت تلك الطرق فى العصور المتأخرة صورة من الانتماء النقابى بين أهل الحرف والصناعات ، أو من نظام (الا خي) لا عانة المنقطعين واستقبال الضيوف ، أصبح التصوف ملاذا اجتماعيا ، يعوض على الناس كثيرا مما سلبتهم اياه التقلبات السياسية والاقتصادية ، وبهذه الصور أصبح التصوف نظاما مقبولا ، لانه أصبح شيئا ذا قيمة فى خلق التجانس الجماعى ، كما لم يعد غريبا على الرابطة التشريعية التنظيمية ·

وفى التصوف معنى آخر يستحق أن أشير اليه فى هذا المقام ، ذلك أن الاتصال بالله تعالى ـ فى هذه الحياة ـ يشير الى قهر الموت ، أو على الاقل : الى تخطيه ، والحصول على حال الكمال وعلى السعادة فى هذا الكون ، وهو أمر يومىء الى أهمية مشكلة الموت فى ذلك المنحى النفسى الفكرى ، ولكنه لا يمثل الا حلا خاصا لتلك المشكلة التى كان لها أثرها القوى فى تكييف الحضارات وتوجيه القدرة الابداعية لدى الانسان · ومن الجلى أن النظرة الاسلامية الخالصة ترى فى الموت معبرا بين عالمين ، ولما كانت الجوانب فى العالم الثانى ، وعلى رأسها الخلود ، أقوى من مغريات هذا العالم فان هذا قد يشجع على الزهد فى هذه الدنيا وعلى الاندفاع الى طلب الشهادة ولما كان الزهد مظهرا يتفاوت بين الاخذ بكل المباحات وقتل النفس جوعا وظمأ (وهو أمر ينكره الدين) بدا وكأن السعى الى الموت ، أو الاستشهاد ، عمل ارادى تجمعت فيه كل تحديات الفرد المؤمن لمغريات هذه الحياة ولرهبة الموت ، رجاء ما هو باق خالد · حتى اذا انحسرت موجة الاستشهاد بعد انتشار الدين برز الى الوجود اتجاه صوفى يحاول قهر الموت بنوع جديد من السعى ، كما كان الاتجاه اللذى المعاصر له وليد الخوف من الموت أيضا · وحين لم تكن هذه الحلول شافية عاد البعض الى المثل الا على الجاهلى ، وهو ربط الموت بالذكر الحسن (أيى الخلود التاريخى) والى هذا المعنى يشير المتنبى حين يجعل الموت مقياسا للفضائل الانسانية حيث يقول :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى ... وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

عير أن هذه الحلول المقترحة ، وربما غيرها مما لم ات على ذكره ، لم تستطع أن تضعف فى النفوس حب الحياة ، بل زادته قوة ، ومن اللافت للنظر أن يتفق فى التعبير عن مدى ذلك الحب الزاهد والماجن والحكيم المتفلسف ، فعمران ابن حطان ممثل الزهد المتشدد يقول :

اذا ما تذكرت الحيـــاة وطيبها الي جرى دمع من العين غاســـق

وابن قزمان الزجال الاندلسى الماجن يقول :

ليـــس ذى عندك مصـــيبة ان نمـــوت والدنيـــا حـــي

(يعنى : أليست هذه مصيبة عندك أن نموت والدنيا ما تزال حية ؟ !)

والمتنبى الحكيم المتفلسف يقـول :

أرى كلنا يبغى الحياة لنفســـه حريصا عليها مستهاما بها صبـــا

وعندما نحس عمق الحب للحياة فى هذا الادب نستطيع ان نتصور أن الموت ـ وان كان مـــا يزال حسب المفهوم الدينى العام مجازا الى عالم آخر ـ أصبح أيضا خصما رهيبا اما أن يفـــر المرء من وجهه واما أن يقف فى وجهه متحديا ، وفى كلتا الحالتين كان لمشكلة الموت اثر عميق فى الحضارة الاسلامية يمتد من جزئيات المظاهر بحيث يشمل أحيانا كلياتها · فالنشوة فى الموسيقى الشعرية التى تدور على نحو مسترسل كالدوار ملاذ من الموت ، والضياع فى خطوط الرســـم المتشابكة المتفرعة ملاذ آخر ، والدأب فى البحث عن النباتات الطبية وتقدم علم الطب وغيره مـــن العلوم تحد للموت ، وهكذا · ولو أننا عدنا بالنظر الى ما حدث بعد اكتساح المـــوجة التترية للشرق الاسلامى فى القرن السابع ، ثم ما حدث بعد الطاعون الذى اكتسح العالم الاسلامى كله فى منتصف القرن الثانى ، اقول لو عدنا الى ما حدث من ظواهر حضارية كالامعان فى كتابة التاريخ منذ بدء الخليقة حتى عصر المؤلف ، وحشد المعارف العامـــة فى موسوعات ضخمة ، والاعتناء بجمع كتب تحفل بالتراجم وتتحدث عن الوفيات ، لوجدنا أن الاحتماء الى كنف « التخليد » فرارا من الشعور بالموت الجماعى هو الحافز لذلك كلـه ، ويكفى أن يتذكر المرء هنا مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى وتاريخ الاسلام للذهبى والوافى بالوفيات للصفدى وعيون التواريخ لابن شاكر الكتبى ومسالك الابصار للعمرى ، وغيرها من أمثالها كثير ، ان استمرار هذه الحضارة فى قدرتها على العطاء أثناء تلك المحن الكبرى وبعدها ليدل دلالة قاطعة على أنها كانت تمنـح الانسان تقديرا كبيرا ، وعلى أن ذلك الانسان المسهم فى تلك الحضارة قد استطاع أن يحقق جانبى تلك المعـادلة الصعبة « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » دون أن يقع فى تناقض·

عند هذا الحد يمكن للمرء أن يسأل : تـرى لماذا توقفت تلك الحضارة عن العطاء ؟ وأنـا أستعمل هذا التعبير « توقفت عن العطاء » عامدا لا تجنب تعبيرات أخرى مثل لماذا تحللت ؟ أو لماذا انحدرت ؟ أو لماذا أدركها الموت ؟ وأنا أعلـم أن كثيرا من دارسى الحضارة مـثل اشبنجلر وتوينبى يرون الحضارة كائنا عضويا ينمو كالانسان ويمر فى أدوار أو فصـــــول ، وأن تحلل

الحضارة وانهيارها أمر حتمى لاسباب خارجية وداخلية · ان قولنا « توقفت عن العطاء » لا ينقذها من موت العناصر الحية فيها ولكنه يجعل الشواهد الكبيرة على منجزاتها قائمة غير مندثرة ، ولعل فى الصفحات السابقة ما يوحى ببعض الاسباب التى ادت الى ذلك التوقف ، وفى سبيل استقصاء صورة أشمل عن تلك الاسباب لابد من العودة الى تصور المراحل التى مرت بها تلك الحضارة ، ففى تبيان تلك المراحل ما يؤكد طبيعة العطاء ، وما قد يحدد الاسباب الجوهرية للتوقف عن العطاء

ورغبة فى تحاشى التعقيد الذى قد ينشأ عن التداخل فى الادوار ، يمكن القول ـ على نحو من التبسيط ـ ان تلك الحضارة مرت فى ثلاث مراحل كبيرة :

الاولى : مرحلة تمثل الحضارات المختلفة بعد استيعابها ، وهي مرحلة قد تمر بها أي حضارة أخرى ، ولكن مما يميز الحضارة الاسلامية فى هذه المرحلة اتساع افقها لتلقى جميع المؤثرات وصهرها فى نطاق منسجم ، وتقبل التفاعل الحضارى بثقة نفسية شديدة · ولتصوير هذه المرحلة لا بأس أن نقتبس ما يقوله فيها أحد من تميزوا فى دراسة تاريخ العلم فى هذا العصر ، أعنى الاستاذ جورج سارتون « وابتغاء الحصر نقول ان الحضارة الاسلامية الجديدة كانت ثمرة لتطعيم القلامة العربية ذات العنفوان والقوة مع جذع الشجرة الايرانية القديمة ، وهذا من شأنه أن يزودنا لاول وهلة بما يعلل عنفوانها المذهل وصفاتها التطورية ، فى ظل هذا الدافع الذى استحدثته تلك القوتان المهولتان ـ الحمية الاسلامية والفضول الفارسى ـ وبعناية سلسلة منظومة من خلفاء بنى العباس الذين تملكهم حب المعرفة ، ومنهم المنصور وهارون الرشيد والمأمون ، تطورت الحضارة الحديثة بسرعة كبيرة وقدرة فائقة ، لقد ازدوجت جذورها فى أعماق الماضى ، فلقد غذاها النبي بالوحدانية والمعنويات ، كما أمدها أهل فارس ومعلموهم بالمورد الذى تنهل بنهم من ينابيعه السنسكريتية واليونانية ، فمن السند نقلت الحساب والجبر وحساب المثلثات والكيميا القديمة ، كما نقلت عن اليونان المنطق والهندسة والفلك والطب ··· ان القيمة الكبرى لثقافة الاسلام انما تقوم على حقيقة انها وصلت فى النهاية بين الينبوعين العقليين العظيمين اللذين ظلا يتدفقان منفصلين فى الازمان القديمة (9) ·

غير أن المعجزة الكبرى فى هذه المرحلة هي ما جرى على اللغة العربية نفسها حين استطاعت فى فترة قصيرة أن تتطور وتتسع لكل الثقافات الجديدة المختلفة ان تلك الحيوية الخارقة قد استطاعت أن تقف كفؤا لتحدى تلك السيول المتدفقة من انواع الثقافات المادية والفكرية ، على نحو قلما نجد له نظيرا فى تاريخ الحضارات الاخرى ، حتى ان العنفوان الحضارى المذهل الذى تحدث

(9) جروج سارتون : تاريخ العلم والانسية الجديدة ص 157 ـ 158 (ترجمة وتقديم اسماعيل مظهر ، القاهرة 1961) ·

عنه سارتون لا يوازيه في نظره الا تلك السيطرة الشاملة للغة العربية نفسها (10) . ولهذا كان الصراع حول المفهومات الجديدة ـ وخاصة في الحقل المنطقي والفلسفي والكلامي ـ صراعا حول طبيعة ما جرى على اللغة ، فاما الذين كانوا يريدون ابعاد الفكر الديني عما تحمله هذه المصطلحات من معان ، فانهم أنكروها من حيث انها لم تحمل تلك الدلالات في الاستعمال العربي الدقيق ، بينما ذهب خصومهم الى عدم التوقف عند تلك الدلالات ، وقد استمر هذا الصراع قرونا طويلة ، وخير ما يصوره قول بن تيمية « وأرباب المقالات نقلوا عن اسلافهم مقالات بالفاظ لهم ، منها ما كان اعجميا فعربت ، كما عربت الفاظ اليونان والهند والفرس وغيرهم ، وقد يكون المترجم عنهم صحيح الترجمة ، وقد لا يكون صحيح الترجمة ، ومنها ما هو عربي ، ونحن انما نخاطب الامم بلغتنا العربية فاذا نقلوا عن اسلافهم لفظ الهيولى والصورة والمادة والعقل والنفس والصفات الذاتية والعرضية والمجرد والتركيب والتأليف والجسم والجوهر والعرض والماهية والجزء ونحو ذلك ، بين ما تحتمل هذه الالفاظ من المعاني ... فان جميع هذه الالفاظ فيها اشتراك والتباس واجمال (11) ولست أورد هذا الاقتباس لأقرر أيي الفريقين كان على حق وأيهم كان على خطأ ، وانما لأبين ما تعرضت له اللغة من توسع شمولي ، بحيوية يصورها بدقة ذلك الصراع بين الفريقين .

والثانية : هي مرحلة التوازي في الابداع الفكري والمادي وهي المرحلة التي تمت فيها اكبر المنجزات الحضارية في العلوم والفنون والحياة الصناعية والزراعية وسائر صور العمران ، وقد نتصور امتدادها في تفاوت ـ قوة وضعفا ـ حتى منتصف القرن السابع الهجري ، وفي القرنين الاخيرين منها يأخذ الابداع الفكري بالتراجع التدريجي ولكنه يحاول الاستبقاء على بعض حيويته السابقة بقوة التجدد المستمدة من العكوف على المنجزات الفكرية التي تمت في فترة الازدهار الفكري ، ورغم الانقسامات السياسية والاخطار الخارجية كان هذا الفكر ينبع من الشعور بوحدة كبرى تمثلها اللغة والشريعة أو كما يقال أحيانا « دار الاسلام » .

والثالثة : مرحلة عدم التوازي بين الابداع المادي والفكري ، بحيث ظل الاول يتنامى ، بينما ظل الثاني يتردد بين تقدم يسير وتراجع ، اكبر ، وقد بدا لاول وهلة أن الغزو المغولي قد حصر عطاء الحضارة في مصر والشام وأنه قضى على حضارة الشرق الاسلامي ، ولكن بعد فترة مخاض استعادت الحضارة الايرانية حيويتها في ظل المغول أنفسهم ، وكان هذا ايذانا بانقسام دار الاسلام ، وبدء استقلال الاجناس التي كانت تكون الوحدة اللغوية الكبرى فتنشأ

(10) المصدر السابق 163 .

(11) درء تعارض العقل والنقل 1 : 299 .

حضارة تركية فى تركستان ، ومغولية فى الهند ، ثم تركية عثمانية فى الاناضول وصفوية تخلف المغول فى فارس ، وقد كانت الظاهرة المشتركة بين هذه القوى الجديدة ترقية الصناعة والتجارة والعلوم ذات القيمة العملية كالطب والفلك والاهتمام بالطرق المعمارية واصلاح المدن وعمارتها ، وفنون الحرب وخاصة لدى العثمانيين الذين نقلوا استخدام الاسلحة النارية عن أوروبا وأنشأوا اسطولا على الطراز الاوروبى ، يقول بارتولد « ولا ينبغى أن يظن أن العالم الاسلامى قد مني بعد القرن التاسع الهجرى بانحطاط وانه لم يستطع أن يقدم للحضارة شيئا جديدا فتركيا لم تكتف بشهرتها العسكرية فى القرنين العاشر والحادى عشر الهجريين بل صارت استانبول احدى مراكز الحضارة الكبرى للعالم الاسلامى ··· وأبرز (الاتراك) أسلوبا جديدا فى فن العمارة يخالف العمارة الايرانية ··· وفى ظل الصفويين فى ايران بقيت آثار معمارية فى أصفهان العاصمة ··· وكانت الدولة المغولية فى الهند لا تزال امبراطورية قوية فى القرن السابع عشر ، وتشكل فن العمارة الايرانية هنا بشكل جديد متاثر بالهند ··· كل هذا يدل على أن القول بأن العالم الاسلامى كان فى نوم عميق قبل أن يأخذ فى النهوض بتأثير أوروبا فى القرن التاسع عشر مبالغ فيه كثيرا (12) ويجب أن ننتبه الى أمور مختلفة حدثت فى هذه المرحلة منها انحسار ظلال السيادة الاسلامية نهائيا عن الاندلس واحتواء الاتراك للمناطق التى كانت ثقافتها عربية اسلامية ، واستقواء الحدود الفاصلة بين مراكز هذه الحضارات « الاسلامية » المتعددة . ولهذا أصبح الابداع الفكرى غير مشترك بينها جميعا لان وسيلته الاولى وهي اللغة لم تعد موحدة ، كما أن تزايد العناية بالجوانب العمرانية المادية من الحضارة قد جعل الابداع الفكرى التماعات هنا وهناك وطغت « المدرسية » على الفكر عامة ، فاصبح الشغل الشاغل هو اعادة الفكر السابق باشكال جديدة من الشرح أو الاختصار وأحيانا الترجمة ·

ان التأمل فى هذه المراحل ينير الطريق للاجابة على ذلك السؤال · « لماذا توقفت تلك الحضارة عن العطاء » ؟ فقد ظهر جليا أن روح تلك الحضارة القائمة على وحدة أمة اسلامية قد اختلت ، بقيام وحدات سياسية متباعدة ، وكانت رابطة اللغة الموحدة أول العرى انفصاما ، وكان فى مقدور الدين أن يظل عنصرا هاما فى خلق التجانس الذى حرصت عليه تلك الحضارة ، ولكن تحول الدين الى غاية طائفية (وخاصة فى الصراع بين الصفويين والعثمانيين) قد عمق الانفصام بدلا من التجانس · وكان تراجع الابداع الفكرى يصل

(12) ق ـ بارتولد ـ تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص 115 ـ 117 بتصرف يسير (ترجمة حمزة طاهر ، دار المعارف بمصر 1952 الطبعة الثانية) ·

بالحضارة الى نقطة جمود ، وذلك لانه قد طـال على تلك الحضارة اعادة النظر فى تغيير لون القديم الموروث ووضعه فى اشكـال جديدة دون تغيير فى طبيعته ودون لون استشراق للانطلاق به الى مرحلة مغايرة ، بحيث أتى عليه حين مـن الدهـــر وقد جفت فيه الحيوية الداخلية وأصبحت اعادته فى شكل جديد أمرا غير مستطاع وهكذا اهترأت بعض المؤسسات والنظـم الفكرية ــ وبعض المادية ــ ولم تعد تصلح لانبعاث حضارى · ويبدو أن الكيان الحضارى قد أصيب بالشعور بالاكتفاء والرضى عن الذات ، وهو شعـــور قاتل للقدرة على الاقتباس من الحضارات الاخرى والتمثل لتلك المقتبسات ·

وجاء هذا العجز عن الاقتباس والتمثل فى مواجهة حضارة جديدة مغايرة فى روحها ، لاعتمادها الكبير على العلم ، أعنى الحضارة الغربية · ويجب أن نقر هنا بأن هذه الحضارة كانت مؤيدة بالقوة الحربية ، وكان أيى اقتباس منها لا يعنى تمثلا لها بمقدار ما يعنى محاكاة للغالب القوى ،وقد عرفنا فى تاريخنا الحضارى كيف كان التمثل للحضارات الاخرى سهـــلا فى ظل منطق السيادة الذى كان يتمتع به الاسلام ، على مر الزمن ، فلما تضاءل منطق السيادة وانهارت القوى السياسية التى كانت مسئولة عن حماية التطور الحضارى أصبح اقتباسنا مـن الحضارة الاوروبية هو اقتباس المغلوب من الغالب وكان الاقتباس يعنى فقدان « الهوية » المميزة تدريجا ، ولم يكن فى الوضع خيار ، ولهذا كان الرد على الذوبان فى التيار الجديد مزيدا مـــن التضخيم للرضى عـن الذات والاحتفال بالمنجزات السابقة ، وهي موقف طبيعى وان كانت نتيجته مزيدا من التخلف عن حضارة تبدو كاسحة لا تتوقف · ولم يكن صاحب الحضارة القوى ليرضى عن الاخذ ، والبناء الذاتى القائم على القوة المادية (تجربة محمد على فى مصر) واستطاع أن يجهض جميع الحركات الثورية التى رمت الى تجديد الاسلام والسيادة الاسلامية وأن يفرغ مفهوم الجهاد الاسلامى من محتواه ، وأمعن فى تفتيت دار الاسلام ، الى وحدات صغيرة ، وكاد يقضـى فى بعض المناطق على الرابطة اللغوية ، وعمق النزعات الاقليمية لتزداد الهـــوة اتساعا بين كل اقليم واقليم ·

اننا حين نؤرخ للحضارة الاسلامية انما نعتمد منظورا كبيرا يمتد على رقعة واسعة ، ويشمل اسهام أمم كثيرة ، وهذا هو الذى يجعلنا أحيانا نحس أن التخلف هوة سحيقة لاننا ننظر الى حالنا فى صورة اقليميات ضيقة ، ومتى استطاعت هذه الاقليميات أن تتخطى هذا الوجود الضيق الى وحدة فى الميادين المختلفة ، وفى طليعتها وحدة اللغة ، كان لمنطق السيادة حكمـــه فى التطوير الحضارى ، وقد نبه المفكر الجزائرى مالك بن بنى ــ رحمه الله ــ الى نقطة هامة فى هذا الصدد وهي أن الحضارة لا يمكن أن تبيعنا روحها وأفكارها وثرواتها الذاتية وأذواقها كما أننا من ناحية

الكم لا يمكننا أن ناخذ كل منجزاتها والا انتهينا الى تكديس « حضارة شيئية » دون أن نتمكن من بناء حضارة صحيحة (13) وهذا التكديس يتعارض مع عملية التمثل التى كانت حضارتنا قادرة عليها ، ولكنى أرى أن هذا التكديس لا يمكن أن يتحول الى تمثل الا فى ظل نوع من السيادة يطمئن النفوس الى عدم فقدان الشخصية العامة ، واذا كان العالم الاسلامى لا يزال واقعا تحت وطـأة الانقسامات التى تمت بعد الغزو المغولى (بل زادت الانقسامات كما وكيفا) فما أحـــرى العالم العربى ، فى ضوء امكاناته الكبيرة ، أن يسعى الى بناء حضارى متكامل ، أما كيف يتم ذلك ، وما هي العوامل الدافعة والاخرى المقاومة التى تكشف ذلك كله ، فشيء لا يتسع له هذا البحث الموجز.

(13) مالك بن نبى . شروط النهضة ومشكلات الحضارة ص 46 (ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوى ، القاهرة 1957) .

الإنية والأصالة
مع التفتح والعالمية

السيد عبد الله بن بيه
وزير العدل
فى الجمهورية الاسلامية الموريتانية

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاخ وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية
حضرات السادة المحاضرين
اخواني الطلبة
اخي الوزير

يطيب لي بين يدي هذا البحث ان اشكركم على الفرصة التي أتحتموها لي للاشتراك في هذا الملتقى الهام الذي أصبح بفضل وسع افقكم والمستوى العالي من التنظيم والعناية التي يحاط بها من طرفكم ـ يشكل سندا حقيقيا للثورة الشاملة والفعلية لبلد شقيق نعتز بامجاده في الماضي ومنجزاته في الحاضر ونتمنى له اطراد النجاح والنصر تحت قيادته الثورية الحكيمة ·

لقد أردت ان اتطرق لموضوع مهم من المواضيع المدرجة فى جدول أعمال ملتقانا له علاقة بتوجيه مجتمعاتنا ويمس بصفة مباشرة الجدل الثقافى الدائر فى مختلف نوادينا الفكرية منذ أكثر من قرن وعلى وجه التحديد منذ حلول الاستعمار فى الاراضى العربية الاسلامية وبدا التساؤل المعروف كيف أصبحوا أقوياء وأصبحنا ضعفاء وكيف استطالوا علينا باساطيلهم وباقلامهم وآرائهم ان مأساتنا ـ وحتى بعد أن رحلوا عنا ماديا وهزمناهم عسكريا فى أجزاء من الارض العربية الاسلامية ، لم نجد الجواب على هذا السؤال او لم نوفق أن نضع الاجوبة والحلول التى تقترح هنا وهناك موضع التنفيذ ٠

اننا بحاجة الى مثل هذا الجواب فى وقت تبدو فيه معالم نهضة سياسية واقتصادية فى الامة العربية والاسلامية والعالم الثالث بصفة عامة تلوح فى الافق بعد الاحداث العسكرية والسياسية والتحفز للاستيلاء على الثورات الطبيعية الذى شهدته هذه المناطق ٠ وما هذه الاحداث فى الحقيقة الا محاولات لاستجلاء الذات والتعرف على القدرة الحقيقية لها ٠

ان هذه النهضة اذا لم يجد سندا ثقافيا وارضية فكرية صلبة تضمن لها البعد الاجتماعى لا يمكن ان تحقق أهدافها ٠

وانطلاقا مما تقدم فانى لا أريد أن أتعرض لهذا الموضوع من زاوية المقولات الفلسفية بعيدا عن الممارسات العملية بمعايير مغرقة فى المنطقة والتجريد ، ولكنى سأحاول فقط أن اعبر عن شعور من يرى ذاته ويحاول تبين ملامح شخصيته بالنسبة لشخصية الغير حتى يكون فى النهاية منسجما مع ذاته لانه وعاها ومع غيره لانه عرفه ٠

ولهذا فسأتكلم عن موضوع « الاصالة والعالمية » ٠

ان الاصالة هي كلمة عربية وهي مصدر من اصل الشىء اصالة فهو اصيل اذا كان يرجع الى أصول معروفة ولهذا يقول العرب مال أصيل وفرس اصيل ويقابله مال طريف أى مستحدث والاصالة تشير الى الكرم ، أن الفرس الذى يحرص صاحبه على أصله وبجانبه كل الشوائب عادة يكون كريما وذا خصائص وميزات معينة ويرادفه التليد وهو الذى ولد عند مالكه ٠ الا ان التعريف سيكون صعبا اذا كان الامر يتعلق بانسان او بشعب من الشعوب أو مجتمع من المجتمعات هل يمكن أن نعتبر شعبا ما أصيلا لثبوته على مجموعة من القيم الحضارية واتصافه بميزات شخصية ردحا من الزمن وتمسكه بها وهل يعتبر اصيلا اذا كان يصدر فى آرائه وتفكيره عن عبقرياته الخاصة ، وهل يمكن فى ميدان الفكر والثقافة أن نعرف ما هو لنا وما هو لغيرنا بصفة محددة او ليست ثقافة مجتمعنا الا مزيجا من الثقافات أصبح فيه لثقافة الغير « الثقافة

الغربية ، نصيب لا يمكن عزله واعتباره سطحيـا واقامة الحواجز بصفة مؤقتة بينه وبين ما نملك أو ما يجب أن يكون لنا ·

وهل لا يبقى فى ثقافتنا الاصيلة اذا وجدنا عازلا يعزلها عن المحيط العصرى للتفكير الاحنين الى الماضى وبكاء على الدين والاطلال · فما هي الدعوات الاصيلة ·

وما هو الاصيل فى تاريخنا العربى الاسلامى

الم يلبس هذا التاريخ ثيابا عديدة وقبعـات مختلفة الم يلبس الطيلسان الفارسى والقبعـة التركية وغيرها واي الدعوات التى برزت فى الافق العربى اصيلة فى القرون الاخيرة فهل نعتبـر حينئذ دعوة الوهابيين اصيلة لانها تطالب بالرجوع الى اصول الدين فى العقيدة والتشريع وهل دعوة القوميين العرب فى القرن التاسع عشر بقيادة اليازجى والكواكبى وغيرهما اصيلة ·

وهل دعوة الاصلاح والمصلحين كجمال الدين الافغانى والشيخ عبده وابـن باديس وغيرهم اصيلـــة ·

وهل ما نقوله نحن انما هو ترديد للاصداء واعادة للتاريخ ·

لعله من الضرورى قبل الوصول الى تعـريف الاصالة ان نجيب على بعض هذه التساؤلات باختصـــار ·

اولا نقول ان كل هذه الدعوات تعتبر كلها محاولة يمكن ان تكون جـــزئية لاستجلاء الذات والروية عن طريقها اذا فهي اصيلة وحقا لقد لبس تاريخنا اصنافا من الثياب وكان مترجما عـن اليونانية الا ان فى ذلك الوقت كان بايدينا صولجان الملك والفكر ·

انه فى رأيى لا يمكن تقديم تعريف شامل لمفهوم الاصالة ما لم نحاول ان نشير الى الوضع الفكرى الذى يقدم الاصالة كحل ممكن لمشكلته واذا لم نقابل مفهوم الاصالة بمفهوم آخر هو مفهوم الاستلاب وكما يقولون بمعرفة الاشياء تتبين اضدادها ·

وبهذا فقط يمكن ان نعرف الاصالة بانها موقف شعورى ايجابى من طرف شعب من الشعوب فقد حريته وسيادته مع ما يرافق ذلك فى عصر تقلصت فيه المسافات واغرقت وسائل الاعـــلام وما يصاحبها من ضجيج وضباب البشرية ومن الطبيعى ان صوت الغالب كان هو المسموع – من سلب القدرة على التفكير والتكيف بصفة مستقلة وشخصية ان تشبث هذا الشعب بذاتيته ومحاولته الروية عن طريقها ورفضه المسبق لفرض اسـلوب معين تفرضه وتستلزمه الاستلاب هو الاصالة اذا فالاصالة هي الحرية والثقة بالنفس فى مواجهة الشخص لذاتـــه وفى مواجهته لغيره وبهذا التحديد يمكن أن تعتبر الاصالة بعدا من ابعاد عدم الانحياز الذى وقع الاتفاق فى مؤتمر الجزائر

73 على تفسيره بالرفض فاذا كان رفض السيطرة السياسية والاقتصادية والعسكرية يعتبر المفهوم الجديد الذى يعطى فكرة عدم الانحياز الحيوية الضرورية فان الرفض المسبق للاراء والافكار التى صيغت فى بيئة وطبق اوضاع اخرى هي أوضـــاع الغير يعتبر المفهوم الحقيقى للاصالة ويجنبها الجمود الذى قد طالما اعترض عليها البعض بـــه بصفتها دعوة الى الماضى الى الرجـــوع الى الماضى وفلسفة الماضى التى تعتبر الكون هو ما قد كـــان ٠

انها فلسفة الماضى ، الحاضر متجه الى الماضى ليستلهم منه فى بناء المستقبل فى تكيف حيوى تجاه الذات وتجاه الاشياء ٠

ان هذا الرفض هو رفض التقليد الاعمى أو ما سماه ابن خلدون فى المقدمة « تقليد المغلوب للغالب » فنحن مدعوون لاتخاذ موقف محدد طبقا لما تمليه شخصيتنا ومصالحنا فى كل قضية ٠

فالرفض الذى نتحدث عنه ليس رفضا سلبيا ولكنه رفض ايجابى ولا يعنى « التقوقع » وانما يعنى المساواة بين ابناء البشر الذين يجب أن يفكروا جميعا وان لا تضاع لبعضهم قوالب يجد نفسه عاجزا امامها عن التفكير وذلك هو الاستلاب ولا باس اذا استعرنا من ماركس الذى لم يعـرف مشاكلنا على الحالة التى هي عليها ولم يرصد لها بالضرورة حلولا ـ رأيه فى الاستلاب لا لنوافقه عليه لان هذا لا يعنى موضوعنا ولكن لندلل علـــى مفهوم للاستلاب قد يستشف منه ما نحـــــــن بصدده بعد عرضه للمظاهر الثلاثة للاستلاب كمـــا يراها ، الاستلاب الدينى والسياسى والاقتصادى يصل الى هذا الاخير فيرى ان نشاط العامل مستلب فهو يشعر بان عمله ليس عملا اراديا بل هو عمل ارغامى ، انه حكم عليه بالاشغال الشاقة فهو ليس تلبية لحاجة بل هو وسيلة لتلبية حاجيات خارجية ٠

الا يمكن أن نلاحظ أن الابنية الفكرية والثقافية للغير تمارس نوعا من الضغط والارغام عـــلى شخصيتنا وتوجهنا توجيها لا يلبى حاجاتنا وانما يلبى حاجات خارجية تضغط على زوايا نفوسنا وأرواحنا وتمنعنا من تنسم هوائنا العليل ، تحـــت ستار كثيف ومضلـــل من دعوى تمدين الشعوب المتوحشة وتحضرها وانهاضها ، وتارة تحت ستار العالمية المزعومة ٠

وفى بداية هذا القرن لوح بعض المستشرقين بعدم قدرتنا على الخلق والابداع باعتبار أننا متخلفون او باعتبار أن عقليتنا سامية لا تستطيــــــع بازاء العقلية الآرية الا ان تكون آخذة غير معطية ومقلدة غير مجتهدة وتابعة غير رائدة ٠

ان التشبث بالانا اذا وملامسة الواقع عـــن طريقه ورفض القوالب المصاغة مسبقا ، والثقة بالشخصية المميزة يمكن أن تعتبر عن عناصر الاصالة ولذلك نجدد دائما هذه العناصر أو بعضها فى اقوال وسلوك المفكرين والقادة السياسيين فى شعوب الامة العربية وشعوب العالم الثالث ٠

وساوفر عليكم الوقت بعدم التعرض لآراء الكتاب العرب منذ القرن التاسع عشر ومنذ بدأت الامة العربية يعشى ناظريها شعاع الحضارة الاوروبيـــة الجديدة وبدأت التفسيرات تتباين بيـن مدارس الاصلاح الاسلامى والمدارس القومية وغيرهما من المدارس ـ المعروفة لديكم وسآخذ أمثلة من العالم الآخر متجنبا الوقوع فى هوة التفرقة بين أولئك الذين كانت لهم ثقافة كلاسيكية وغيرهم ـ لانى اعتبر ان كل الشعوب ذات ثقافة مهما كانت درجة تطورها ومهما كانت بدائيتها ، مبتدئـا بالمهاتما غاندى الذى لو بقي وفيا للروح الغـربية التى طبعته بها الثقافة الانقليزية ولم يرجـــع الى أصالته الهندية ويستمد منها وسائل كفاحه لما هزم الامبراطورية البريطانية فى أوج عزها ·

ان الرفض كان واضحا فى سلوكه كما كـان واضحا فى شعر ابن باديس ضد سياسة اذابة الشخصية التى تنتهجها السلطة الفرنسية ·

وفى شعوب افريقيا نلاحظ نفس الرفض عند نكرومة عندما يقول فى فلسفة الضميرية : « ان فلسفتنا يجب ان تجد رجالها فى امكنة وظـروف حياة الشعب الافريقى »

ويعرف الضميرية بانها مجموعة تنظيم القوى التى تسمح للمجتمع الافريقى أن يهضم العناصر الثقافية الاجنبية عن القارة والتى توجد فيها وتحويلها بطريقة تجعلها تنصـــــهر فى الشخصية الافريقية · انتهى ·

ان محاولة كوامى نيكرومه أن يهضم العناصر الثقافية عن طريق الشخصية الافريقية هـــي اعتراف بضرورة الرؤية طريق الانا ورفض القوالب المصاغة مسبقا ·

اما سينغور فيذهب الى ابعد من هذا حيـث يقول « هناك حساسية افريقية وطريقة افريقية لفهم الاشياء ونظرة افريقية للعالم فهذا هو الافريقية » ·

وهناك على القارة الافريقية تجربة الزائر حيث قام سكان هذا البلد البالغ عددهم 22 مليونـا بتغيير كل اسماء المدن والاشخاص التى كانت مـن آثار الاحتلال الاجنبى الى آخر كل الاصلاحات التى وقعت فى هذا البلد بما فيها الاستيلاء على الثروات الطبيعية باسم الاصالة ومهما يكن مـــن تفاوت فى الوعي بين المتمسكين بهذه الفكرة وهذا التفاوت وارد فعلا بين أولئك الذين تشـــكل الاصالة بالنسبة لهم رد فعل وبين اولئك الذين أصبحت بالنسبة اليهم اديولوجية ثقافية ثابتة فان القسمات المشتركة بين الجميع هي الرفض والتشبث بالانـــا ·

والاصالة تدفع هؤلاء وأولئك للعمل والابداع·اذ أن تحقيق الشخصية من متطلباته الاساسية أن تكون هذه الشخصية قوية ومسلحة بكل أسباب المناعة التى تضمن لها النمو والاستمرار فى وقت يهدد فيه الضعيف بالاضمحلال بصفة تلقائية زيادة على المؤامرات التى تحاك ضد المتخلفين لا بقائهم متخلفين وعدم السماح لهم بمسايرة محتكرى التقدم الصناعى فى موكب التقدم والرقى ·

فالاصالة يمكن أن تعتبر من العوامل التى كانت من وراء الحركة التى قامـــت هنا وهناك للمطالبة بالاستقلال ذلك أن المستعمر بفتح الميم يرفض أن يكون امتدادا لشخصية واراضى المستعمر فهذا ما يرفضه السكان فى المستعمرات البرتغالية فى افريقيا وهذا ما رفضته الجـــزائر والشعوب العربية والافريقية بالامس ، واياما كان سبب هذا الرفض الذى يعلله البعض بسوء الاوضـــاع الاقتصادية والاجتماعية وهي فعلا سيئة التى يحكم فى ظلها المستعمر ، وهذا تعليل صحيح الا انه من الصحيح أيضا أن حرص الشعوب المستعمرة على شخصيتها وثقافتها كان مـــن وراء هذا الرفـــض ٠

وهذه الاصالة نفسها تعتبر اليوم عاملا قويا فى الاصرار على الاستقلال الاقتصادى وبنــاء الصناعـــــة ٠

وباختصار فان الاصالة موقف ايجابى مـــن الحياة ومبدأ حي له تأثيره فى مسيرتنا اليومية وما هي بالماضى ولا بالحنين على الماضى انها الحاضر والمستقبل الغنيان بتراث الماضى وتجاربه

ان العالمية تعنى أن فكرة ما أو أمر يتعلق بعالم البشرية الكبير وليس بعالم من العوالم الاخرى التى اصطلح على تسميتها بذلك كالعالم العربى مثلا الم يكن العالم فى المصطلح العربى يعنى نوعا من الشمول يزيد فى محتواه على البشرية أو الانسانية وقد كانت ترادف الكون أو حسب تعبير الفلاسفة القدماء كل انواع الجواهر والاعراض ولنترك جانبا مفهـــــوم الكلمة من حيث عـــلاقته بالمقولات ولنتعرض لما يتبادر الى ذهن المرء عنــد ما يوصف شيء ما بانه عالمى انه تراث البشرية كلها ولكن كيف يكون الشيء عالميا أن الانسان عالمى مثلا لانه فى كل مكان هو هوله مشاغل ومشاكل متشابهة تلك فطرته التى فطر عليها ولكن هل هناك خصائص لحضارة عالمية انطلاقا من وحـــدة الانسان فى القسمات الاساسية عن طريق الفطـــرة واذا كانت الحضارة هي عمل الانسان وابداعه الواعى فكرا وعمرانا وفنا وأدبا الى آخره فهل بالامكان ان نؤكد أن البشرية اجتمعت عن وعـــي على تكوين حضـــــارة لها انطـــلاقا من مواصفات ومعايير وقع اختيارها من طرف الجميع ٠

ان هذا ما لم يحصل فى عصرنا الراهن على الرغــم من تقلص المسافات والتحام المصالح ووفرة وسائل التبادل والتفاهم والاعـــلام ٠

انه بالامكان التأكيد على أنه فى بعض المجالات المعينة من الحضارة الراهنة يتدرج العـــالم الى سلوك طرق قد تكون متشابهة تتقاطع فى كثير من النقط بدون أن تكون تماما متفقة ، ففى مجال العلم والصناعة مثلا يمكن أن نتحدث عن شبه عالمية الا أن آثار هذا التصنيع لم تحول العالم وحتى المصنع الى مجتمع واحد ٠

فنحن أمام مجتمع تصنيع متشابه فى أوروبا الغربية وامريكا وأمام مجتمعات مصنعة فى أوروبا الشرقية وحتى هذه التى تقوم فلسفتها على اساس ايديولوجى واحد لم تستطع التخلص نهائيا عن خصائصها القومية اي عن اصالتها ·

ان الآلات متشابهة لان اصول العلم والمعرفة البشرية واحدة الا ان خصائص المجتمعات وعقليتها وفلسفتها فى الحياة ليست بالتأكيد واحدة فاذا كانت الصناعة لا يمكنها أن تكون حضارة عالمية وحيدة فيجب لنا أن نتسائل هل هناك مجال آخر يمكن ادعاء العالمية فيه ·

ان الترويج للعالمية كان فى وقت من الاوقات وسيلة لحمل الشباب المثقف على ادارة الظهر للقيم والخصائص التى تطبع شخصيته القومية الى قيم « العالمية » المزعومة لاوروبا الغربية التى هي مركز العالم والتى استطاعت أن تبنى حضارة على حد هذا الزعم ـ عقلانية اساسها العلم وقوامها الانسانية حتى ان بعض الكتاب الاوروبيين لا يتحاشى من أن يقول ان الثقافة العالمية الوحيدة كانت من عمل البرجوازية الغربية وما عداها من الثقافات بالنسبة لها هي شبه ثقافات سواء تعلقت بهيئات اجتماعية او مجموعات قومية ·

وان هذه الثقافة قد انفصلت نهائيا عن الطبقة التى كانت تمثل سندا لها تاريخيا · الا ان أوروبا هذه نفسها بقيت شعوبها متباينة من حيث الخصائص والميزات كل التباين على الرغم من تقارب مستوى المعيشة ويشهد لهذا ما يقوله الكتاب الاوروبيون انفسهم وخصوصا ليفى مترو حيث أوضح التباين الموجود بين الدول الاوروبية وخصوصا تلك المتجاورة وعدم امكانية عالمية تجعل الناس كأعواد الكبريت ·

وحتى الماركسية رغما من كونها تقوم على التفسير المادى للتاريخ ، وبالتالى ترفض انقسام العالم الى قوميات وانما الى طبقات فقد ورد عن لنين فى تعرضه « للمسألة الوطنية » ·

ان الماركسية لا تؤيد اطلاقا أية قوميات مستقلة وثابتة وعلى العكس فانها تؤمن فقط بكل ما يؤدى الى انكار الميزات والفروق القومية بما يؤدى الى ازالة الحواجز ·

الا أن خلفاء لينين وفى مقدمتهم استالين يتجهون اتجاها آخر ، فاستالين يعترف « بان الامة جماعة مستقرة من البشر تكونت تاريخيا على أساس جامعة اللغة والارض والحياة الاقتصادية والخصائص النفسية » ·

ولقد أصبح معتنقو الماركسية اليوم يكونون عوالم عديدة وانتصرت الاصالة على المبادىء الفلسفية الرسمية ·

ولذلك فانه يجب البحث عن عالمية جديدة تساهم فيها الشعوب التى كانت بالامس قاصرة ، شعوب العالم الثالث ويكون محتوى هذه العالمية متفق فيه بصـــــفة اختيارية عن طريق الروية الخاصة لكلشعب ·

ان احترام خصائص كل شعب وشخصيتـه ومساهمته الفعلية فى بنـــــاء عالم مبنى على المساواة والحرية تخلص من عقد الاستعلاء الحضارى واستطاع فيه أسير الامس أن يضع قديمــــه على أرضه ويفكر بعقله ·

هي التى يمكن أن تضمن لاي عالمية أن تقوم على أساس مقبـول ·

ان كل حضارة عظيمة سواء كانت مبنية على ديانة سماوية أو على فلسفات انسانية هـــي ذات نزعة عالمية ، الا ان الدضارة العالمية العظيمة حقـــا هي تلك التى اعترفت بتلك الخصائص والفوارق واقامت من فوقها جسورا لمحبة الانسانية والتعارف ايمانا بالعدالة المطلقة وبالاله الواحد وذلك ما اشتملت عليه الاية الكريمة :

« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم » ·

تلك هي العالمية التى تتخذ الاصالة كأساس من أسسها وعنصرا من عناصرها فهي تعتمد على مجهود كل شعب فى مساواة تامة وتعارف ·

خلاصـــة القـــول :

ان الاصالة المتكيفة لا تتنافى والعالمية الحقيقية التى لن تكون جديرة بهذا الاســـم الا اذا ساهمت فى خلقها أصالة كل الشعوب وأصبحت انعكاسا امينا لملامح وميزات الشخصيات المتباينة فى مساواة وحرية تضمنان لها الانسجام وتجنبانها كل العقد التى تسببها هيمنة القومية المسيطرة وبذلك فقط نصل الى عالمية انسانية وانسانية عالمية ·

التاريخ

كملتقى ممتاز للأصالة والعالمية

د. ايفون تورين
استاذة
بجامعة الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

ان موضوع « الهوية والأصالة في الانفتاح على العالمية » ، وهي النقطة الخامسة من البرنامج المسطر في اسبوع لقائنا للتعرف على الفكر الاسلامي ، من العلاقة بالتاريخ ما يكاد يحملنا على القول بأنه سابق له ، ونتيجة له .

فليس في الواقع لفكرة الهوية والأصالة من ناحية ، والعالمية من ناحية ثانية ، أي معنى ينطبق على أي مجموعة بشرية الا في مجتمع يرى لنفسه جدوى ومنفعة في الوعي التاريخي ، بل ويسند لهذا الوعي المجهز الناضج دورا نشيطا ، ان لم نقل مسؤولية خلاقة في كثير من الاحيان انه استلهام ناضج ، منتقى ومهيأ كذلك ، لا لأنه معاد البناء فحسب ، بل ولان الهوية والأصالة ، بل وحتى العالمية ، ليست في الواقع سوى مفاهيم نسبية تتحدد وتتعرف بالقياس الى شيء ما ، أو بالمقارنة الى انسان ما ، أي في علاقة ما على وجه التحديد .

فليس لأحد ان يكون مطابقا لذاته ، أو أصيلافى حد ذاته ، ولكن بالقياس الى شخص آخــر وليس لأحد ان يكون عالميا بالمفهوم المطلق لهــذهالكلمة ، وانما يكون كذلك فى مقابل شيء مـا ، لا يتصف بهذه الصفة ، . وما من مفهوم من هذهالمفاهيم هو قائم بذاته ، وانما تنشط هــــذه المفاهيم وتغدو فعالة ، حين يبرز تاريخ فيشحنهابالوقائع ، بما يعمد اليه من وصف لهذه المفاهيم، وبما يمنحه اياها من مضمون •

يمكن اذن ان نتساءل : الى اى حد يمد التـاريخ الأصالة لقاعدة وأساس ؟ وذلك بالتشـديد على نقطة الاستفهام هذه وهو ما سيشكل الجـزء الاول من عرضنا هذا ، ثم كيف يتطلب تاريـخ العالمية كذلك ليكسب بعده الكامل وهو ما سيمثل الجزء الثانى من العرض ، بيد انه ، وقبــل الشروع فى هذه الدراسة ذات الوجهين ، نود اننبدى بعض الملاحظات حول استعمال المفــاهيم المذكورة والمعنى الذى نعطيــه اياها !

افكار حول عبارات : الهوية والأصالة ، من ناحية ، والانفتاح والعالمية من ناحية ثانية

ان المسألة التى تعنينا وهى مطروحة بهــذاالشكل تقيم تعارضا بل تكاد تبرز تناقضا بين هاتين الثنائيتين من الكلمات وهى فى نفس الوقت توحى بتجاور وتواز بين عبارات كـل من المجموعتين المزدوجتين ، بيد ان هذا التعـارضوالتجاور لا يأخذان سبيلهما معا بدون بعـض الغموض والابهام •

فماذا نعنى فى الواقع بكلمة «أصالة» ان أىلوحة زيتية ، وأى عملة تكـونان اصيلتين اذا سلمتا من التزييف ، وأى محاكاة او تقليد هماضد الأصالة ، انهما تزوير • فالأصــالة اذن ، هى نقيض التزوير بالتقليد هى الشيء الصحيــحبصورة ما انها تشير الى ما لا يقبل المحاكاة والى الشيء غير المقلد فهى اذن تعنى الشيء الخاص والذاتىلكل واحد • لكن ترى ، أفيكون ذلك فرديا أم على مستوى المجموعة ؟ هنا نقطة الاشكال •

ان الشيء المطابق لذاته ليتجلى اذن على طرفىنقيض مع الاصيل ، ذلك لانه يثبت التشابـه والتماثل ، وبصورة ما ، النسخة المنقولــة ، وبالتالى اعادة البناء والانتاج • وهو يعتمد بكليته على التقليد • وفى اتجاه معاكس لفكرة الأصالةالتى تبرز معنى الوحيد او الفريد ، والـــذى لا يقبل المقارنة ، تميل المطابقة للذات الى التطباق والاندماج فى مجموعة ، بحيث ان ما بــين العبارتين من موازاة يستدعى فارقا دقيقا ، وبعض الحيطة ، ويستـوجب لـدى استعمــال العبارتين بعض الدقة •

وكذلك ينبغي ان يوضع التعارض المستشف بين كلمتى « الأصالة » و « العالمية » فاذا كان المزور ، كما رأينا ، والعالمى يشكلان معا نقيض الاصيل كما يوهمه النص ، فان ذلك قد يعني ان المزور والعالمى صنوان رديفان فقد يتحول العالمى ، بهذه الصورة الى عديل للتزوير. وللنسخة عديمة الاصل ، فنحن لا نرى اذن كيف يمكن لهذا المفهوم ان يأمل حتى فى اعادة الاعتبار اليه • اذ كل محاولة للاتصاف بصفة العالمية قد تتهم بتزييف الذات ، ولن تكون الأصالة الا ذلك الانعزال الضرورى الذى يكاد يلتبس بالسجن • وبذلك نكون قد انهينا النقاش قبل الشروع فيه •

أعتقد انه ينبغى مقاومة أثر التعارض هذا ، والاعتراف بأن الأصالة العالمية ليستا فى الواقع طرفين فى جدلية • فالعالمية لا يحاور النسخة المنقولة أو الخطأ ، وانما يحاور فكرة الخاص والاختلاف ، والتاريخ شاهد هنا بملاحظة هذا الحوار •

وبهذا نغلق القوس ونعود الى موضوعنا • غير ان هذا التحليل الوجيز كان مفيدا لتوضيح لغتنا ما وسعنا هذا التوضيح •

دراسة الأصالة والعالمية فى التاريخ

ان التاريخ اذن ليبدو لنا كما لو كان قاعدة للاصالة ، ثم هو ، على قدر ما يكون معروفا ، يتخذ مرجعا ، ويغدو نقطة الاشارة او علامة على (الهوية) • هل هذا الكلام صحيح ؟ وهل للتاريخ ذاته تاريخ ؟ قبل الاجابة على السؤال الاول ، يجدر بنا ان نبحث السؤال الثانى الذى سيعود بنا طبعا الى السؤال الاول •

ان فكرة التاريخ ، وفكرة الأصالة القومية او القارية او غير ذلك مما تجره وراءها ليست بمعطيات مطلقة ، ولا هى بالتالى ذلك الشىء الثابت الذى لا يقبل التغيير • فالتاريخ ومفهوم الماضى التاريخى الممثل بشىء آخر غير سلسلة من الفتوحات الحربية التى ترجع فى قليل او كثير الى الاساطير فى اوروبا ، وبالاغانى والحركات ،هى مفاهيم حديثة واحدث منها ذلك التصور التاريخى الذى ولد تصور الامة الراجع فى الواقع ، بالنسبة لاوروبا ، الى القرن التاسع عشر فهل هذا يعنى ان الحقب المجردة من هذا الغلو فى الحساسية التاريخية كانت محرومة من الاصالة بحكم انها لا ترجع الى اى ماض ؟

انها لتنشد أصالتها فى مكان آخر . انـها ،فقط ، تثبت نفسها بأسلوب آخر .

ولنورد بعض الامثلة لتوضيح فكرتنا ، ولبيان كيف ان لمفهوم الاصالة فى حد ذاته تاريخـا.

ان (لويس) الرابع عشر كان من الاعتزاز والفخر بملكه لفرنسا مما نعت به من أنه (الملك الشمس) كان لا يتراءى له أمرا مبالغا فيه ، لكنأى فرنسا هذه التى يتربع على عرشها ؟ وأى صورة لفرنسا تلك التى تخطر على بال هـــذاالملك حين يتحدث عنها ؟

انما يحدث عنه (لويس) الرابع عصر ليس فرنسا ، وانما هو مملكة فرنسا ، والذى يؤكـده بذلك ، انما هو بعد اقليمى وملك ، فهو عبارةعن تأكيد المالك . انه لا يقصد على الاطلاق ارضا يقطنها طراز من الناس ، بل واكاد أقول : انــهينطلق من فكرة تقويم للارض ، ويشير الى حيز مكانى يحتويها السجل التوثيقى الذى تمثلــهالمعاهدات المبرمة من قبل اسلافه ، الحيز المكانى الذى عهد اليه بادارته والمحافظة عليه تماما كماخلفه اياه اجداده ، اللهم الا ان يتوسع فيــه . ان فرنسا ، وقد جعل منها مملكة ، كانت بهذهالصورة شيئا غير سداسى الاضلاع تماما لكنه الشئ الذى ليس له ، على كل حال ، الا علاقة ثانوية بالفرنسيــين .

فالاهتمام أقل ما يكون بأصل هؤلاء الفرنسيين الذين تتحدد (أصالتهم) بالقياس الى ملـك فرنسا فليس الفرنسى فرنسيا من جهة علاقتهبماض مـا،ولكن حسب شبهه ومطابقته لصاحب العرش . وهذا صحيح ايضا بالنسبة الى المـمالك الاوروبية الاخرى ، وصادق على غيرها مـن الممالك . بحيث ان الفرنسيين الذين لا يقتنعونبمشابهتهم للملك ، كانوا يطردون من المملكـة من فرنسا ، وكانوا يدعون الى الانضواء تحتهذا العرش او ذاك مما يتماشى وأصالتـــهم الذاتيـــة .

لكن اما كان الملك ذاته يعتبر نفسه كما لوكان مسجلا فى ماض تاريخى طويل تجب معرفته من اجل اثبات ذاته ؟ فكم من سيد ، وكـم منشعب عمل على جمع هذه الاراضى التى يبســط عليها سلطانه ! ولكن ما من شئ من ذلك قــدتحقـــق .

لنفرض حاجبا سليم الطوية ، يسعى للحصول على بعض الرواتب او السنايا ، يحيى الملـك اذا اصبح وحين يمسى (الحجبة المحظوظون يشهدون نوم وقيام الملك) . ويبدأ التماسه بالشكل التالى : « مولاى ، ان الاجداد الغاليين لجلالتكم... الدوق ... او البارون » فان التعيـس

المسكين لا يأمن ان يزج به في السجن لبضعة شهور • فأى جرى يسمح لنفسه هكذا بأن يسب الامير ويتهمه بالانحدار من قوم هم ضرب من المتوحشين ؟ فأنتم ترون مدى الاختلاف عما صار يجرى بعد ذلك بنحو 200 عام • ذلك لان كل واحد يعلم ان أى كتاب للتاريخ شبه رسمى ، فى عهد الجمهورية الثالثة ، كان يلقن كل طفل فرنسى بأن (الغاليين اجداده) وما ذلك لان الامير قد زال واختفى عن الانظار ، ولكن لان الاجداد قد انبثقوا من التاريخ من اجل ضرب من الحياة الجديدة • أفيكون هذا نوعا من التغير فى التصور التاريخى ؟ كلا ! انما هو اكتشاف للتاريخ •

واذا نحن أمعنا فى المفارقة التى يمثلها هذا التحليل ، استطعنا ان ندرك بأن «الملك الشمس» وقد قبل الملاحظة الواردة فى مثل القول التالى :«مولاى ، ان جدكم الملك «كلوفيس» •

ذلك لان «كلوفيس» جعل من الفرنج القدماء مسيحيين ، او هو على الاقل فتح الباب فى وجه المسيحية ، لكن الذى لا نشك فيه هو ان الحاجب المتبصر الحاذق كان يواجه لويس الرابع عشر بمثل هذا الخطاب : «مولاى ••• ان اجدادكم الرومان ••• والواقع ان ملك فرنسا هذا كان يؤثر الظهور للاجيال اللاحقة راكبا على جواد بالطريقة الرومانية ومتحليا بحلة قيصر المنتصر على هؤلاء الغاليين ، تماما كما يبدو القائد الفاتح على رأس موكب يقود مهزوميه الى السجن • ان ابرع كتاب عصره كانوا يحللون مشاعر «تيتوس» امبراطور الرومان و «بارينيس» قرينته ، ويضربون الامثال لمعاصريهم بشجاعة امثال «هوراس» المدافعين عن روما ، ولكنهم لا يضربون الامثال على الاطلاق بشجاعة «فلرسان جيتوريكس» المنافح عن الغال• وقبل ذلك بسنين ، كان كبار السادة المتمردون على ملكهم ، هم الذين يعمدون الى تقليد ابطال «بلوطارك» المقتبسين ايضا من التاريخ القديم • وهكذا نرى ان القرن السابع عشر المعدود كما لو كان فرنسيا بالاصالة ، ومسيحيا كان يترسم لنفسه مثال الرومان الاجانب ومثال الكفرة المشركين • فأنتم تشعرون اذن مدى اختلاف مفهوم الاصالة ، وهو اوثق ارتباطا بماض تاريخى بالنسبة الى هذا العصر ، مما يمكن ان يكونه بالنسبة لفرنسى يعيش فى القرن العشرين ، وكيف ان لهذه الاصالة ذاتها تاريخا •

وكل ذلك يعنى ان «لويس» الرابع عشر ومعاصروه كانوا يتوهمون ان ليس بينهم وبين الرومان احد ، وبديهى ان الامر على خلاف ذلك• غير ان هذا يبين ان الذين صنعوا مملكة فرنسا لم يكونوا يهمونهم فى شىء • هنا يمكن نوع من التصور الماضى التاريخى الذى هو ببساطة ،

ليس ماضينا • ومثال آخر اخذ من الطرف الآخرللعالم ، ومن عهد آخر ، هو عهدنا الحالى ، يكشف عن نفس النسبية ونفس الطابع التاريخى لمفهوم الماضى التاريخى • والامر يتعلق ، فى هـــذه المرة بالصين الشعبية • ويشير هـذا المثال ،كسابقه الى اختيار من بين اجزاء الماضى • وهو اختيار واضح هذه المرة ، مراد ، ومدرك تمـامالادراك • وهو ما لم يكن عليه حال المثـــال السابق • فمنذ عام 1915 ، كنا نقرأ فى مجلـة«الشبيبة الجديدة» للحزب الشيوعى الصيـــنى هذه التوصية : «ان رسالة الجيل الجديد ، هـىمحاربة لكونفوشوسية ، السنة القديمة للفضائل والشعائر ، او بعبارة اوضح ، ينبغى تمـــزيقشباك تاريخ الماضى ، وهدم سجن الافـــكار القديمة» (1) بحيث ان تاريخ تصور المـــاضىالتاريخى يؤدى هنا الى تقويض جزئى مقصـــود ، ومعدود كما لو كان ضروريا ، لهذا الماضى الذىغـدا هو نفســه عبئـا ثقيلا • وبعد ان اكتشف التاريخ ، صار يمثل كما لو كان « شباكا» او«سجنا» اى كما لو كان حاجزا يعترض سبيـــل الحياة الراهنة • لذلك يجب ان يمحى ويزول •وحين يمزق التاريخ تنغلق الحلقة ، ويعود الشعب الى ما يشبه وضع شعب لا تاريخ له • وكلمـــاينبغى ان نعرفه هو ما اذا كان الامر ما يـــزال اليوم فى حدود الامكان ، او انه ، على الاصــحلا يعدو ان يكون تاريخا معاكسا •

وعلى كل ، فالذى ترمى اليه هذه الامثلة هـوبيان كيف ان مفهوم الماضى التاريخى وما يرتبط به من فكرتى الاصالة او الهوية هو على حســبالازمان ، أكثر تعقيدا وتنوعا ، واشد اختلافـــا مما يمكن ان نتصـــوره مسبقـا •

وفى الوقت ذاته ، أجبنا على السؤال الاولالذى طرحناه فى مطلع القسم الاول من عرضنـــا هذا ، فيما يتعلق باستعمال التاريخ كمرجـع ،واكتشفنا بأن كيفية الرجوع اليه ، لم تتغـــير فحسب ، بل وما تزال فى تغيــير مستمر •

وعلى كل حال ، فان القرن التاسع عشر هـوالذى شهد تفجـر التاريـخ فى حياة النـــاس بأوروبا ، ثم شيئا فشيئا فى غيرها من الاقاليـمان اطفال المدرسة بالغرب ، لم يوضع بين ايديهم كتاب للتاريخ لا يقتصر على معلومات التـــاريخالقديم او «التاريخ المقدس» وحده الا قبل ما ينيف قليلا عن مائة عام واذ ذاك فقط ، راح كل واحديكشف أجداده ، محاولا معرفتهم ما امكنته تلك

1) صحيفة لوموند ، مطلع فبراير 1974 •

المعرفة . وساعيا على نحو ما الى بحث حقيقـقي٠وهكذا اخذت تتوالى اقوام وشعوب مثل الصلت والجرمان ، والنوميديين ، والغوط ، والفرنسيس والعرب وغير ذلك على اذهان التلاميذ التى غدت بذلك بمثابة ذاكرة للتاريخ ، وفى نفس الوقت اخذ دور المؤرخ يتعاظم . ومسؤوليته تتضخم غير ان هذا الموضوع من الاليق ان تتضمنه دراسة أخـرى ٠

بحيث اننا لو طرحنا اليوم السؤال التالى : من هو الانكليزى الاصيل ؟ او الفرنسى الاصيل ؟ او الجزائرى الاصيل ؟ لغدا الجواب اصعب وتجلى بصورة خاصة اقل بداهة ٠ ولعل السؤال يكون اسهل لو تساءلنا عما هو المسيحى الاصيل ، او المسلم الحق ؟ ثم ان الفرد لا يكون مسيحيـا على النحـو نفسه فى القـرن العشرين وفى العصـر الوسيـط ٠

ولعل من قبيل التجربة الهامة ان يطلب الى كل واحد منكم تحرير خمسة او ستة اسطـر فى موضوع الكيفية التى يتصور بها الفرنسى الاصيل ٠ وانا متأكدة ان اى فرنسى يستعلم الكثير منها ، وسيجد من خلالها انه على خلاف ما كان يتصوره عن نفسه بل وحتى لو سألتمـونى انـا ذاتى عن «أصالتى» لما عرفت كيف أجيب ؟ اللهم الا ان اقول أنا (البنت) الروحية «لديكارت» ، «ليوسـوى» ، لروبر سبير ، «لبرودون» ، او «لموراس» اذا ما كنت انظر قريبا منى ٠ ترى من المسيطر من بين آبائى واجدادى ، أهم العقلانيون، أم اللاهوتيون ، ام الثوريون المصممون على الدفاع مهما كان الثمن عن الثورة والوطن الذى يجسمها، أم ترى هو ذلك النظرى الاشتراكى الذى يعارضه المتمذهب المتمسك بوطنية جذرية ، والمنطـوى على ذاتـه ٠

وفيما ذكر بعض التيارات المنبثقة عن الماضى ، غير ان هناك تيارات اخرى ٠ هل الاصالة مقدار ، ام هى على العكس من ذلك اختيار . ام هى بساطة ، وحى والهام ، ام هى مثال استقى لقضيـة أخرى ضرورية ؟ انى أطرح عليكم السؤال ، نحن نعلم الآن ان الاصيل نتاج التاريخ ، اما الصلـة بين التاريخ والعالمى الذى يقود الى الانفتاح ، فلئن كانت ليست اقل عظمة ، الا انها كذلك غـير بديهيـة ٠

لنلاحظ بادىء ذى بدء . ان التاريخ الآنى لايعرف الا الخاص نقيض العالمى ، العـام ، فليس فى التاريخ الا الذاتى الخاص ، فهو ليس فيـه مثلا مملكة ، ولكن ممالك . ولا يتحدث عن جمهورية بل عن جمهوريات ، ولا حتى عن امة بل امم لاغير ٠٠ وما للقائمة من حد تقف عنده ٠ والامـر صادق كذلك على مفاهيم الحرب والثورة ٠ فليس يعرف التاريخ الا حروبا وثـورات ٠

لكن اذا ما كان التاريخ عاجزا عن السمو الى تصور يسمح بتحديد مفهوم الجمهورية انطلاقا من الجمهوريات ، وبتحديد المعنى المجرد للحرب انطلاقا من الحروب ، فقد كشف على الاقل ، عن ماض ظل غامضا ومبهما • فالمؤرخ يتعين عليه ان يستعمل لدى تفكيره ، الاطار العادى لفعل الذكاء ، لكنه من اجل ممارسة مهنته ، ينشىء صورا جديدة للعلاقة التى باخفائها مسحة من المعقولية والوضوح على التاريخ . تعمل على زيادة فهمه ، وتقريبه من المدارك ، وبالتالى على تنمية قيمته العالمية • بل نقول : ان المؤرخ يثرى مفهوم العالمى بالنحو الذى يستعمل به السببية ، وفكره الزمان وغير ذلك ، ولنوضح ما نقول :

فالاخبار التاريخية تسرد الاحداث وتعددها ،وكل ما تفعله انها تقص الآنى الراهن . تماما كما تروى البوابة (الحاجبة) ما شهدته فى الشارع • والتاريخ يبحث عن الروابط والعلاقات ، ويقيم اوجه الشبه والاختلاف • انه ينشىء ويبتكر ،ويستعمل السببية التى لأهميتها ، تكاد تغدو التاريخ ذاته ، اسباب آنية واسباب أخرى بعيدة على وجه الخصوص ، تلبس الاحداث والوقائع رداء يجعلها ذات معنى • وبذلك تنشأ صورة جدارية كبرى فترسم التاريخ العالمى ـ ولولا ذلك لما كان ثمة الا تواريخ صغيرة ـ وتمكن من الوصول بوضوح الى فكرة الانسانية . وهى نفس المثل الاعلى لمفهوم العالمية • لذلك قيل : انه بما ان التاريخ خاص ، فهو لا يعيد نفسه أبدا ، ولكن بما انه عالمى ، فهو متجدد باستمرار •

غير ان المؤرخ يستخدم فى مهنته ايضا مفاهيم أخرى يشترك فيها الخاص والعام من جديد ، ويعمد الى هذا الاستخدام من اجل ابراز ظواهر كلية ، مثل مفاهيم المدى القصير والطويل • وكمثل ملموس على ذلك : هذه الظاهرة التاريخية الطويلة المدى المتمثلة فى تطور العالم التقليدى الذى تجرفه عجلة التغيير • وضمن هذه الحركة العامة حركات اقصر مدى . واقل اهمية ، واكثر محدودية ، تتمثل فى نهضة اوروبا وضمن هذه الاخيرة ذاتها ظاهرة النهضة الايطالية مثلا • فكل تطور أقليمى بدلا من ان يتكشف فريدا على الاطلاق ، يجد نفسه . من وجهة هذا المنظور ، وهو بصدد التكون داخل حركة عامة لا تسلبه أصالته ، ولكن تسمح له بالافلات والخروج من عزلته • وذلك بما تتعرفه لدى الغير حاضرا وماضيا . من صعوبات ومتاعب مماثلة • فما لا يسع المؤرخ الا ان يقوم به من ترددات على الزمان والمكان هو عينه هو وجه من وجوه اهمية التاريخ•

وفي الطرف الاقصى من هذه العملية يوجـــدالتاريخ المقارن الذى ينتهى احيانا الى تقليــص النسيج التاريخى ، وحصره فقط فى الاعتبارات العالمية ، كما هو الحال مثلا فى مؤلف «توينبى»(1) فالتاريخ المقارن انتصار للعالمية ٠

ثم ان المؤرخ أخيرا ، ما دمنا بصدد تحليل المناهج الخاصة بالتاريخ ، يرجع ضمنيا وعلى الدوام ، الى مفهوم الانسان الذى هو التعبير ذاته عن العــالمية ٠ ان التاريخ برمته ليقوم على حوار بــين الذاتى والتطابق مع الذات ، والمختلف او المغاير، بين ذات الشيء وغيره ٠ وهذا فعل يدل عــلى ثقة اساسية فى وجود علاقة ممكنة بين الــذاتيوالمغاير ، وبالتالى ، فى الاعتقاد بعالمية السلـوك الانسانى ، وبامكان التفاهم المتبادل ٠ ولا يمـكنلملاقاة الغير ان تحصل دون التأكد من وجـــود حد أدنى من التشابه يسمح به التفاهم ٠ فمــاالفائدة ، اذا كنت ادنى القرن العشرين ، مـــن الاهتمام بالصين العتيقة اذا ما كنت انظر الـــىالصينى المنتسب الى عصر آخر كما لو كان عديم الشبه اطلاقا ؟ وما الفائدة ، بالنسبة الى افريقى من محاوله استجلاء اوروبا ، اذ لم يكن ثمة صلة او طبيعة مشتركة بين الواحد والآخر ؟ ومـــاالفائدة بالنسبة الى وانا اوروبية ، من التحـدث الى مستمعين ليسوا بأوروبيين ، اذا كنا لا نتفاهمعلى الاطلاق ؟ ٠ ذلك لان الفرق الذى جر اليـــه الزمن ، هو نفس الفرق الذى تخلقه المســـافةوالمدى فى عصر بعينه ٠ على انه ليس من المؤكـد ان اكون اقرب الى فرنسى القرن الثـالث عشر ،بل وحتى الى فرنسى القرن السابع عشر منه الى افريقي اليوم ٠ هكذا نرى ان التاريخ يدعو عـلىالدوام الى اقل قدر مشترك ، ويؤمن بامكانيـــة التبادل ، وبالعلاقات الانسانية ووجود التاريـخفى حد ذاته ينكر الانعزال المطلق الذى يـــذهب البعـض الى اعتبـاره عائقا لا يمكن اجتيـازه ٠(ولست هنا بصدد القيام بتحليل فلسفى ، بـل فقط ، بصدد وصف اسلوب عملى) ٠ ان التـاريخليؤمن بالعالميـــة ٠

لكن التاريخ لا يبلغ ولا يباشر العالمية ، بمنـاهجه فقط ، بل هو الذي يعطيها ، كذلك ، وجها معينا ، ويكف عن ان يجعل منها مجرد تيـــــارهوائى ، وهو الذى ، من ناحية ، يعطى هـــذه العموميات محتوى ٠ ومن ناحيـــة ثانية ، فانالتاريخ ، بمكاشفته كل واحد ، بحياة وعوائـــد وكرب الغير ، يكشف لكل انسان عن وجود اشباهونظائر له ٠ بل وربما كشف له عن وجود قريب

1) التوينبى مؤرخ انجليزى معاصر ٠

له ، مهما باعد بينهما الزمن والحيز المكانى • انه يكشف عن تضامنات مجهولة وجديدة فى بعض الاحيان ، ويلقن بأن العالمية التاريخية ليست دائما واحدة ، او بأن عالميات جديدة قد تظهر على كل حال • وهكذا يدعو التاريخ الى الانفتاح • وما من شيء هو اكثر مفاجأة من مؤرخ ليس اهلا للانفتاح . او حتى ليس متعطشا للاختلاف والتغاير ، انه بذلك ، سيكون كمن ولى ظهره لذاته •

ولنعد الى النقطتين الاخيرتين ، ولنقول باديء ذى بدء ان العالمى ينشط ويحيا بفضل التاريخ ، ويبرز ويتحشد . ونحن نستعمل كل يوم عبارات عامة تشير الى اوقات من الزمن ، او الى اجزاء من المكان ، أو الى مؤسسات وألوان من الثقافة •

فها هى ذى تتوارد على الذهن ، بلا نظام :الشعوب البدائية ، النهضة . الفرس ، القبائل او العشائر ، الكلاسيكية ، الدولة ، المسيحية ،الاوروبيون ، العرب • ان الذى يتشخصه ويتمثله كل واحد منا حين يتلفظ بأى كلمات . هو رهن على وجه التحديد ، بمعلوماته التاريخية ، وبمقدار ما يغدو التاريخ اكثر دقة ووضوحا بالنسبة للجميع المؤرخ أو غير المؤرخ ، يغدو التشخيص أو التمثيل أكثر حياة واحسن معنى وما اريد ان ابدو كناصحة لكم بتعلم التاريخ لكن ذلك ، وان لم يصرح به . هو بالضبط لا اريد ان افعله • فليس ثمة وسيلة اخرى للافلات من فراغ كل لغة عامة ، بل واحيانا ، لمعرفة ما نتحدث عنه •

وهذا يقودنا بطبيعة الامر الى نقطتنا الثانية •فالتاريخ باعطائه الكلمات معناها الدقيق والكامل، انما يكشف عن عالمية الحياة • فهو تحت صور واشكال خاصة للغاية ، يروى لنا قصة او واقعة واحدة تتألف من نفس العناصر : فمن تنظيم الجماعات او الزمر الى الاسر . والقبائل ، الى الدول وتذكر بأن الناس انما عاشوا جميعا فى جماعات ، والا تجردوا من خاصية الانسانية ، وانهم جميعا • كذلك اجتهدوا لنقل معلوماتهم وتبليغها ، وكلهم سعوا الى ان يجيدوا معرفة العالم الذى يعيشون فيه ، وهكذا . فلكل المجموعات البشرية تاريخ فكرى • لكن درجة نجاحهم تختلف ، فالبعض قد برز فى الهندسة، والبعض الآخر قد برع فى الطباعة ، وقد استفاد البعض مما سبق ان ابتدعه الآخرون • فقد ابتكر الصينيون البارود . لكن الاوروبيون استخدموه ، واضاف العرب الى علومهم علوم اليونان فاستقى منها الاوروبيون وزادوا عليها . وأقام باستور الدليل على وجود الجراثيم ، فاستولى العالم اجمع على معلوماته ••• الخ •

ويروى التاريخ ايضا بأن كل الناس، منذ بدء الخليقة ، اجتهدوا لمبادلة منتوجاتهم ، ومن خلال ذلك ، لتحسين الشروط المادية لحياتهم ، ثـم انالناس فى كل زمان ومكان ، تساءلوا عن اصلهم وعن مصيرهم • فكانت الاجابات مختلفة ، لكـنالقلق كان عالميا شاملا •

ويكشف التاريخ ايضا ان التضامن بين النـاس كان كبيرا فى السراء والضراء على السواء • فقد عرفت كل المجتمعات الحرب وكل صـــورالتحكم والسيطرة ، وعرفت كلها كذلك كـذب الانسان على اخيه الانسان •

بحيث ان المؤرخ يجيب على كل من يتسـاءلاليوم عما اذا كان الانسان موجودا على الاطلاق ، بانه التقى بكائن كان له فى كل مكان ، وعـــلىالـدوام أدنى حد من السلوك المماثل لسلـــوك الانســـان •

وبديهى ان بعض صور هذا التضامن قد تشتدوتزداد فى بعض الاحيان ، وانها تختلف باختلاف الازمان • والتاريخ يؤكد لنا ، ويعلمنا بـــــانالاشياء تتغير ، وان ميولا أو اتجاهات جـــديدة تظهر ، فالمدينة العتيقة مثلا كانت وحدة قائمـةبذاتها ، اى دولة صغيرة ، منغلقة تماما عـــلى نفسها . واوجه التضامن ضمن هذه المدينة كانتداخلية اولا ، وان العالمية تبدأ هنا بتبادل داخلى، بيد ان المدن الاغريقية ، حين لا تدخل فى حرب بينها . تتجمع فى مباراة ، هى الالعاب الاولمبية • وهذه صورة من صور التضامن تتمثلفى الاعترافبالقواعد المشتركة ، بقواعد قوانين اللعب ، لكـن سرعان ما تتجلى صور جديدة من التضامن تفجرالنواة الرئيسية ، وتتمثل فى تضامن الاغنيـــاء داخل وخارج الحدود . وتضـــامن العبيد كذلك •وهو ما نسميه اليوم بالتضامن الطبقى ، ضـــد تضامن الدول • وفى العصر الوسيط نجد نفساللعبة بين العلاقات الرأسية ، والعلاقات الافقية، فالاقطاعية القوية تحافظ على الروابط الرأسية ,والاقطاعية الضعيفة تقرب البورجوازيين من كثير من طبقات السادة ، او السادة من كثير من الممالك• فالقرن الثامن عشر يجنح الى تفجير الحـــدود ، انه طيب الخاطر ، محب لجميع البلدان ولأهل هذهالبلدان • والناس والافكار تتنقل بسهولة فـــى اوروبا على الاقل . وهذه التهوئة تفسر الاختمارالاستثنـائى للفـكر • ففى ذلـك العهد ، كتب «مونتيسكيو» يقول : «انا انسان اولا ، وفرنسيبالصدفة» فهو بذلك يؤكد لنفسه اولوية العالمى على الخصوصى، وفى نفس الوقت . يفكر فىعلاقاتهاتين العبارتين ، وسرعان ما انتقد اولئك الذين يخلطون خصوصيتهم بالعالمى ، او يعتقـدون انهذه الخصوصية خصوصيتهم . ستؤول حتمـا الى

العالمي · « فكيف يمكن لأحد ان يكون فارسيا ؟ذلك لانـه يوجد فارسيـون بالفعل ! ··· اى الآخرون» · ان هذا الاسلوب الساخر فى طـرح السؤال لينقد السائل بتحويله الى مسخرة ·

لكن النزعة المجموعية والمتفتحة على جميع البلدان تتفجر من جديد فى القرن التاسـع عشر ، وتضرب الامم على نفسها الحواجز ، كما لم تفعل ذلك من قبل · وهنا تتولد تضامنات اخرى تزعزع الحدود مرة ثانية ، او على الاقل ، تنادى بذلك ·« أيها العمال اتحـدوا ···» ، «أيها الفلاحـون اتحدوا ···» ، لكن ما من احد يدعو البورجوازيين الى الاتحاد ، لان المعتقد هو ان الاتحاد او التكتل فيما بينهم قد تم بعد ··

وفى راهن الاحداث ، تتبدى نزعة اخرى ، فهي لا تتهم حدود الدول وحدها وتسعى الى نقضها ، بل حدود المجتمع ايضا · فباسم خصوصيـــة مطلقة هبطت الى مستوى الأنا وحده ، وباسـم أصالة مطلقة للأنا لمفرده، يرفض الاطار الاجتماعي، لانشاء تضامن لا اكراه فيه ، يكون آخر الامـر ، على ما يعتقد ، كامل الانسانية ، او انسانيا تماما. فالاصالة حينئذ ، لم تفهم الا بالنسبة الى الذات·

والخلاصة ، ان التاريخ لا وجود له الا بالتقـاء الخصوصي والعالمي ، وكذلك الحياة ، ان الخصوصي وحده هو الذى يقود الى العزلة ، والى الانغلاق ،وفى النهاية ، الى الصمت ، فهو وقد اقحم نفسه فى دوامة التكرار ، فى الحوار مع ذاته ، ينطفىء· انه عالم «سارتر» المنحدر الى لامعقولية التوحد · وانتصار العالمي انتصار فقير كذلك· فالتماثـل، بالغاء الحوار والتبادل ، ينجب بدوره عالما ابكم · وحينئذ يصمت التاريخ ، اى صخب الحيـــاة البشرية (1) · بيد ان الناس ، حسب العصور ، فضلوا الالتفات الى انفسهم اولا ، والاعتكـاف اوالانغلاق ، على اختلاف نظرة النـاس الى هـذا الموقف بـين محبـذ ومنـكر ، او هـم آثـروا ،على العكس من ذلك ، ان تتجه انظارهم الى الآخرين اولا ، وان يوثروا الانفتاح ·

ويعلمنا التاريخ ايضا انه لا وجود للحياة وللنمو الا بفضل الحوار بين الذات والغير ، بـين المتطابق مع ذاته ، والعالمي ، ان الانطواء عـلى الذات انما هو منعكس من الخوف : ومن الامثلـة على ذلك اسبانيا فى عام 1898 ، فرنسا فى عام 1870 ، والعالم العربي المستعمر ، ان فرنسا القرن

---

1) اننا لم نعالج مشكل وسائط الاعلام الجمـاهيرية فهو خليق بمحاضرة على حدة ·

الثامن عشر ، وانكليترا القرن التاسع عشر ،وامريكا القرن العشرين لا تبدو ـ وهي واثقة من نفسها ـ انها تعلمت ما يكفي من غيرها ٠

لكن التاريخ يؤكد كذلك شيئا آخر . فهو باعتماده على قوته . وسخريته من الحسابات البشرية يصرح بجرة قلم واحدة ، ان النقل لا وجود له ٠ وان الانسان غير قادر على النقل ، مهما اراد ذلك ، وان الاصيل وحده هو الموجودبالنسبة اليه . وانه لا وجود الا لاناس اصيلين أي مشابهين لذواتهم ، فلا وجود لرجلين متماثلين حتى ولو كان احدهما ابا والآخر ابنا له ، واحرى ان يكون ثمة تطابق بين شعبين ٠ ان الانسان ليمخر عباب البحر هكذا سيد امره ، وبصورة لا نهائية ، ضرورية ، مهما كانت النصائح المسداة،او المخاوف المبداة ، بين الخصوصي ، والعالمي ٠

بين الأصالة والمعاصرة

د· زكي نجيب محمـود
استاذ المنطق الوضعى
جامعة القاهرة (ج م ع)

لست أتردد لحظة حين اقرر بأن أم المشكلات فى هذا المجال بكلمات نحرك بها شفاهنا دون أن عن صيغة لحياتنا الفكرية والعملية ، تجمع لنا فى طيها طرفين ، اذ تحافـــظ لنا على خصائصنا العربية الاصيلة ، وفى الوقت نفســـه تفتح لنا الابواب على مصاريعها ، لنستقبل – فى رحابة صـدر – أسس الحضارة العصرية كما يحياها اليوم روادها ·

ولن نجنى من الحق شيئا ، اذا نحن اكتفينا فى حياتنا الثقافية الزاهية هي محاولة الكشـف تكون صادرة منا عن اقتناع وايمان ، اذ ما أيسر على المتكلم ان يدعـــى لنفســـه الصفتين معا :

صفة العروبة الاصيلة وصفة التحضر بحضارة العصـــــر ، فاذا ما تناولنا حياته الفعليـــة بالتحليل الموضوعى الدقيق ، ألفيناه واحد من ثلاثة : فاما هو قد خـلا من الاسس الاصيلة فى الثقافة العربية ، مكتفيا فى حياته بعناصر متنافرة جمعها لنفسه من هنا وهناك من ظواهر الثقافة الغربية ، أو هو قد ملأ نفسه بثقافة عربية صرف ، حتى انسدت دونه أبواب العصر فلا يـدرى من أمر هذا العصر شيئا ، أو هو قد أخرج وفاضه خاليا من الثقافتين جميعا ، فلا هو الى أولئك ولا الى هؤلاء ، تلك صور ثلاث أراها تستغد الكثرة الكاثرة من ابناء الامة العربية ، واما الصورة الرابعة التى هي صورة العربى وقد جمع فى كيانه وحدة عضوية متسقة متماسكة ، قوامها أصـول رئيسية من التراث العربى ، وأصول رئيسية أخرى من مقومات عصـــــرنا الحاضر ، فلن تجدها متمثلة الا فى نفر قليل ، تكاد تشير الى افراده فى ارجاء الوطن العربى ، لانهم بهذا الجمـــع الحقيقى بين الثقافين فى حياة واحدة ، قد برزوا عن غمار الناس بروزا لايخطئه البصر ·

— 2 —

ان الموقف الحضارى للامة العربية اليـوم ، يتركز فى سؤالين ، لو احسنا الاجابة عنهما ، تبدت لنا حقيقة ذلك الموقف جلية لا يشوبها غموض السؤال الاول هو :

ما هي اهم العناصر التى نعنيها حين نتحدث عن « الشخصية العربية الاصيلة » ؟ وأمـــا السؤال الثانى فهو : ماهي اهم العناصر التى تتالف منها بنية الثقافة العصرية ؟ فبعد الاجابة عن هذين السؤالين ، تكون امامنا صورتان وقد يسهـل علينا بعد ذلك أن نلتمس السبيل الى خلـــق المركب الواحد ، الذى يضم ما يمكن ضمه من أجزاء الصورتين ، دون أن تضيع من أيهما صفـــة جوهرية فينتفى بذلك وجودها ·

ولنبدأ بسؤالنا الاول : من نحن على الاصالة ؟ ما هي مقوماتنا التى اذا تحققت فى فـــرد أو فى مجموع ، قلنا عنه أنه عربى أصيل من الناحية الثقافية ؟ لست أطمع فى أن تجىء الاجـــابة شاملة لكل هذه المقومات ، بحيث لا يفلت مناشىء منها ، وحسبنا ان نقع على طائفة من المقومات الاساسية فنهتدى فيما نحن بسبيله ·

وأول ما يرد الى خاطرى من الخصائص المميزة للوقفة العربية ، العقيدة الراسخة بمستويين من الوجود ، بحيث يستحيل علينا استحالة قاطعة ، أن نخلط بينهما فى التصـــور : فهنالك الذات الالهية الخالقة ، ثم هنالك عالم الكائنات المخلوقة لتلك الذات ، وبين هذه الكائنات المخلوقة ، كائن اراد له خالقه ان يتميز ليحمل الى الدنيا امانة أؤتمن على حملها ونشرها ، وذلك هو الانسان ، في هذا الاطار العام ، تتحدد وجهة النظر العـربية الاصيلة ، وعن هذا الاصل الاول تتفرع فروع :

منها ان الانسان كائن خلقي ، بمعنى انه مكلف بأن يحقق فى سلوكه قيما اخلاقية محددة معينة ، امليت عليه ولم تكن من اختياره ، فليس من حقه ان ينسخ بعضها ، أو أن يضيف اليها ما يناقضها ، ولما كان هذا التكليف الاخلاقى لا يكتمل معناه الا اذا كان الفرد الانسانى مسؤلا عما يفعل ، فان هذه المسؤولية الاخلاقية بالنسبة لكل فردعلى حدة ، تصبح امرا لا مفر منه ، فلا يجوز ان يحملها فرد عن فرد آخر ، قد تجد فى الثقافات الاخرى انماطا أخرى ، بل ان فى عصرنا هذا نمطين آخرين لا يلتئمان مع الوقفة العربية التى ذكرناها ، احدهما يقول ان القوانين الاخلاقية كغيرها من القوانين ، هي وليدة الحياة الواقعة ، فما قد ثبت على التاريخ انه نافع جعلناه قانونا خلقيا ننظم به سلوكنا ، وما قد تبين على التاريخ انه ضار ، حذفناه من قائمة الافعال المقبولة ، ولما كان النفع والضرر يتغير ان بتغير الظروف ، وجب علينا أن ننظر الى مبادىء الاخلاق على انها نسبية لا مطلقة ، بحيث نكون على استعداد لان نغير منها ما لابد من تغييره لئلايقف عقبة فى سبيل التقدم مع ما يقتضيه الزمن وحضارته ٠

ذلك احد النمطين الآخرين ، واما النمط الآخر فيقول اصحابه ان المسالة هنا ليست مرهونة بتقدم أو تأخر فى طريق الحضارة ، ولكنها مسألة الانسان وحريته المطلقة فى أن يتخذ لنفسه ما شاء من قرار ، بشرط ان يكون مسؤلا عن قراره ذاك ، فليس هنالك أحد فوقه أو الى جانبه يملى عليه ما يجب وما يجوز ، بل هو البادىء بقراره بدءا غير مسبوق بمبدأ صاغة سواه ٠

وواضح أن الوقفة العربية الاصيلة مختلفة عن كلا النمطين من حيث المبدأ والاساس ، حتى وأن اتفقت معهما فى النتيجة، فهي مختلفة عن النمط الاول الذى يجعل المعول فى السلوك الانسانى الصحيح على التجارب ، على حين أن الوقفة العربية تفترض أسبقية المبدأ الخلقى على التجارب ، فالصواب صواب والخطأ خطأ بغض النظر عن النجاح أو الفشل فى تجارب الحياة العملية ، وليست حدود الصواب والخطأ من صنع الانسان ، ولكنها حدود شاءها الله للانسان ٠

والوقفة العربية مختلفة عن النمط الثانى كذلك ، الذى يجعل القرار الانسانى غير مسبوق بمعيار ، وذلك لانَ وجهة النظر العربية – كما ذكرنا – تفترض أسبقية المعيار الذى يقاس به القرار فى صوابه او خطئه ، وسؤالنا – فى حدود هذه النقطة الاولى هو : هل يمكن التوفيق بين أن يكون الانسان عربيا يحمل هذه الوجهة من النظر ، وان يكون فى الوقت نفسه معاصرا يتطور مع الزمن وتغيراته السريعة ؟ لست ادعى هاهنا بان مشكلة التوفيق – فى هذا الجانب – بين الاصالة والمعاصرة هنة هينة ، ولكنها على كل حال مشكلة تستحق منا النظر الطويل والعميق لاننا لو امسكنا بالقيم الثابتة الموضوعة لنا ، تعرضنا لخطر الجمود ، ولو سبحنا احرارا مع تيار التغير تعرضنا لزوال الشخصية وانحلالها ؟ وغاية ما استطيع قوله فى هذا الصدد ، هو أن قيمنا

الاخلاقية الموروثة ، فيها من السعة ما يمكننا من التصرف فى اطارها بدرجة من الحرية تكفى للحركة مع سرعة الايقاع فى عصرنا وليكن الامر فى هذا شبيهابالامر فى تكوين الفاظ اللغة من حروف الابجدية فالحروف محدد معلومة العدد ، ومع ذلك ففى مستطاعنا ان نبنى بها الفاظا تعد بملايين الملايين اذا أردنا ، فلماذا لا نقول ان مبادئنا الخلقية الموروثة هي أسس يمكن ان نبنى عليها ما لا حصر له من ضروب العمل ؟ ان هذه القيم الموروثة ماثلة فى اسماء الله الحسنى لان هذه الاسماء ــ كما يقول الامام الغزالى ــ هي صفات تكون مطلقة بالنسبة لله تعالى ، وهي نفسها تكون نسبية محدودة بالنسبة للانسان ، فاقرأ هذه الاسماء تعلم ماذا يطلب منك أن تكون : يطلب منك ــ مثلا ــ أن تكون عليما ، بصيرا ، سميعا ، قادرا ؟ صبورا ، الى آخر هذه الصفات العليا ، فما الذى يمنع من مسايرة العصر بهذه الصفات ؟ ما الذى يمنع أن اكون عليما وبصيرا وسميعا بحقائق عصرى وما تتطلبه الحياة فيه ؟ وان أكون قادرا وحكيما وصبورا وقويا وخبيرا ، وكلها صفات من تلك الصفات المطلوبة منى بحكم عقيدتى كل الذى يطلب منى فى هذا المجال ، هو ان افهم من كل صفة جوانبها التى تكون أقرب الى العصر ، فأكون عليما بعلم العصر ، قادرا بقدرة العصر ، وقويا بقوته ، وحكيما بحكمته ، وهلم جرا ٠

— 3 —

ومن مميزات الثقافة العربية كذلك ، تلك الرغبة الشديدة عند الانسان فى أن يتسامى على دنيا الحوادث المتغيرة ، ليأخذ بما هو ثابت ودائم ان كل ما فى الارض والسماء فان وزائل ، متغير ابدا متحول ابدا ، ففيم التمسك به هو عاجز عن التماسك بذاته ، اليس ثمة مرفأ يامن من أعاصير الفناء والصيرورة والتغير الدائب من حال الى حال ، لنحتمى بمثل هذا المرفأ فنسلم ؟ نعم ، هنالك مثل هذا المرفأ الآمن ، فنستطيع أن نلتمسه ، حتى ونحن لم نزل أحياء فى هذه الحياة الدنيا ، الا وهو الذات الباطنية التى بها تكون هويتنا ، هو « الانا » التى تظل قائمة صامدة مهما حدث التحول لما حولها ، ثم هنالك مثل هذا المرفأ الآمن بمعنى آخر ، وهو مرفأ الحياة الآخرة التى هي غاية منشودة خلال كل نشاط ننشط به فى هذه الحياة الدنيا ٠

هذا هو العربى فى نظرته ، ينشد الخلود عن طريق الظواهر الزائلة ، يريد أن يقهر الزمن وأن يقهر الموت ، أما الزمن المتقلب بأحداثه ، فهو يقهره بالخروج منه الى ما ليس زمنيا بطبيعته ، فيلجأ الى ذاته التى هي كائن لازمنى ، كما يأمل فى حياة آخرة لا تخضع هي الاخرى لعوامل الزمن ؟ ولو كانت الحقيقة كل الحقيقة هي هذه المتغيرات المتبدلات الفانيات الزائلات ، التى نراها فى الاشياء المحيطة بنا ، لكان الكون ــ من وجهة نظر العربى ــ عبثا فى عبث ٠

وليست هذه النظرة هي ما ياخذ به عصرنا الحاضر ؟ فتكاد المذاهب الفلسفية المعصارة كلها ، تجمع على تحليل كل شيء الى ظواهره المتغيرة ، دون أن تزعم وجودا لاي كائن ثابت وراء تلك الظواهر ، فهذه المنضدة أمامنا ليست الا مجموعة ظواهرها البادية لحواسنا من بصر ولمس ، وكذلك قل فى كل شيء بما فى ذلك الانسان نفسه ، فالكائن البشرى بدوره ليس الا مجموعة ظواهر يراها فيه الآخرون أو يحسها هو فى باطنه ، دون أن يكون وراء هذه الظواهر المتدفقة « ذات » ثابتة تدوم على الزمن ، بل قل هذا نفسه فى الوجود كله جملة واحدة ، فما هذا الكون الا خضم من ظواهر ، ما تنفك متصلة بعضها ببعض أو منفصلة ، دون أن يكون وراءها شيء ·

مثل هذه النظرة الى العالم ، انما تجيء ملحقة بالنظرة العلمية الصارمة التى هي من خصائص عصرنا ، فسؤالنا هذه المرة هو هذا : كيف التزم النظرة العملية الصارمة لاساير عصرى ، وأن أظل مع ذلك تواقا الى غيب وراء الشهادة ، يتحقق لى فيه الخلود والدوام ، لاظل محتفظا بهذه السمة العربية فى نظرتى ؟ ومرة أخرى أقول : اننى لا أدعى أن مشكلة التوفيق هنا هي من الهنات الهينات ، بل هي كزميلتها السابقة مشكلة تتطلب منا التفكير الطويل والعميق ، وانى لارج أن يكون الحل فى أن نعيش فى عالمين يتكاملان ولا يتعارضان ، بشرط الا نسمح لاحدهما أن يتدخل فى مجال الآخر ، فى أحدهما نعيش حياتنا العلميةبكل ما تقتضيه ، ولكننا بدل أن نقول : ان هذه الحياة العلمية حسبنا فى دنيانا ، يجب ان نقول : ان الى جانب هذه الحياة العلمية ، حياة اخرى فيها الامانى وفيها المثل العليا وفيها المرفأ والملاذ ، فاذا كنت فى الساعات العلمية من حياتى احصر النظر فى الظواهر وحدها ، لا ستخرج قوانينها برغم تغير تلك الظواهر ، فاننى فى الساعات الوجدانية من حياتى اخلع عن نفس عباءة العلم ، واسلم نفسى للتمنى والرجاء ، ويغير هذا الفصل الحادبين العالمين ، يستحيل علينا التوفيق بين علمية العصر وصوفيه الاصل المورث ·

ولقد أحس الغرب نفسه بمثل هذه المشكلة ، فالتمس مخرجا منها ، بأن أقام حدا فاصلا بين العلم من جهة والفن من جهة أخرى ، فاذا كان محتوما على الانسان فى حياته العملية أن يتقيد بالواقع كما هو واقع ، وبالظواهر كما هي ظاهرة لحواسه ، فله فى الفن متسع يجول فيه ويصول ، لانه فى الفن يستطيع الا يتقيد بواقع ، وأن يخلق لنفسه طبيعة أخرى غير الطبيعة التى تصدمه بظواهرها ، ومن هنا نشأت مدارس الفن الحديث ، التى تتفق كلها على نقطة مشتركة ، هي أن الفنان لا يطلب منه أن يصور الواقع ، من حقه أن يبدع لنفسه ما شاء له خياله أن يبدع ، فهذا التحرر من قيود الواقع الموضوعى ، يعوضه عما فى حياته العلمية من قيود لا تحقق له ما يشبع الامانى والآمال ·

فقل عن ثقافة أوروبا وأمريكا اليوم ، انها ثقافة يسودها معقول العلم ، تكن على صواب ، أو قل عنها ان الذى يسودها هو لا معقول الادب والفن ، تكن أيضا على صواب ، لان المعقول واللا معقول يتجاوران ليعوض احدهما نقص الآخـــــر ، واذا كان هذا هكذا ، فما الذى نتخرج له اذا نحن اخترنا ان نجاور بين معقول العلم والايمـــان بالغيب فى حياة واحدة ؟ اننا اذا فعلنا ذلك ، عاصرنا زماننا بالشق الاول ، ووصلنا وشيجة القربى بيننا وبين تراثنا بالشق الثانى ·

- 4 ·

على أن العربى الاصيل فى رغبته أن يتجاوز الواقع المتغير الى ما وراء الواقع فى أبديتـه وخلوده ، يظل مرتبطا بالمكان الارض ارتباطا عجيبا ، فهو مع المكان المحيط به فى حوار لا ينقطع ، هنالك حركة جدلية موصولة ، طرفاها الانسان العـــربى ومكانه الا أنها جدلية لا تنتهى بدمـــج الطرفين فى مركب واحد ، بل هي جدلية تحتفظ للذات الانسانية بالسيطرة على موضوعها ، الطبيعة كلها عند العربى مسرح للفعل والحركة ، هي عنده حلبـــة للقتال والنزال ، هي ميدان لفروسيته وبطولته ، كانت الصحراء حول العربى مصدر روع له وروعة في آن معا ، فهو يرتـــاع لجهامتها ومجهولاتها ، ولكنه فى الوقت نفسه يكاد يخشـــع لهيبتها خشـــوع العابدين ، ومن ثم كانـــت الصحراء له مسرح قتال ومغامرة ، كما كانت لـــه مصدر حب وشعر وغناء ، انه يتفحص كـــل ما حوله من مكان ـ ارضا وسماء ـ بجميع حواسه ، يتفحصه بالبصر والسمع واللمس والشم والذوق ، لا يترك منه شيئا ، من جرذان الارض الى انجـــم السمـــاء ، لكنه يتفحص هذا كله ليستخدمه ويسيطر عليه ، لم يكن العربى مستندا فى عمله بالطبيعة من حوله ، الى كتب تركها لـــه اسبقون ، بل استند الى كتاب الطبيعة نفسه ، ينظر فى صفحاته ويقرأ ثم يعى ، ولم يكن علـــم العربى بالطبيعة للمتعة وازجاء الفراغ ، بل كـــان مسالة حياة وبقاء ، يقول أبو حيان التوحيدى فى كتابه « الامتاع والمؤانسة » : ان العرب ليس لها أول تؤمه ، ولا كتاب يدلها ، أهل بلد قفـــرة ووحشة من الانس ، احتاج كل واحد منهم فى وحدته الى فكره ، ونظـــره وعقله ، وعلموا ان معاشهم من نبات الارض ، فوسموا كل شىء بسمته ، ونسبوه الى جنسه ، وعرفوا مصلحة ذلـــك فى رطبه ويابسه ، وأوقاته وأزمنته ، وما يصلح منه فى الشاة والبعير ، ثم نظـــروا الى الزمان ، واختلافه ، فجعلوه ربيعيا وصيفيا ، وقيظيا وشتويا ، ثم علموا ان شـــربهم من السماء ، فوضعوا لذلك الانواء ، وعرفوا تغير الزمان ، فجعلوا لـــه منازله من السنة ، واحتاجوا الى الانتشـــار فى الارض ، فجعلوا نجوم السماء أدلة على أطراف الارض واقطارها ، فسلكوا بها البلاد ، وجعلوا بينهم شيئا ينتهون به عن المنكر ، ويرغبهم فى الجميل ·· حتى ان الرجل منهم وهو فى فج مـــن الارض يصف المكارم فما يبقى من نعتها شيئا ، ويسرف فى ذم المساوىء فلا يقصر ····

من ذلك نرى صورة للعربى ، جوابا فى أرجاء الارض ، جوالا ببصره فى السماء ، ممسكا خلال ذلك بقيم توجهه نحو الفاضل والجميل ، فأين تتفق هذه الصورة العربية ، وأين تختلف ، اذا ما اصطدمت بوقفة الحضارة العصرية من الطبيعة ومن القيم التى توجه الانسان فى سيره ؟ امـا الاتفاق فهو الاهتمام بالكون وما فيه اهتماما لا يقف عند حدود الكشف عن الحقائق لذاتها ، بـل هو اهتمام يستهدف النفع واجتناب الاذى ، واما الاختلاف العميق فهو فى أن العربى لم يرد من الطبيعة الا ان تكون مسرح فعل وارادة ، على حين ان انسان الحضارة الغربية بصفة عامة يضيف الى ذلك ما قد يكون اهم منه ، وهو أن تكون الطبيعة مجالا لفاعلية العقل تحليلا وتركيبا ، ولذلك لم يكن مصادفة ان وجدنا فى فلسفات الغرب الحديث نظريات للمعرفة (ابتمولوجيا) تحدد العلاقة النظرية بين الانسان العارف والموضوعات المعروفة ، على حين اننا لا نكاد نعثر فى التراث العربى الفلسفى كله على نظرية للمعرفة من هذا القبيـــل ، عنى المفكر العربى بالارادة وتحليلها لانها اداة العمل والحركة ، اكثر جدا مما عنى بالعقل وتحليله لانه رآه اداة لفاعلية ذهنية تتم لصاحبها وهو جالس على مقعده ٠

فماذا نحن صانعون ـ نحن العرب المعاصرون ـ للتوفيق فى هذا المجال بين أصيل موروث وجديد معاصر ؟ احسب ان الطريق امامنا واضح ، وهو طريق تربوى من الاساس ، فما علينا الا أن نربى ناشئتنا على أن يحتفظوا بميراثهم فى تدريب الارادة الماضية ، وفى التطلع والمغامرة ، ثم يضيفون الى ذلك تدريبا آخر على النظر العقلى والبحث النظرى ٠

ان عصرنا هذا ان تميز بسمة تبرزه عن سائر العصور التى سلفت ، فهذه السمة هي ايغاله فى دنيا العقل ـ ودنيا العقل هي نفسها دنيا العلوم على اختلافها ـ ايغالا لم يترك جانبا واحدا من جوانب الحياة ، ولا ركنا واحدا من اركان الارض ـ وكدت أقول : واجواز السماء ـ الا وقـــد تناوله بتأثيره ، على ان العقل العلمى فى زمانـنــا لا يكفيه اليوم ما كان يكفيه بالامس ، وهو أن يقف عند الحدود النظرية الرياضية ، بل انه ليصر على أن يتجسد فى أجهزة ، وعلى ان ينتشــر هذه الاجهزة على بقاع الارض ليبدل حياة النــاس حالا بعد حال ، فلم يعد لنا مناص من السبح على هذا التيار العلمى التقنى ، فاذا كنا اصحــاب فعل وحركة وارادة من جهة الاصالة ، فلا بـد من اضافة هذه الصفحة الجديدة الى كياننا ، ولذلك ـ كما قلـت ـ انما يتحقق عن طريق التربية ابتداء ، لنخلق النظرة التى لا تترك الفعل والحركة والارادة سائبة كما اتفق ، بل تلجمها الجاما لتسيرها على الطريق المؤدية الى تكوين علم وعلماء بهذا المعنى العصرى الجديد ٠

– 5 –

واخيرا ـ وكان ينبغى أن يكون اولا ، لكننى ارجأت ذكره لبدايته ، وهو أن اصالة العــربى تبدأ من كونه يتكلم لغة عربية ، واذن فلا بديل أمامنا الا أن نرعى هذه اللغـــة على السنة ابنائها

واقلام كتابها ، فهي بطاقة الهوية التى تجعل من العربى عربيا ، هذه بديهية لا اظنها مثيرة لجدال ، لكننى انتقل الى ما يترتب عليها لانه لايبدو للناس بهذه البداهة كلها ، وهو اننا اذا اردنا الحياة فى عصرنا ، فلا بد من صب هذا العصر بكل ما فيه من علم وادب فى وعاء اللغة العربية ، اعنى انه لا بد من ترجمة العلوم العصرية كلها ، وكذلك ادب العصر وفلسفته ، وبقدر ما نستطيع ان نكسب مادة العصر فى اناثنا اللغوى يكون نصيبا من المعاصرة ·

ان العصر لا يقتصر على شعب واحد ، ولا على قطر واحد ، فالعصر هو امريكا وانجلترا وفرنسا والمانيا وروسيا واليابان وغيرها مما يسير معها فى شوطها ؟ لكن هذا العصر الواحد يلبس فى كل قطر من هذه الاقطار ثوبا ينسجه له ذلك القطر ليجعله واحدا من اهله ، دون أن يكون تبدل الاثواب سببا فى تغيير شيء من ملامح العصر ، وما هذه الاثواب المختلفة باختلاف البلدان الممسكة بزمام الحضارة فى عصرنا ، الا اللغات المختلفة ، فقد صب الفرنسى ـ مثلا ـ نتاج العصر فى لغته الفرنسية فبات الفرنسى بذلك معاصرا لزمانه ، وكذلك فعل الالمانى والروسى واليابانى وغيرهم ·

ومع ذلك فلقد صادفت فى امتنا افرادا تعارض ترجمة العلوم ، على ظن منهم بأن هذه العلوم لا يليق لها الا الثوب الانجليزى أو الفرنسى أو غيرهما من لغات الامم المتقدمة ، ولا يسعنى فى هذا الصدد سوى أن اكرر القول بانه على قدرما ننقل الى الثوب العربى من نتاج العصر ، يكون نصيبنا من العصر ـ فالاصالة فى هذا المجال هي اللغة العربية التى هي لغتنا لا لغة أحد سوانا ، والتى هي كذلك ميراث تسلمناه من اسلافنا ، وأما المعاصرة فهي أن نصب عصرنا فى وعائها ·

ان التاريخ العربى هو كالنهر دفاق المياه ، وتظل للنهر هويته منذ الوف السنين ، برغم جريان مائه وتبدله ، يوما بعد يوم ، بل لحظة فى اثر لحظة ، والذى يحفظ للنهر هويته هو التزامه مجرى واحدا ، وهكذا نريد لحياتنا أن تكون : نحفظ لها الاطار الاساسى العام ، ووجهة النظر الرئيسية ، ثم نجدد المضمون الذى يملأ ذلك الاطار ، أو الذى يشغل تلك الوجهة من النظر ، كلما جاءت العصور المتوالية بحضارات متعاقبة ، لكل حضارة منها مضمونها الجديد ·

ـ 6 ـ

هذه ـ اذن ـ نقاط أربع ، او ان شئت فقل انها مجالات اربعة ذكرناها ، فى كل مجال منها موقف لنا اصيل ضارب بجذوره فى اعماق تراثنا ، يقابله موقف مضاد للحضارة التى نعاصرها ولقد حاولنا ان نبين فى كل حالة من الحالات الاربع كيف يمكن أن تحدث المصالحة بين الضدين : فاولا ـ كانت لنا وقفة معينة بازاء الله والكون والانسان ، استتبعت وجهة نظر معينة فى المبادىء الخلقية ، ليست هي وجهة نظر الحضارة القائمة فبينا كيف يمكن أن تسد الفجوة بين الوجهتين ،

وثانيا كانت لنا وقفة بازاء الواقع المادى ، استتبعت منا ان نجاوزه الى غيب وراء ، وليس ذلك مما تاخذ به الحضارة الحاضرة ، فاقترحنا طريقة نخلص بها من هذا التناقض ، وثالثا ــ كانت لنــا سبل معينة فى التعامل مع الطبيعة المكانية من حولنا ، ليست هي السبل المأخوذة بها فى حضــارة اليوم ، فالتمسنا لانفسنا وسيلة للتقريب بين الطريقتين ، ورابعا واخيرا ــ لنا لغة لا بد من الحفاظ عليها ، وهي التى تحمل ميراثنا فى اوعيتها ، وقلنا انه لا مناص لنا من صب نتاج عصرنا فى تلك الاوعية ليمتزج الجديد بالقديم فى اناء واحد ــ وهكذا رسمنا ما يشبه الخريطة لما يمكن علمــه ، توفيقا بين الاصالة والمعاصرة ·

فتعالوا معى الآن فى جولة خاطفة ، ننظر خلالها الى ما قد حدث بالفعل فى حياتنا الثقافية ، لنرى الى اي حد اصابنا التوفيق فى هذا الدمــج الحضـــــارى المطلوب : فاما بالنسبة للمجال الاول ، الخاص بوجهة نظرنا الى الله والكون والانسان ، فــلا اظننا قد ظفرنا بتوفيق كبير فى ان نوسع من معنى قيمنا الاخلاقية بحيث تتطابق مــع ما هو مستحدث فى عصرنا ، فقد نرى اصحاب القول والكتابة بين قادة الفكر منا منقسمين قسمين : احدهما يضرب على الوتر القديم وحده ، والثانى يضرب على الوتر الجديد وحده ، وفشلنا حتى الآن فى ان تجىء النغمة المعزوفة شاملة للجديد والقديم معا ، فاذا قلت ــ مثلا ــ كلمة « علم » انصرفت اذهان بعضنا الى الفزياء والكيمياء وما اليهما ، وانصرفت اذهان الآخرين الى حفــظ المدونات القديمة ، وبقينا فى معسكرين لا يكاد يلتقى احدهما بالآخر ، اللهم الا فى أوجه النشــاط التى لا تتصل بالحياة الفكرية من قريب ، وهكذا قل فى كثير جدا من المعانى الرئيسية التى هي محاور الفكر والثقافة ·

واما بالنسبة الى المجال الثانى ، الخاص بمجاوزة الواقع الى ما وراءه ، فللاسف الشديد : أرانا نحتفظ بهذه السمة ، ولكننا ننحرف بها عما خلقت من اجله ، فقد كان الاصــل فيها هو ان ننجو بأنفسنا من دنيا الاحداث المتقلبة المتغيرة الزائلة ، لنلوذ بما هو ثابت وخالد ، لكننا جعلنــا مجاوزة الواقع الى ما وراءه فى عصرنا هذا ، فرارا من نظرة العلم الى سمادير الخرافة ، فضاع منا الواقع وما وراءه دفعة واحدة ·

واما بالنسبة الى المجال الثالث ، الذى هــو علاقة العربى بالمكان ، وهي عـــــلاقة ــ كما اسلفنا ــ قوامها الفعل والحركة والبطولة والسيطرة على البيئة بكل تفصيلاتها ، فلقد انطوينا على انفسنا اثر ما ابتلينا به من قهر وهزيمة خلال القرون الثــلاثة الاخيرة ،وبهذا الانطواء الذليل ، لا نحن عالجنا الطبيعة كما كان اسلافنا يعالجونها ، ولا نحن تناولناها كما يتناولها ابناء الحضارة الغربية الحديثة ، وتركنا ما تحت اقدامنا من رقعة الارض ، وما فوق رؤوسنا من جو السماء ، للاوروبى وحده أو الامريكى وحده يفعل فيهما ما شاء أن يفعل ، لولا اننا ــ والحمد لله ــ قـــد

اخذتنا آخر الامر يقظة واعية ، نحاول بها النهوض من كبوتنا التى كانت ، والامل معقود بجيل جديد يتناول ارجاء الوطن العربى بنظرة فيها تقليد التراث وفيها تجديد الحضارة معا ٠

واما المجال الرابع والاخير ، من المجالات الاربعة التى جعلناها مدار الحديث ، وهو مجال اللغة ، فلا شك اننا قد مضينا فى شوطاحياتها بمضمون الحضارة العصرية مسافة بعيدة ، ولكننا مع ذلك مازلنا بعيدين بعدا شديدا عن الهدف النهائى ، الذى هو ـ كما أراه ـ أن نكسب كل مقومات العلم والادب والفلسفة الشائعة فى دنيا العصر ، أن نكسبها كلها فى لغة عربية ، ولن يحق لنـا الحديث عن وجودنا فى عصرنا قبل ان نجد هذا العصر قد نطق بلسان عربى مبين ٠

رسالة من د . جرمانوس الى الملتــقى

رغم علمنا بكبر ســـن الاستاذ المستشرق المجرى الكبير الحاج الدكتور عبد الكريم يوليوس جرمانوس استاذ التاريخ الحديث بجامعـــــــةبودابيست ، فقد دعوناه هذه المرة كما كنا ندعوه منذ الملتقى الرابع ، وكان يعتذر كل مرة ، ويرسل مقالات ننشرها فى الاصالة ·

وهذه المرة ايضا قد اعتذر برسالة ننشرهافيما يلي ، ارفقها بدراسة قيمة بعنوان : « **حماية فلسفة التشريع الاسلامى** »



الى سعادة الوزير للتعليم الاصـــلى والشؤون الدينية
الاستاذ الكريم مولود قاســـم نايت بلقاسم
حفظـــه اللـــه

سيــدى المحتــرم :

بعد تحياتى القلبية واجلالى اخبر سعادتكـم أننى تسلمت بمزيد الشـــكر دعوتكم الموقرة ، للاشتراك بالملتقى الثامن فى الفكر الاسلامى ·

اننى اعتز بالتشريف الذى اكرمتمونى بهذهالدعوة المجيدة ، كما افتخر وأتشكر باستلام مجلة الاصالة الغراء التى اقرأها باستفادة كبيرة، فاننىلقبلت دعوتكم بسرور وغبطة ، لكن تقدم سنـى الى تسعـة وثمانى عاما ، ومرضى الشديد فىالاشهر الماضية · يمنـع وصولى الى الجـــزائر شخصيا ، وسوف احضر هنا لك روحيا مـــعاعلان افكارى عن **حماية فلسفة التشريع الاسلامى** فاننى كتبــت هذه الدراسة الصغيرة باعتقادىالعميق ، أن الدين الاسلامى ومزاياه الثقافيـــة هى الوحيدة التى تستطيع أن تنقذ العالم أثنـاءهذه الاوقات الثقيلة من الورطة الفظيعة · اعنى فساد الاخلاق ، الفجور والدعارة فى الحيـــاةالجنسية ، السرقة والدناءة المخيفة · المجمـــع العلمى المجرى ينشر اثناء هذه السنة ، دراستىالطويلة عن الشريعة الاسلامية وفلسفتها المفيدة باللغة الالمانية : داس اسلامشه ريليقيو نسرشتانذارا بالخطر الذى تهدد ثبات المجتمع الانسانى

انى آمل جدا أن افكارى سوف تؤدى حصتها الى تقوية تيقظ المسلمين فى دينهم ويحفظهم من تاثيرات مضرة ٠

الحق الى خطابى ترجمتى عن بعض أشعارشعراء فلسطين الدامية ، لايقاظ الناس لضميرهم وواجبهم نحو المظلومين فى الشرق والغرب ٠

أرجو سيادتكم أن تتفضلوا بقبول احترامىالفائق واجلالى ، وبقيت مخلصكم دائما ٠

الحاج الدكتور عبد الكريم جرمانوس

بودابست المجر 13 مارس 1974

بـــــرقيــة

الى الحــاج الدكتور عبد الكريم يوليوس جرمانوس

بودابيســت ـ المجـــر ـ

نشكركم على رسالتكم الاخوية الصادقة التى وصلتنا صباح اليوم ، والتى تلوناها فى احدى الجلسات فتاثر بها الملتقون وتجاوبوا معها تجاوبا عميقا ، كما نشكركم على مقالتكم الممتازة التى تلونا الجزء الاخير منهـا فى نفس الجلسة ، وهلل لها الجميع وننشرهما فى جميع الصحف والمجلات الوطنيـــة ٠

ويتمنى لكم الملتقى تحسن صحتكم وامداد عمركم الخصيب فى سبيل خدمة الاسلام الذى هو دين العلم والرقى والتقدم للبشرية جمعاء ٠

والســـــلام

الملتقى الثامــن للفكــر الاســلامى
بجــــاية

حماية فلسفة التشريع الإسلاميّة

د٠ الحاج عبد الكريم يوليوس جرمانوس
استاذ التاريخ الحديث
جامعة بودابيست ـ المجر

الكثـــير الاهتمام والانتباه ، والمـــراقب للاحداث الاجماعية التى تحدث فى ايامنا هذه ، قد يلاحـــظ أداة الانذار بالخطر ، خطر التفســخ والانحلال الذى يجتاح اوروبا وامريكا ٠ الكذب ، والبهتان ، والسرقة ، والسطو على المنازل الآمنة ليلا ، والقتل العمد والاستمتاع بلذة ٠ المـــواد المخدرة التى تجتمع وتتحد بالفساد والفســوق الجنسى ٠ وكلها اشياء قوضت مجتمع الشعوب والامم ٠ ان فلسفة التشريع التى ظهرت لتقـــرر المستقبل فى العالم الاسلامى كالقضاء والقدر ، والتى جاءت لتصـــون وتحفظ ســـــلامة العقل واستقرار المجتمع الانسانى قد سقطت فى الـــم وحزن لانها عجزت عن ان تنجز واجباتها ٠ ففى دول كثيرة قادت فكـــرة تخفيف الالم بالنسبة لقسوة وعنف الهواية الانسانية ، قادت القانونيين الى نسيان تعاليم القانون الرومانى التى تقــول « العقاب ينفذ ليس من اجل الجريمة ، لكنه مــن اجل الا تقترب جرائم اخرى » ٠

ان فكرة الانذار والتحذير ، وفكرة الوقايةانما تكمن فى كل شــريعة وقورة معتدلة · ان تخفيف الاثم والاذى قد احبط رغبة العقول والمفكرين عند القانونيين الغربيين فى ايامنا هذه ·

ان الجريمة والاجرام فى العالم الغربى قد فاقت كل حد ممكن للسلطة · وقد نتعــرف على السبب بسهولة اذا ربطنا بين علاقة ارتفاع نسبــة الجريمة والتفسخ والانحلال بصفة عامة بظهور اللادينية المادية او الزندقة الماتريالية ·

قدرة تاملية فكرية قد ابدعت اعاجيب فىحقل الابتكارات التقنية والفنية ، لكنها مــع ذلك لا تستطيع ان تخالف حدود العقل او الفكر ، كما اثبت ذلك وبرهنه فى حينــه هربرت سبنسر فى فصل كتابه (فوق معرفة البشر) ·

انه لمن دواعى الاسف ان النتائج المذهلة فى العــلم الخالص واستعمالاتها وتطبيقاتها فى الحياة العملية قد جردت بطريقة او باخرى الرجولة من الادراك · وليس هذا فحسب ، بــل انها عرتها من الاعتراف والتسليم بالحقائق الدينية والروحية للكون والجنس البشرى ، ومن الجوهر الذى يهدى قوة الاخلاق · والاخلاق – مرة اخرى – لا تستطيع باية حال من الاحوال ان تنفصل عن الايمان المطوى باحكام الدين ·

ان الكلمة اللاتينية نفسها تعنى « عبد رقيــق » ، حيث الانسان ملتصق باحكام للاعتــراف بقوة عليا تنظم كل ظاهرة فى الكون · ان المفكرين المسلمين قد بلغوا مرتبة اسمى باعلانهم الشمول الفلسفى وبتعليمهم القدرة الكلية للالوهية ، التى جربت آثارها فى كل عالم من عوالم الكــــون الخلقى · لقد ثبت بالتفكير المنطقى وبالخبرة العملية التقنية ان المجتمع تقوم اساساته على الاخلاق كما علم بذلك الالهام السماوى ·

ان فلسفة التشريع الغربى قد اقامت عقيدتها ومعتقداتها على فكر انسانى متاثر باعتبارات سياسية فقط ، بينما الشريعة الاسلامية قد انبثقت من الايمان والاقتناع بأن الكون ما هو الا خلق منسق منتظم للروحيات الاخلاقية · أساس العقيدة هو الوحى ، وتنفيذها مبنى على اساس قانون استدلالات واستنتاجات منطقية التفكير ، وعلى شرح وتفسير مجتمع دنيوى زائل واحوال مادية ·

وانا كطالب فى **جامع الازهر** الشريف منذ اربعين عاما ، كنت تواقا بتشرب تعلم الشريعة ·

لقد اندمجت فى الروح المنطقية للتفكير ، وفى التصور الانسانى فى واجبات المرء ، تجاه خالقه ، وفى القدرة الكلية لهذا الكون ، وفى واجبات الانسان نحو اخيه الانسان · كل المظاهر والسيمات قعدت على أساس من الاخلاق · احساس العرفان بالجميل ، واحساس الحب ، واحساس العهــد والالتزام كاساس اجتماعى · ان التصــور المادى لحياة الجلبة والصخب من اجـــل **العـــدل**

والانصاف ـ ســـواء استحقت الحياة ذلك ام لم تستحقه ـ فان الرؤية الدينية تقود الى تحقيـــق **الواجبات** · ذلك هو الفـرق الرئيسى الاساسى بين الزهو والخيلاء وبين عقيدة تبجيل وتوقير ·

الاسلام ـ كما هو مسجل فى القرآن ـ هـو وحي سماوى ضد فكرة عدم استئناف الوجود · والحديث الذى يسلم نظما وقوانين الى الجنـس البشرى للحياة العملية هو دليل كاف واع خلال هذه الحياة ، حتى يكون التصرف على اساس مـن الروحيات الاخلاقية للكون والدنيا ·

ان **الشريعة الاسلامية** ترتكز على الاخلاق · ولقد تطورت فى مطـــــابقة وانسجام باسبـاب انسانية وخبرات عملية · انها تنظم سلوك الفرد من اسمى وجهة نظر لصون المجتمع ، وحمايتـــه بسلامة العقل والطمأنينة والاستقرار ، بدون انتهاك الحرمات عبر الحصول على حقوق شخصيـة ذاتية · انها تنشىء انسجاما تاما بين الحقوق والواجبات عند الفـرد وعلاقته بحكامه ، كلاهما موضوع لدستور اخلاقى · ان شريعة الغرب الحديثة تميل الى تخفيف آلام الاثام والجرائم الى مدى الغاء او ابطال العقاب · بعض مشرعى القانون يذكرون الانجاز الصارم لجـزاء جريمة السرقة ، وعلى سبيل المثال القضاء على اليد الآثمة · اننى فى خبـرتى وتجوالى اثناء حياتى المبكرة فى عدد من الدول الاسلامية لم اقابل احدا ممن قطعت ايديهم ، كما اننى لم اسمع عن حادثة سـرقة ارتكبت فى المتاجر او الاسواق الشرقية · وانـا شاهد عيان فى تركيا ، ومصــــر وسوريا ، والعراق ، والمغرب ، على ان اصحاب المتاجر والحوانيت تركوا اكشاكهم مفتوحة اثناء اوقـــات تأدية فريضة الصلاة ، فقط كانوا يتركون لافتة تقول ان صاحب المتجر غير موجود · ان العقـاب العادل المنصف الذى كان يعلن بواسطة القاضـى كان كافيا ليحول دون مجرم جديد لجريمة من مثل هذه الاعمال ·

ومن وجهة النظر الاخلاقية فان الاحكام فى الشريعة قد قعدت بالنسبة للاذن بتعدد الزوجات لكن هذه الاحكام كانت تكتسب حقها وشريعتها **بدقة** بالاشتراطات الشرعية التى نظمت الاخلاقيات السائدة ، وبالنسبة للحياة الاسرية فى **معقولية اجتماعية** · ان امكانية الزواج **بأربع مع التساوى فى الحقوق** ليست رأيا فصـــل ، لكنها اعتراف وتسليم بالحقيقة والواقع الناشىء عن الطبيعـة الانسانية · ان الشريعة بهذا انما تحافظ وتراقب طهارة ونقاء حياة الاسرة ، بينما نجد الاختلاط والاتصال الجنسى غير الشرعى واللامحدود للشهوة الجنسية الآن ينتشر فى وضح النهار فى الدول الغربية ، ويقود الى هلاك المجتمعات ·

ان تحريم **المخدرات** ، من امثال الخمور **وانواع اخرى من وسائـــل التخدير والتخبيل ذات القدرات المؤثرة على العقل والذهن** ، يدعو الى الاحترام والتهبيل ، اذ هو تحذير للاخلاقيات التى

تفسد مجتمع الغرب الذى يعتبر نفسه قادرا على حماية نفسـه بنفسـه ضد قطاع الطريق العام واللصوص والقرصنة السياسية الزائفة ٠

ان الشريعة ـ اذا ادركت بحق وعدل ، واذا انتفع بها وبتعاليمها ـ فانها تظل المحرك والدليل الذى يقود الى تنظيم سلوك الانسان روحيا وماديا ٠ فاذا ما اخطأنا المـرمى بتجارب خطـرة واسلمناها وعزوناها الى البيئة المسلمة ، فان المسئولية لا تقع على عاتق الشريعة ، بل انها تكون اخطاء هؤلاء المسلمين الذين ارتكبوها ، والذين تخلوا عن الطريق القويم عبر احلامهم بالافتتان والهيام وراء كل شيء عصرى او غربى ، فسقطوا ضحايا لكل الرذائل والنقائص المهلكـة التى تمثل الحياة العصرية ٠

اننى اكتب هذه السطور من قلب المدنية الغربية ، محاطا بآلاف الكتب والمجلدات الغـربية والشرقية ، ومزودا بحياة طولها تسعة وثمانـون عاما بين الخبرة الغـربية والشرقية ٠ اننى اتشرب المعلومات والمعرفة المفيدة ، كما اتشرب الاحـداث المؤذية فى الكيان الانسانى فى كرتنا الارضيـة ٠

اننى بحكم كونى المجرى المسلم الوحيد والحاج ، احـث بجسارة وشجاعة كل اخوانى المسلمين للحفاظ على الاخلاق ، التى هى عقائدنا الروحية فى ديننا الاسلامى ٠

أمجادنا تتكلم

ملحمة تاريخية عن بجاية

ملحمة تاريخية عن بجاية للشاعر مفدى زكريا ، بمناسبة الملتقى الثامن للفكر الاسلامى المنعقد ببجاية من 1 ـ 12 ربيع الأول 1394 هـ ـ 25 مارس الى 5 ابريل 1974 .

أسطـورة ـ حوضـك ، أم كوثـر ؟ … يا أيهـا ذا الشـاطئ الأخـضر !
أم قصـة الأمجـاد ... تشـدو بهـا … فى ثغـرك ، الأيـام والأعـصر ؟
أم مـوكب التـاريـخ فى محفـل … روائـع الذكرى بـه تزخـر ؟
أم فى شفـاه المـوج ، بـلارة (1) … ينكسر المـوج ، ولا تكسـر ؟
أم لجـة من سحـر هذا الحمى … يغـرف من الهـامها عبقـر ؟
أم لـوحـة أبـدع ألـوانهـا … من حسنـه ـ صـانعها الأكبر ؟
أم مهبـط الشعـر و أحلامه ؟ … أم معبـد النسـاك ، والمشعـر ؟
يـا بهجـة الـدنيا . و يـا جنـة … يحنـو عليـها ، (برجـها الأحمر (2))

---

1) بلارة ـ من المتربعات على الحكم فى قلعة بنى حماد ، وسيأتى الكلام عنها فى تعاليق لاحقة .

2) البرج الاحمر ـ أحد الابراج الثلاثة التى وضعت لحراسة مدينة بجاية ومنها انطلق بربروس لطرد الاسبان .

و الزورق الولهان ، في نحرها ... يتوب للحب ، و يستغفر
و المستحمات ... ولولا النهى ... لكنت - رغم السن - أستهتر
ضواحك ، يسبقن رجع الصدى ... فيسكر القيثار و المزهر
عوابث يرتعن في مهجتي ... اشكو ، فلا تصغي ، ولا تبصر
يروعها الشلال لا يأتلي ... يلعب بالنار ، ولا يشعر
ألهبنه حبا ، وما ان دری ... أن العذاری عالم مخطر
رفقا (اميمون) (3) لك المشتكى ... فانت من يرثي و من يجبر
كتمت مثل السر - طول المدى ... وفي حشاك ، التبر والجوهر
وفي حنایاك العجاب الذي ... يلهج بالمجد ، و لا يفتر
قد بحت بالحب ، فبح بالذي ... لازلت في جوف الثرى تستر
وانشر (بباب اللوز) (4) أسراره ... تردد الأيام ما ينشر
وقل (لباب البحر) (5) يحك الذي ... لا يعرف الحاكون و السمر !
أسطورة حوضك أم كوثر ؟ ... يا أيها ذا الشاطئ الأخضر !
(توجة) (6) يا أنشودتي الحالمه ... و القرية المسحورة الهائمه
ما نامت الأيام عن روعة الذكرى ، وما ان كنت بالنائمه
ترضعن (يا توجة) طول المدى ... شم الذرى نشوانة باسمه
براءة الأطفال في ثغرها ... و النظرة الحانية الراحمه
وفالق الأصباح ، أضفى على ... أعطافها بسمته الدائمه

3 و 4) يعتقد البجائيون ان معظم الاحياء القديمة ولا سيما باب اللوز . وهضبة أميمون عبارة عن متاحف أثرية لا تنتظر الا من يقوم بالكشف عن كنوزها الدفينة .

5) ملامح باب البحر تذكرنا بما عرفته عاصمة بني حماد من عز وسيادة .

4) توجة تقع على مسافة 25 كيلو متر من بجاية تحتوي على مناظر خلابة مغرية للسواح .

هل كان (نوريوس) (7) بها هائما
ففضحته الأدمع الساجمه ؟
(نوريوس دانوس) غريب الحمى
نجل فيه النظرة العالمه
و خادم الانسان مهما يكن
فان احساساتنا سالمه
سل (وادى الساحل) (8) عن قمة
لما تزل أمجادها قائمه
و اسأل (ادكار) (9) و غاباته
و الصيد فى أحراشه الجاهمه
والجؤذر الملتاع ، يطوى المدى
يهزا من أطياره الباغمه
يسابق الشمس التى لم تزل
سكرى على أجفانه الساهمه
و الشمس فى هذه الحمى قبلة
من قبلات الصانع الحائمه
و النسمة المعطار ، انفاسه
و الحسن ، اشراقاته العارمه
والقمر المشبوب فى افقها
لمسته العلوية الناعمه
يفشى (اعقود) (10) تباشيرها
للكون ، من آفاقه الغائمه
و الرمل فى شطئانها كالرؤى
اطيافها ذاهبة قادمه
لو عاش فى داراتها (صالح) (11)
ما عقرت ناقته الواجمه

7) يقال ان المهندس الرومانى «نوريوس دانوس» كان مغرما بها ففجر فيها المياه فى قنوات ومن يشاهد تساقط المياه على هضباتها الساحرة وخصوصا بغابة (اينوجيون) يخال انه يرتع فى جنته فوق الارض .

8) وادى الساحل مهبط الشعر والاحلام فى سفوح جبل اعقود .

9) أدكار ـ غابة قاهرة فارعة يقصدها هواة الصيد .

10) فى أعقواد على مقربة من جبل القرود تتيه الشواطىء الناعمة التى تمتد بين رأس كاربون وتاملاحت ، وقد كانت السفن فى الماضى تلجأ الى هذه المنطقة للتزود بالماء العذب من منبع لا يزال فياضا حتى اليوم يلجأ اليها المستحمون فى البحرفى أيام القيظ للاغتراف منه . والاسبان غزوا بجاية منها .

11) صالح الرئيس حاكم الجزائر آنذاك .

لذ (سيدي‌يحيى) (12) (بتيشى)(13) تجد   عرائس البحر بها عائمه
ان يفش (زغواط) (14) أحاديثها   رمال (سيجلي) (15) لم تزل كاتمه
توجة ، يا انشودتى الحالمه   و القرية المسحورة الهائمه
(بجاية) المجد ، ونبع الجمال   و منتدى الفكر ، و مهد الجلال
(يا ابن علناس) (16) صنعت البقة   و غصت فى الآباد ، فوق الخيال
قالوا : بناها الروم ··· هبهم بنوا   والروم لا تبنى سوى للزوال
أنت الذى شيدت مالم يزل   يطاول الدنيا . ويغزو المحال
لولا (بوليمات) (17) وما أرجفوا··   عن (التواتى) (18) شدت صرح الكمال
قم (يا ابن حمديس) (19) وساجل بها   شعرى ، فانى مغرم بالسجال
أنت الذى صورت الواحها   بريشة من كبرياء الجمال

---

12) مرسى سيدى يحيى من أجمل المراسى وقداغلقت الآن وأبدلت (بحرم السائح) ·

13) تيشى : ذات الحمامات المعدنية وهى المركزالسياحى الذى يتقاطر عليه الناس من كل الجهات ويمتاز فوق ذا بالبحر والشمس والهوى والشباب

14) زغواط أجمل شاطىء فى ضواحى بجاية ·

15) سيجلي منطقة ساحرة يقصدها صيادو السمك ، يقصدها كل عام عدد كبير من المصطافين لمناجاة الطبيعة ·

16) ابن علناس (الناصر بن علناس الحمادى) الملك الذى اسس مدينة بجاية سنة 460 هجرية ، وكانت تسمى آنذاك بالناصرية · وكان قد فكر حماد فى تعزيز حصن آشير بحصن آخر فكان قلعة بنى حماد ، وذلك عند ما غلبه زيرى بن عطية المغراوى سنة 350 . وزيرى هذا من بقايا ملوك مغراوة الذى غلبهم بلغين ·

17) بوليمات : الجزيرة الصغيرة الساحرة التى‌تقع على مسافة ثلاثمائة مترا من البحر ·

18) التواتى : فقيه مشهور بالعرافة وتقول الاسطورة ان الناصر بن علناس قد التجأ اليها في أواخر أيامه وما فيها كما تنبأ بذلك سيدى التواتى ·

19) الشاعر الفحل عبد الجبار بن حمديس الصقلى شاعر بلاط الملك المنصور بن الناصر بن علناس

و صغت من الهامها قصة   تسمو بذكرى عظماء الرجال
و اهتزت الدنيا لالياذتي (20)   فلم أدع للاحقين المجال
و يا ابن (خلدون) (21) السن الذي   جمعت فيها بالجنوب الشمال
(بسكرة) (22) مدت (لسرتا) يدا   فباركت (بجاية) الاتصال
و كنت في اقدارها (حاجبا)   مجنح الفكر ، عزيز المثال
لولا (ابن عباس) و أحقاده   ما كنت في فاس ، رهين اعتقال
ما اهون السجن طموح الذي   ما انفك يهوى بالجذوع الطوال
لكن سئمت العيش مع معشر   ثعالب ، و اخترت عيش الحلال
فملت للدرس ، و عفت الورى   فرعت دنياك ، وما ان تزال
جدد لنا ذكرى (أبي مدين) (23)   من حجه عاد ، و حط الرحال
فاختطفت بجاية لبه   و لم تنل من اصغريه النبال
فازداد (يعقوب) به خبرة   في روعة العلم ، و نبل الخصال
أكرمه (يعقوب) و هو الذي   يزرى نداه بالسحاب الثقال
(يا قرية العباد) (24) بثي له   شكواى في ضراعة و ابتهال

20) الياذة الجزائر التى تقع فى ألف بيت وبيت ·

21) ابن خلدون المؤرخ الجزائرى المشهور كان اولاه ابو عبد الله محمد الحفصى حجابته وهو أرقى منصب اذ ذاك واشترك فى مؤامرة ضده معابى العباس ومن نتائج ذلك سجن بفاس بجانب الامير محمد ومن اراد الزيادة فليراجع كتب التاريخ ·

22) ركز ابن خلدون فى ايام ازدهاره ببجايةصلة وثيقة بما يسمى (مثلث الحواضر) بسكرة وقسنطينة وبجاية ولعب فى تدعيم هذه الوحدةدورا هاما · وحياة ابن خلدون سواء فى بجاية أو فى غيرها مليئة بالمغامرات وفى آخر المطاف سئمت نفسه اخطار المغامرة ومال الى الـــدرس معرضا عن الوظيف والسياسة ·

23) نزل ابو مدين شعيب بن الحسين بجايةفى طريق عودته من الحج وتعرض لوشاية عنـد يعقوب بن المنصور خليفة الموحدين ولكن يعقوباختبره فأعجب به وصم أذنه عن الوشايات فيه فأكرمه وقربه واوصى بالاعتناء به ·

24) قرية العباد ربوة تشرف على تلمسان بهامسجد وضريح يزار لابى مدين الشاعر المتصوف

بجاية المجد ، و نبع الجمال ... و منتدى الفكر و مهد الجلال
(بجاية) يا قصتي الخالده ... كفيت شر الأعين الحاسده
ان يفخر الشعب بأمجاده ... فأنت فيه الحكمة الرائده
أو كان يحتاج الى شاهد ... فأنت (يا بجاية) الشاهده
ألم يكن يبهر منك السنة ... أندلسا ، في النكبة الحاصده
فردوسنا المفقود (25) أفواجه ... مل، الحمى ، صادرة واردة
تفترف العرفان من موطن ... محافل العلم به حاشده
و حرمة الدين به ذمة ... و حلية الفضل به قاعده
و مبدأ الشورى به شرعة ... كأنه (بيت بنى ساعده) (26)
يعتز دين الله في رحبه ... بالفتية الراكعة الساجده
و تزخر الخيرات في أرضه ... بالأضلع الكادحة الجاهده
و يطفح اليسر على أهله ... بالأنفس الحازمة الحامده
مصدر اشعاع على مغرب ... حقق فيه الأمة الواحده
لذ (بالثعالبى) (27) في خلده ... ينبئك عن بجاية الماجده
(و بابن سبعين) (28) ومن جادلوا ... فافحموا • بالحجة الراشده

25) لعبت بجاية ادوارا هامة فى تاريخ المغرب وكانت مصدر اشعاع علمى وأدبى عدة عصور فكانت غير ما مرة عاصمة لدول مستقلة واضطلعت بأعبائها فى عهد الدولة الحفصية ونزح اليها اقطاب العلم والادب من الاندلس فبثوا علومهم وثقافتهم وكونوا ما يسمى بالمدرسة الاندلسية الزاهرة •

26) اعنى سقيفة بنى ساعدة التى كانت دار شورى للصحابة عند الملمات •

27) عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبى دفين الجزائر ـ المتوفى ـ حوالى سنة 875 • انظر ما قاله فى فهرسته . والثعالبى أشاد بالعلماء الذين كانوا لا يعرفون الامراء ولا يخالطونهم •

28) أحد علماء بجاية الاعلام عبد الحق بن سبعين جادل النصارى فأفحمهم •

(و بابن تومرت) (29) واصراره   في ثورة جامحة صامده
يغزو خرافات الألى حرفوا   دين الهدى ، بالبدع الفاسده
من شوهوا الدين بأهوائهم   و النظرة الضيقة الجامده
و زهدوا في الدين أتباعه   فأصبحت أكبادهم شارده
قالوا : اجتهاد العقل من ضلة   فأغلقوا أبوابه القاصده
لولا احتكام العقل ، ما في الدنا   منفعة ترجى . ولا فائده !
بجاية يا قصتي الخالده   كفيت شر الأعين الحاسده
في كبريا، القلعة العاليه   أشدو بني حماد الحانيه
أستوقف التاريخ في أفقها   أسأله : أين (بنو غانيه) ؟ (30)
و أين من أغراهم حسنها   فانحدروا منها الى الهاويه
(آشير) ما زال بها شاخصا   كأنها قبلته الثانيه
(و قصر بلارة) لما تزل   بلارة ، عن سحره حاكيه
يحنو (أميمون) على (نجمها)   فترعش (اللؤلؤة) العاتيه
قل (لابن حمديس) أمن رقة البلار » صاغ البحر و القافيه ؟
أم من دهاها • صاغ الحانه   ألم تكن بلارة ، داهيه ؟
بجاية ، تكبر صنهاجة   في لحمة قدسية ساميه

(29) المهدى بن تومرت كان يشن حملة ضارية على من غيروا ومسخوا مفاهيم الاسلام بالتأويلات المغرضة ويدعو للرجوع الى جوهر القرآن والسنةمع ترك باب الاجتهاد مفتوحا للضالعين ٠

(30) من راجع مصادر التاريخ يلم بتفاصيل زحف بنى غانية على بجاية سنة 580 ٠

تصاهر الحسن بها و الحجى ... في الوحدة الجبارة الغاليه
واسأل بها (جيطان) (31) هل عمروا ... ام أخذتهم اخذة رابيه
عن (بربروس) (32) استقص اخبارهم ... يا ليتها . قد كانت القاضيه
يا (برجها الاحمر) هل هذه ... فيك دمانا لم تزل قانيه ؟
تضمخ الأرجا. أنفاسها ... من عطر (حطين) و (أنطاكيه)؟
و كم لهذا الشعب ، شعب الفدا ... من مهج صارخة داميه
قل للأساطيل التى أصبحت ، ... في بحرنا الآمرة الناهيه
من أجبر الدنيا على حبنا ... فاستسلمت طيعة ، راضيه ؟
و نحن قوم عهدنا ذمة ... ما لم تخننا الفئة الباغيه
هل ينكر (الحاخام) (33) اكرامنا ... و صدقنا في العهد (للجاليه ؟
ليت الألى عاثوا بأقدارنا ... تذكروا (الفاشيست) و (النازيه) !
في كبريا. القلعة العاليه ... اشدو بنى حماد الحانيه

31) خيطان او جيطان الاسبان . وكان الامبراطور كسنيس بعد ان استولى على وهران كلف (بيير دو نافرو) سنة 1502 م بغزو عدد من المدن الشاطئية ومن بينها بجاية التى وصل اليها في 5 يناير 1510 واستغل انحلال اهلها لاحتلالها .

32) سنة 1512 اتصل الامير ابو بكر بعروج واخيه بربروس ملكى البحر واتفق معهما على القيام بهجوم طارئ. لانقاذ المدينة ففعلا وانتصرا ثم نزلا الى البر وأحرقا سفنهما ثم اتجها عن طريق البر الى جيجل التى اتخذاها قاعدة لنشاطهما العسكرى البحرى فيما بعد .

33) امبراطور اسبانيا كان قد اغتنم فرصة وجوده فى بجاية لتصفية حسابه مع اليهود للمرة الثانية بالتعذيب واحراق كتبهم ومعابدهم ثم بطردهم جميعا منها وذلك بعد ما طردهم من الاندلس سنة 1432 كما طرد العرب ، وقبل الاسبان كانت جماعات من نخبة المثقفين اليهود اختارت الاستيطان ببجاية لما يسودها من خير وأمن وكانت هذه الجماعة تعيش فى أمن ودعة تحت حماية الحماديين ، وكان على رأس الجالية اليهودية الحاخام ابن يمينة الذى كان يتمتع فى الاندلس بصيت ذائع لتضلعه فى الآداب العربية والعبرية ولقد ذهب اليهود حين طردهم الاسبان الى بلاد القبائل التى آوتهم وأحسنت اليهم وكانوا مندمجين فى مختلف القرى والجبال ويمارسون خصوصا صناعة الصياغة التي اشتهرت بها بعض الاعراش مثل بنى يني .

آمنت بالشاعر (34) « و الشاعره (35)	و الموج و (المغارة الساحره) (36)
و بالألى قد وحدوا مغربا	و دعموا اللحمة و الآصره
و بابن باديس ، و أجداده	من صنعوا (جوهر و القاهره)
بجاية أنت عروس الدنا	و الجنة الفواحة الناظره
منك ، اصطفى العالم ارقامنا	و لم تزل ـ طول المدى ـ سائره
(زروق) (37) أسرى فيك للمنتهى	و لم تزل آثاره باهره
و (ناصر الدين) (بمشدالة)	عم حجاه البيد و الحاضره
و (ابن ابى القاسم) من صرحه	لما تزل أنباؤه طائره
(منصور) و (ابن الفضل) لم يعجزا	(عمران) فى أفكاره العامرة
و اذكر (أبا محمد) تنبعث	(أحكامه الكبرى) مع الذاكره
و الشاعر الفحل (أبا طاهر)	و ابنته (عائشة) الماكره
تهجو بليدا أصلعا ، خاطبا	زلت به أقدامه العاثره
دقت على (يافوخه) صفعة	و برقعا للجبهة الصاعره
من خطفت (لؤلؤة) (38) لبها	لم تكترث بالأوجه الباسره
و من رأت فى القصر أقدارها	بات اسمها (عائشة القادره)
قصر اذا ما شئت أوصافه	فلابن حمديس الرؤى النادره (39)

34 ـ 35) الشاعر ابو الطاهر عماره وابنته عائشة وهجوها المشهور .

36) المغارة الساحرة تقع فى اعكاس وهى محراب الجمال .

37) جميع اسماء الاعلام هنا هم اقطاب الفكروحملة الرسالة . فراجع كتاب عنوان الدراية

38) اللؤلؤة احدى القصور الثلاثة قصر أميمون ، النجم ، اللؤلؤة .

39) الابيات التالية كلها معارضة لقصيدة ابنحمديس التى طالعها :
قصر لو أنك قد كحلت بنوره ـ أعمى لعاد الى المقام بصيرا

لو كحل الأعمى بانواره ... اجفانه . لأصبحت ناظره
او نضحوا من عطره ميتا ... عادت اليه الوثبة الغائره
لم يصنع الفرس شبيها له ... مهما تكن قصورهم فاخره
(خورنق) يجثو خشوعا على ... أقدامه ، فى ذلة صاغره
مل (السدير) التيه فى كبره ... و تاب من شهرته الكافره
حصباؤه الدر ، ولولا المها ... يفرشنه ، بالأعين الفاتره
ما اشتقت حور العين فى جنتى ... و لم أكن أطمع فى الآخره !
ترابه المسك ، أمن حلقها ... أنفاسه الدافئة العاطره ؟
لو خطرت فيه (رميكية) ... يوما ، لعاشت دهرها شاكره
أو كان فى الفردوس ظل له ... لتبت من اخطائى القاهره
(بجاية) قصرت فى وصفها ... فصفت فيها اللمحة العابره
امجادها كون ، تضيق اللغى ... عن حصرها . و الهمم الشاعره
وقفت فيها أغمر الملتقى ... مشاعرا ، جياشة هادره
و أكبر الفكر ، و اشعاعه ... (و ملهما) قد قام بالبادره
آمنت بالاسلام ، مهما يكن ... ايماننا أكذوبة سافره
يبرأ منا وبه نختفى ... و كم علينا دارت الدائره
و ثورة الاسلام لا ينطفى ... لهيبها فى الأمة الثائره
و دمنا الفوار لما يزل ... يصرخ فى أكبادنا الفائره
آمنت بالشعب ، و زراعه ... فى الأرض ، أو فى الأنفس الحائره
و الأرض ، مثل العرض ••• فى حاجة ... للأعين الكشافة الساهره
اليك يا شعب صدى أضلعى ... يا وطنى ••• يا أمتى الثائره ! !

بجاية فى 25 مارس 974

مفدى زكريا

توصيات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

اللجنة الاولى

النقطة الاولى :

موضوعها : وضع الاقليات والجاليات عموماوالاسلامية خصوصا فى كثير من بلدان القارات الخمس وواجب العلماء والمفكرين ، ورجال‌الاعلام نحوها ·

الرئيس : د· ليلى الصباغ

المقرر : الاستاذ خليفة المحفوظى

الاعضاء : د· عبد الكريم سايتو
د· سلفاتورى بونو
د· محمد نجاة الله الصديقى
د· محمد هشام سلطان
د· محمد على صبرى
الاستاذ سلفادور غوميز نوغالس
الاستاذ اميليو غاليندو اغيلار
الاستاذ أحمد بودة
الاستاذ الشاذلى مكى
الاستاذ موسى بوخريص
الاستاذ رشيد بن عيسى
الاستاذ أحمد البرقى

التوصيـــــات

ان اللجنة الاولى المنبثقة عن الملتقى الثـامن للفكر الاسلامى ، والمنعقد ببجاية فيما بين فاتح ربيع الاول و 12 منه لعام 1394 هـ الموافق لـ : 25 مارس الى : 5 أبريـــل سنـــة 1974 م ، وبعد الاستماع الى محاضرات الاساتذة : الدكتورة ليلى الصباغ (سوريـا) والدكتور محمد نجـــاة الله الصديقى (الهند) والاستاذ فرنسيس مونهايم (بلجيكا) والدكتور سلفاتورى بونو (ايطاليـا) والدكتور عبد الكريم سايتو (اليابان) والاستمـاع الى المناقشات والتعقيبات والملاحظات وأسئلـة الطلبة والرد عليها ٠

ونظرا لما تبدى من تعرض الجاليات الاسلامية فى المهجر ، لاوضـاع اقتصادية واجتماعية وثقافية سيئة ، وما يمكن أن تؤدى هذه الاوضـاع اليه من عزلة وانفصام عن الوطن ، واندماج فى المجتمعات المقيمة بها ٠

ونظرا لاشتداد مجابهة أخطار الدعايات المعادية ، نتيجـــة لنشـــاط العنصرية والاستعمار والصهيونية ، كأحداث مارسيليا ، والاغتيالات الموجهة ضد العرب والمسلمين ، وما تتعرض لـــه الاقليات الاسلامية من اخطار العنصرية كما هو الحال فى الفليبين وايرتيريا ٠

ونظرا لضرورة العمل على حماية حقوقها الانسانية وحرية ممارسة شعائرها الدينية ٠

وتكملة لما صدر من توصيات عن الملتقى السابع للفكر الاسلامى ، فان الملتقى الثامن فيما يتعلق بالجاليات الاسلامية يوصى بما يلي :

1 ـ ضرورة مواصلة السعي بصورة منسقة على مستوى دول المغرب العربى من أجل استرجاع مسجـد باريس ٠

2 ـ تهيئة فرص العمل فى البلدان الاسلامية لاعادة المغتربين للاسهام فى تنميتنا الاقتصادية ٠

3 ـ تنسيق جهود السفارات الاسلامية ، وتوحيد خطـــة عملها لحماية هذه الجاليات مـــن الاضطهادات ، وتوفير المناخ الثقافى الاسلامى للحيلولة دون انسلاخها عـن شخصيتها الاسلامية ، وتعليم أبنائها اللغة العربيــة لفهم الدين الاسلامى ٠

4 ـ ارسال مرشدين للتوعية الاسلامية فى أوساط اخواننا بالدان المقيمين بها ، وفتح مفتشيات ومراكز للشؤون الدينية لجاليات المغرب الاسلامى ٠

5 ـ مطالبة الحكومات الاسلامية بتعيين موثقين بسفاراتها لمباشرة قضايا الاحوال الشخصية٠

6 ـ ضرورة التعاون بين مختلف الهيئات الاسلامية فى المهجر ، والسعى لتنسيق العمل بينها٠

7 ـ الاهتمام بالمخيمات الصيفية الخاصة باستقبال أبناء المغتربين فى الوطن الاصل ، وتوعيتهم بالثقافة الوطنية والاسلامية ·

8 ـ التعريف بقيم الاسلام وحضارته فى البلاد المقيم بها المغتربون ، تمتينا للعلاقات وحسن التفاهم والاحترام المتبادل ، ونشر اللغة العربية فى هذه البلدان ·

وفيما يتعلق بالاقليات الاسلامية ، يطالب الملتقى الثامن بما يأتى :

1 ـ أن تحترم حكومات البلاد التى بها أقليات اسلامية ، ميثاق الامم المتحدة ، وميثاق حقوق الانسان ، حماية لشخصية هذه الاقليات الجسمية والمعنوية ·

2 ـ ويطالب الحكومات الاسلامية بالقيام بواجب الاخـــوة الاســـلامية تجاه هذه الاقليات المستضعفة ·

3 ـ العمل من طرف الحكومات الاسلامية على انشاء اذاعات موجهة الى الاقليات والجاليـات الاســلامية ·

وأما الجاليات غير المسلمة المقيمة فى دار الاســـلام ، فان الملتقى الثامن بعد التقرير بأنها تتمتع بحقوقها الكاملة ، يوصى :

ـ بالاستمرار على هذه المعاملة الحسنة التى تمتعت بها هذه الجاليات فى ظل الحكم الاسلامى والتى نصت عليها أحكام الشريعة الاسلامية ·

بسـم الله الرحمن الرحيم

اللجنـة الثانيـة

النقطـــة الثانيـة :

موضوعها : دور المفكر اليوم وعلى مر العصور فى أمته وتجاه الانسانية فى كل من قضايا الساعة وآفاق المستقبل ·

الرئيـس : د· ابراهيم مكى ابراهيم

المقـــرر : د· عمـار طالبى

الاعضـاء : د· صـلاح الصاوى

د· هورست غريكه

د· محمد الزنيبر

د· محمد عزيز الحبابى

د· راشـد الراجح

د· محمد على صبرى

الاستاذ احمد انور الجندى

الاستاذ عبد الرحمن شيبان

الاستاذ محمد بن عبد الله

الشيخ يوسف اليعلاوى

التـــوصيات

تناولت اللجنة الثانية بالبحث والمناقشة موضوع النقطة الثانية من نقاط الملتقى الثامن للفكر الاسلامى ـ المنعقد ببجاية من 1 ـ 12 ربيع الاول 1394 هـ الموافق لـ 25 مارس 5 افريل 1974 م ـ على ضوء الابحاث والمناقشات التى جرت فى الملتقى وعلى ضوء ما طرحه اعضاء اللجنة من آراء تبين لهم ما يلى :

اعتبارا للدور الاساسى الذى يجب أن يقـوم به الاسلام فى توجيه ثقافتنا .

ونظرا لما للصراع الفكرى المعاصر من أثـر بالغ فى توجيه المجتمعات .

ونظرا لتكالب الاستعمار الثقافى من جميـع الجهات على الشعوب المتخلفة قصد اخضاعها لتبعية فكرية ، وبالتالى لتبعية سياسية واقتصادية .

ونظرا لتقنع كل هذه النيات الاستعمارية المبيتة بقناع العالمية ،والعصرية ، ونشر الحضارة :

يرى الملتقى الثامن للفكر الاسلامى المنعقد ببجاية من 1 ـ 12 ربيع الاول 1394 هـ الموافق لـــ (25 مارس ـ 5 افريل 1974 م) ما يلى :

1) ان المفكر هو الملتزم بقضايا مجتمعه تحليلا ، ونقدا ، واثراء ، وريادة ، انطلاقا من مفهوم الاسلام الصحيح .

2) ضرورة ارتباط المفكر بالمجتمع ومشاكله حتى يتسم تفكيره بالواقعية والالتزام ، وحتى يكون انتاجه ذا اثر فعال فى التقدم المستمر لمجتمعه .

ونظرا لما تقدم يوصى الملتقى الثامن للفكـر الاسلامى بما يلى :

1) العمل على تحليل تراثنا الثقافى ، ودراسته ، ونقده ، ونفى الجوانب السلبية عنـــه ، وتوضيح العناصر الحية فى صورة مناسبة للعصر ، مع تنشيط حركة احياء التراث .

2) العناية بكتابة تاريخنا كتابة منهجية تحرره من كل الوان التزييف الاستعمارى والتحريف المغرض ، وذلك لتزويد اجيالنا الصاعدة برؤية موضوعية سليمة لتاريخنا فى سائر مجالاته ، ولبناء نهضتنا المستقبلة على بصيرة من ماضينا الذى شوهت بعض معالمه كثير من كتب التاريخ .

3) تؤكد توصيات الملتقى السابع للفكر الاسلامى وخاصة وجوب ممارسة الاجتهاد ممـــن توفرت فيه شروطه .

4) أن يكون للمفكر المسلم اطلاع دقيق علـى التفكير العالمى المعاصر بروح نقدية حتى يستفيد من العناصر الايجابية منه ، ويرفض كل ما يتنافى ومقوماتنا الاساسية .

5) الاستفادة من العلوم والتكنولوجيا ومـن العناصر البناءة فى تجارب الامم الاخـرى تحقيقا لكل ما يمكن مجتمعنا الاسلامى من تقدم حضـارى ، ومقاومة كل ما يتعارض والعقيدة الاسلامية والاخـلاق ٠

6) التزام وسائل الاعلام المختلفة بالسير فى خط متواز مع مبدا الاسلام ، واننا لنؤكد مرة أخرى توصيات الملتقى السابع الخاصة بوسائل الاعلام ، وندعو لمراعاتها ٠

7) نظرا لما للتربية والتعليم من أهمية بالغة فى تكوين المفكر فان الملتقى يوصى بضـرورة وضع فلسفة تربوية ترسم فيها الاهداف الاساسية الصالحة لاعداد المواطن المسلم ٠ وتوضـع بمقتضاها المناهج والبرامج الكفيلة بتحقيق تلـك الاهداف ، ويعقد لهذا الغرض ملتقى خاص ٠

8) العناية بتدريس الثقافة الاسلامية فى جميع المستويات التعليمية ٠

9) احداث جامعة اسلامية نموذجية من حيث التجهيز والاطر فى كل قطر اسلامى لاعطـاء التعليم العالى صبغة اسلامية بالاضافة الى تدريس جميع العلوم والتخصصات ٠

10) التحرر من التبعية الفكرية الاجنبية فى ميدان الدراسات الاجتماعية والانسانية عامة تلك التبعية التى اصطبغت بها الجامعات فى البلاد الاسـلامية ، وتوجيه هذه الدراسات النظرية منها والتطبيقية الى صميم التغيرات الاجتماعية التى يمر بها مجتمعنا اليـوم ٠

11) العمل على كتابة دائرة معارف اسلامية موضوعية عصرية بمشاركة سائر المتخصصين فى مختلف المعارف والفنون ٠

12) مقاومة كل مظهر من مظاهر الجمود ، واقتلاع جذور كل الوان الشعوذة والدجل وكـل رواسب الانحطاط وعوامل التخلف وكل أنواع الانحرافات عن السلفية القويمة ٠

13) العمل على تحقيق التعريب الكامل فى البلاد العربية باعتبار اللغة العربية مقوما أساسيا من مقومات كياننا الوطنى ، والعمل على نشرها فى مختلف البلاد الاسلامية لما لها من صلة وثيقـة بالعقيدة والفكر الاسلاميين ، وتؤكد توصيات الملتقى السابع فيما يتصل بالعناية بالعربية فى البلاد الاسلامية باعتبارها **الاداة الضرورية لفهم الاسلام فهما صحيحا** ٠

14) تشجيع المفكر الجاد الفعال بمكافآت تقديرية ٠ لانتاجه الفكرى ٠

15) العمل على أن يشارك المفكر الاسلامى فى اغناء الفكر الانسانى ببذل الجهد من اجـل تحقيق التفوق فى سائر مجالات الفكر والفن والعلم استمرارا من أن الفكر الاسلامى فى أصـوله فكر عالمى لا يفرق بين بنى البشر الا على أسـاس الخير والعمل الصالح قال تعالى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ٠

I6) تضامن المفكر الاسلامى الفعال مع الشعب الفلسطينى وسائر الشعوب العربية المجابهة للصهيونية لتحرير فلسطين والقدس الاسلامية ٠

I7) مساهمة المفكر الاسلامى فى بناء العالم الحاضر بدعم حركات التحرر للشعوب والدعوة لتصفية الاستعمار ومناصرة المضطهدين واقرار السلم والاحترام المتبادل بين سائر الامم ومناصرة كل القضايا العادلة فى العالم ٠

I8) اضطلاع المفكر بدوره الطلائعى الفعال فى أمته وعلى مستوى الانسانية كلها كموجه لها ، معزز لاتجاهاتها الصحيحة ، ناقد لاوضاعها الباطلة ، ومشاركته الفعالة فى العمل على النهوض بمجتمعه فى مختلف المجالات العقائدية ، والثقافية ، والاقتصادية ، والسياسية ، بغية تحقيق العدالة الاجتماعية وتمكين المواطن المسلم من حياة الحرية والكرامة الانسانية ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

اللجنة الثالثة

النقطة الثالثة :

موضوعها : مساهمة بجاية الحمادية فى الحضارة والفكر الاسلاميين والعالميين أسباب وآثار انحطاطها ·

الرئيس : الاستاذ عثمان الكعاك
المقرر : الاستاذ أحمد حمانى
الاعضاء : الاستاذ محمد الفاسى
الدكتور رشيد بوروبية
الدكتور محمد سعيد رعد
الدكتور مولاى بلحميسى
الدكتور نبيه عاقل
الاستاذ المهدى بوعبدلى
الاستاذ أسماعيل العربى
الاستاذ سليمان داود بن يوسف
الاستاذ يحيى بوعزيز

بســم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد النبي الكــريم

التــوصيــات

تناولت اللجنة الثالثة بالبحث والمناقشة موضوع النقطة الثالثة من نقاط الملتقى الثامن للفكر الاسلامي ـ المنعقد ببجاية من 1 ـ 12 ربيــع الاول 1394 هـ الموافق 25 مــــارس 5 أبريل 1974 م . وعلى ضوء الابحاث والمناقشات التى جرت فى الملتقى .

ـ وعلى ضوء ما طرحه أعضاء اللجنة مــن آراء تبين لهم ما يلى :

• ان عوامل ازدهار الحضارة ببجاية ومشاركتها فى الفكر الاسلامى والعالمى تعود الى ما يـــــاتى :

1) موقعها الجغرافى المتميز وما نجم عنه من آثار فى النهضة الاقتصادية .

2) ما يتمتع به السكان من استعداد فطرى حسن ومقدرة على تمثل معطيات الحضارة العالمية .

3) ما كان للاسلام من فضل فى توحيد صفهم وتربيتهم وصقــل نفوسهم والمساواة بينهم فى الحقوق والواجبات .

4) ما تحقق من انسجام بين السلطة الحاكمة والشعب واتضح من حرص السلطة على احقاق العدالة بين الناس والشواهد على ذلك كثيرة فى التاريخ .

5) ما اتصف به نظام الحكم من حرص على تحقيــق التسامح الدينى فى ميدان التعايش ، والثقافة وخير مثال على ذلك وجود المسجد كجامعة علمية للمسلمين وبجانبه « بيت الحكمة » يؤدى نفس المهمة العلمية للمسلمين ولغيرهم ممن كانــوا فى بجاية أو وافدين عليها لطلب العلم والثقافة .

6) اجتذاب بجــــاية اقطـــاب العـــلم والفكر من الاندلس والمغرب وقيام اكاديميات للبحث والدرس والمناظرة والاستنتاج .

7) احتضانها لكبار المفكرين ذوى المبادئ البناءة التى ساعدت على انشــــاء حضارات انسانية ففيها اتفق ابن تومرت مع تلميذه عبد المؤمن بن على على تخطيط ادى الى تأسيس دولة الموحدين التى قامت على انقلاب جذرى .

8) المساهمة العارمة من علماء القرى فى منطقة بجاية وما نجــم عنها من مساهمة فعالة فى النهضة الفكرية والحضارية داخلا وخارجا .

9) النهضة العمرانية المتمثلة فى الاهتمام بالريى ، والمواصلات من انشاء الطرق وتعبيدها ، وتنظيم القوافل ، وتوفير الامـن لسيرها والانتفاع بها ٠

10) التكامل فى ميدان الانتاج : الزراعة والصناعة والمعادن والتجارة وما تبعه من مركـب بحرى كامل يقوم على ديوان البحر والميناء والاسطول والمعاهدات التجارية والعمليات المصرفية والتجاريـة ٠

11) الاصالة فى الفن المعمارى والزخرفى فى بجاية وانتقاله الى مراكز الحضارة فى حوض البحر الابيض المتوسط الغربى وخصوصا صقيلية وسردانية ٠

• وأما عوامل انحطاطها فقد رأوا انها تعود الى ما يـأتى :

1) ما تعرضت اليه من غزوات نصرانية من النورمان ، والاسبان ،وفرسان مالطة وغيرها من اخوانيات الفرسان ، ومن هجمات الاساطيل لجمهوريات كبيشا ، وجنوة ، والبندقية ، واخيرا هاجمها اسطول شرلكان واحتلها وشرد جند سكانها وخرب معالمها ، وقضى على نشـاطها فى ميدان الفكـر ٠

2) ما أصابها من فتن او حروب ناشبة بين المسلمين ، كهجومات بنى غانية ، وافتكاكها من ايديهم ، ومن قبلهم استيلاء الموحدين عليها واسقاطهم لدولتها واعتبارهم اياها عاصمة ولاية بعد ان كانت عاصمة دولة ٠ ثم هجمات المرينيين ، والحفصيين ، والزيانيين ، وغير ذلك من فتـن الثورات والانقلابات بين الولاة ٠

3) ما تعرضت له من افساد الاعراب وتخريبهم لباديتها وقطع طرق المواصلات ، وافسـاد نظام الريى والقوافل ، وتخريب القرى والمنشـآت الزراعية ٠

4) نقل حكام الترك عاصمة الدولة منها الـى الجزائر ـ فكانت عاقبـة ذلك فقدانها لدورها التاريخى فى الحضارة والاقتصاد والعلم ٠

5) هجرة سكانها واعيان رجالها من علمـاء وتجار واداريين بحلول جيش الاسبان بها منذ سنة 915 هـ ـ 1509 م ٠ وانتقال مركز الحكم والقاومة ودور العلم الى داخل البلاد ٠

6) انهيار الاخلاق وتفشي الفساد والاقبـال على اللهو واللعب والترف يدل على ذلك قيـام ابن تومرت بتحطيم آلات الطرب ، وتكسير اوانى الخمور وخيانة بعض قـادة الجيش والوزراء الذين فتحوا الباب لعبد المومن وانهوا بعملهم دولة الحماديين ٠

ان اللجنة بعد أن عرضت دور بجاية المشرق أيام عزها ، ودواعي انحطاطها وما آلت اليه مستخرجة من التاريخ العبر والعظات تود ان ترى بجاية تعود الى عزها السابق وتلعب دورا في خدمة الفكر والحضارة حقيقا بسمعتها التاريخية ولهذا فانها توصي بما يأتي :

1) بالعمل على كتابة تاريخ كامل لبجاية في مختلف عصور تاريخها ٠

2) باعداد « بيبليوغرافيا » أي ثبت مستوعب لمصادر بجاية الحضارية مستمد من الكتب وأوراق الخزائن والآثار وغيرها ٠

3) باعداد ديوان (كربوس) لآثار بجاية من قصور ومساجد وقلاع وشواهد قبور ، ونقوش الخ ٠٠٠

4) باعداد ديوان لرجال بجاية في شتى الميادين ، وديوان للامكنة الجغرافية يستفاد منه ٠

5) باعداد ديوان للمخطوطات البجائية والبحث عنها ، والكشف عن طلوسها ٠ ما يوجد منها في مكتبات اوروبا وأمريكا وآسيا ٠

6) تكوين معهد للدراسات البجائية ٠

7) اعداد ديوان (كربوس) عن النقود والصياغة واللباس والاسلحة والفولكلور وايجاد متاحف لذلك ٠

8) ضبط مجموعات الفن التطريزي والرسوم والموسيقى ٠

9) اقامة لوحات تذكارية تعين الاماكن التاريخية وتشرح دورها الماضي التاريخي ٠

10) تنظيم مواسم ثقافية لاحياء ذكرى بعض اعلام بجاية في ميادين الفكر والجهاد ٠

11) العمل على انشاء كلية علمية تابعة للجامعة الاسلامية في بجاية احياء للمهمة التي كان يضطلع بها (بيت الحكمة) ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

اللجنة الرابعة

النقطة الرابعة :

موضوعها : مساهمة الحضارة والفكر الاسلاميين فى مختلف مجالات العلوم ، والفنون والتراث الانسانى على العموم ·

عوامل ازدهارها : اسباب انحطاطهما وشروط انبعاثهما ·

الرئيس : د· عثمان امين

المقرر : د· محمد وصفى ابو مغلى

الاعضاء : القاضى عبد الله الشماحى

د· الحبر يوسف نور الدايم

د· هشام الصفدى

د· سعيد شيبان

د· احسان عباس

د· مانفريد فلايشهامر

د· ميغال دى ايبالزا

الاستاذ مصطفى عبد الله بعيو

الاستاذ محمد المنتصر الكتانى

الاستاذ محمود منصور

1 ـ تمهيـــــد

بلغت الحضارة الاسلامية مرتبة رفيعة فى التاريخ · وتميزت بالاصالة والرحابة ، ولكـــــن اسبابا كثيرة ـ اخلاقية واجتماعية ـ قد أثرت فى هذه الحضارة فادت الى تأخرها ، فى مختلف المجالات · ويرى أعضاء اللجنة أن ذلك التأخر يعود الى عدة أسباب ، اهمها :

2 ـ اسبـاب الانحطاط

1 ـ الابتعاد عن روح الدين ، والقعود عـن الامر بالمعروف والنهيى عن المنكر · والتنكـــر للاجتهاد ، والانصراف عن التشريع الاسلامى · ويضاف الى ذلك مجافاة روح العلم والانحراف عنها انحرافا انتج تخاذلا عقليا واخلاقيا ، تلمـس آثاره فى المجتمع الاسلامى المعاصر ·

2 ـ فقدان الحرية الفكرية ، وتهافت الـروح المعنوية ، وماصحب ذلك من تفكك فى الوحــدة الاسلامية عـامة ·

3 ـ شـروط الانبعـاث

ولبعث الفكر والحضارة الاسلاميين ، تـرى اللجنة أن تتقدم بالتوصيات الآتية :

1 ـ احياء التراث الاسلامى بين أهله ، والعمل على نقله الى غيرهم ·

2 ـ وضع فهارس جديدة للمخطوطات الاسلامية الموجودة فى مختلف دور الكتب فى العالم ونشر ما يستطاع نشره من هذا التراث ·

3 ـ الحرص على تشجيع نشر الكتب العلمية باللغة العربية ، لغة كبار المفكرين فى الاسلام والقضاء على المعوقات الحالية التى تعرقل انتشارها ·

4 ـ العناية بالتربية الاسلامية فى مراحل التعليم المختلفة لتجديد شخصية الانسان المسلـم ، وابراز قيمه الاخلاقية ·

5 ـ الحرص على تدريس مادتى « الحضارة الاسلامية » وتاريخ العلوم فى الحضارة العربية الاسلامية فى الجامعات والمدارس الثانوية الاسلامية ·

6 ـ العمل على تهيئة الاستقرار النفسى والمادى للمفكرين والعلماء فى العالم الاســلامى ، حتى يفرغوا للانتاج الفكرى ، للقضاء على الاسباب الحقيقية الداعية الى هجرة العقول الاسلامية · مع بذل الجهد لاسترجاع اكبر عدد ممن هجروا ديار الاســـلام ·

7 ـ تزكية التعليم العالى فى العالم الاســلامى والعربى ، لكي يستجيب لمطالب النهضة ·

8 ـ تنسيق الجهود فى جميع الميادين مع تبـــــادل ذوى الكفايات والامكانيات الضرورية لانبعاثهم ومساهمتهم فى موكب الحضارة الانسانية ·

ويحيى الملتقى بالتفاؤل بوادر الوعي الجديد الذى بدات تتجلى مظاهره فى العالم الاسلامى ·

بســم الله الرحمن الرحيم

اللجنــة الخامســة

النقطة الخامســة :

موضوعها : الانية والاصالة مع التفتح والعالمية ٠ معنى هذه المفاهيم ـ مــــدى امكانية التوفيق بينها ـ درجة أهمية هذا التوفيق فى عالم اليـــوم بالنسبة للفــرد ، والمجتمع ، ومصير الانسانية كلهـــا ٠

الرئيس الشرفى : معالى السيد عبد الله بن بيــه

الرئيــس : د ٠ زكى نجيب محمود

المقــــرر : د٠ عبد الفتاح الديدى

الاعضاء : د٠ ابراهيم فخــار

الاستاذ صبرى ابو المجد

الاستاذ عبد القادر ديدى

الاستاذ مفدى زكرياء

الاستاذ رشيد بن عيسى

الاستاذ عبد الوهاب حموده السائحى

الاستاذ النقيب حموده عاشورى

الاستاذ سعيد الحاج عيسى ٠

الاستاذ محمد الاخضــر عبد القادر

الاستاذ عبد الرحمن بلعقون

الاستاذ مصطفى عسلاوى

الاستاذ مبروك العوادى

التوصيـــات

اجتمعت اللجنة الخامسة يوم الاحد 7 ربيـــع الاول 1394 هـ الموافق لـ 1974/3/31 م وانتخبت معالى السيد عبد الله بن بيه ، وزير العدل فى الجمهورية الاسلامية الموريتانية ، رئيسا شـريفا ، والدكتور زكى نجيب محمود ، أستاذ المنطق الوضعى بجامعة القاهرة ، رئيسا فعليا ·

وبعد دراسة الموضوع ومناقشته تقرر اللجنة ما يلى :

أولا : تحديد مفاهيم الانية والاصالة والتفتح والعالميـــة ·

1) **الانية :** هي وعي الذات لنفسها وتوكيدها كذات مسلمة ·

2) **الاصالة :** هي تنمية الذات بالتزام القيم الاسلامية والتعبير عن هذه القيم فى مختلف مجالات الحيـــاة ·

3) **التفتح :** هو تبليغ رسالتنا الروحية الى العالم فى ممارسة الاخذ والعطاء · وهي اقتبـــاس كل ما تتأكد الحاجة اليه مما هو لدى غير المسلمين فى حدود الاصالة ·

4) **العالمية :** بعد التوكيد أن ما يدعى بالمعاصرة هو تعبير عن الحضارة الغربية فى طور سيطرتها وأنه لا ينبغى لها ادعاء تمثيل البشرية جمعاء فان اللجنة ترى أن العالمية هى تلـك الجوانب التى تلتقى فيها مجموعة الثقافات على تنوعها ·

وبناء على هذه التعريفات الاولية ترى اللجنـــة الا تناقض بين هذه المفاهيم التى يمكن أن تتعايش فى حياة اسلامية موحدة ـ وبعبارة جامعة فعلى المسلم أن ينظر الى المعاصرة من منظـار الاسلام ولا ينظر الى الاسلام من منظار المعاصرة·

ثانيا : التوصيـــات :

ولذلك كله توصى اللجنة بما يلى :

1 ـ فى ميدان التـربية

أ) بأن تبث التعاليم الاسلامية الصحيحة للناشئة فى مراحل التعليم كلها بحيث ينتهى الدارس وهو متمسك بالتعاليم وملتزم بها ·

ب) توصى اللجنة بتعميم التدريس على جميع مستويات التعليم باللغة العربية حـرصا على تبليغ الاسلام وتعاليمه باللغة الأصلية ، لغة القرآن ·

ثانيا : في ميدان وسائل الاعلام :

ا) توصى اللجنة بان تعمل وسائل الاعـلام المكتوبة والمصورة والمنطوقة على نشر الثقافة والمفاهيم الاسلامية الصحيحة ·

ب) كما توصى بمراقبة جميع ما تستورده وسائل الاعـــلام ، فى ميدان السينما والتلفزيون وغيرهما للحيلولة دون نشر وانتاج كل ما يتنافى مع الاســلام ·

ثالثا : فى ميدان الفكر والادب والفــن

ا) توصى اللجنة بان يضطلع رجال الفكـــر والادب والفن ـ كل بوسيلته الخاصة ـ بمهمــة ترسيخ صورة الحياة الاسلامية كمـــا ينبغى لها أن تكون حتى نضمن للجماهير الاسلامية غـــذاء فكريا وأدبيا وفنيا نابعا من الروح الاسلامية ومعبرا عنها ·

ب) بدعوة المسؤولين السياسيين ورجال الادب والفن والفكر الى أن يواجهوا خطر الغـــزو الفكرى بما يدفعه عن الامة الاسلامية التى يشكــك فى مقوماتها ·

رابعا : فى ميدان نقــل العلوم

توصى اللجنة بنقل العلوم الطبيعية والتجريبية والتكنولوجيا الى الشعوب الاسلامية بلغاتها الوطنية للاستفادة منها على أوسع نطاق وليكــون ذلك وسيلة فى أيدى المسلمين تمكنهم من التحكم فى عصرهم اثباتا لوجودهم ·

كلمة اختتام

الملتقى الثامن للفكر الإسلامي

مولود قاسم نايت بلقاسم
وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية

بسم اللـه الرحمن الرحيـم ،
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،
حضرات الاساتذة الافاضل ،
حضرات السادة والسيدات ،
اخوتي الطلبة والطالبات .

اذا كان لكـل شيء اذا ما تـم نقصـان ، فان ملتقاكم نهايته بدايته،واسمه كنايته،اذ توصياته تواص بالتطبيق والعمل ، وعدم الاستغنا عنهما بالتمني والأمل . ومن هنا فاختتامه انطلاقـه ، ونتائجه لا يبددها افتراقـه .

فنحن على موعد صدق ، يقابل فيه ما حبر في الأوراق بما يقدم في الاطباق ، وتلقي فيه نظـرة فاحصة ، ناقدة لا حاقدة ، على مدى الجـديـة والحرص في وصل القول بالفعل ، لتهيئة الافكار ، وخلق المناخ ، والاعداد للتغيرات الجذرية بـكل حرص والتـزام !

حضرات الاساتذة الافاضل ،

اخوتي الطلبة والطالبات ،

1) لقد تدارستم أوضاعا شاذة ، تعاني منهـاجاليات وأقليات في كثير من جهات العالم . مـن تمييز عنصري ، وتعصب ديني ، يتخذان عديدا من الصور والاشكال ، وينعكسـان في المجـالات الثقافية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، على هـذه الضحايا ، ويبلغان أحيانا حد الاغتيال والابـادة الجماعية ، وقررتم العمـل ومضـاعفة الجهـود ،والاستعجال فيها ، لتوعية الدول والجماهير بضرورة تصحيح هذه الاوضاع،وايجاد حلول تضمن كرامةهذه الجاليات والاقليات ، وتحفظ مـاء وجه تلك الدول والمجتمعـات .

2) واستعرضتم دور المفكر ، أي مفكر ، في أي زمان أو مكان ، نحو أمته وتجاه الانسانية كلها ، في كل من قضايا الساعة وآفاق المستقبل ، ورأيتم انه قد حان الوقت للمفكر ليخرج من برجـه العاجي ، وألا يبقى مكتوف اليدين سلبيا ، يوافق دائما ويصفق ، ويتوارى وينمق ، ويمدح ويزوق . عوض أن يحقق ويدقق ، ويصدع برأيه ويحلق . ويوجه ويؤثر ، ويفحص قبل أن يؤشر ، ويجاهر ويظاهر ، ويصرح ولا يلمح ، ليؤدي أمانته ، ويبلغ رسالته ، ويضطلع بمسؤولياته كاملة ، وهو الذي ينبغي أن يكون أكثر من غيره على الحق أحرص ، وقد روي في الحديث أن الساكت عن الحـق شيطان أخرس .

3) وتصفحتم سجل بجاية على مر عصورهـا ، وخاصة في عهدها الحمادي المجيد ، وما قامت بـه بعد قلعة بني حماد من دور مشرف عظيم في اثراء الحضارة والفكر الاسلاميين والعالميـين ، ودرستم أسباب ازدهار هذه الدولة ، وانحطاطـهـا ، واتضح لنا جميعا انه الى جانب الحملات الصليبية المتوالية ، والاعمال التخريبية الناشئة عن تصورات بدائية ضيقة لدى أغلب الدول الاسلامية في تلك العصور ، نجد الانقطاع الى حياة التـرف والبذخ ، والميـل الى الدعة والمتعـة ، وشيـوع الانحلال الخلقي ، وذوبان المبادئ والقيـم ، فتخنث الرجال ، واسترجلت النساء ، فانعكست المفاهيم ، وانقلبت الاوضاع !

كل هذا الانحلال قد نجم عنه الاختلال ، ممـا مهد للانهيار والاحتلال ، وتلك كانت حـال المرابطين قبلها ، والموحدين بعدها ، كما يفصلها لنا ابن خلدون ، وذلك كان مصير الحضـارات ،

وتلك كانت سنة الله فى الدول على مر التاريخ ،« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا » صدق الله العظيم !

4) وفصلتم النظر والقول فى الحضارة والفكر الاسلاميين ، وما قدماه من مساهمة فاصلة فى مختلف مجالات العلوم ، والفنون ، والتراث الانسانى على العموم . وتناولتم بالدرس عوامل ازدهارهما ، وأسباب انحطاطهما ، وشروط انبعاثهما .

وتبين لنا هنا أيضا أن ما قيل عن بجاية والقلعة ينطبق فى الجملة على الحضارة والفكر الاسلاميين فى مجموعهما ، من قيام فتن . واشتداد منازعات ، واحتدام صراعات خربت بها الامة الاسلامية بيوتها بأيديها ، ومن هجمات وحملات حاقدة استهدفتها ، وكانت تروم منذ زمان محوها والقضاء عليها . وصادف ذلك كله ركود ، وجمود ، وطغيان ، وهى كلها آفات نجم عنها الانهيار والخسران .

تلك هى عصارة تجارب الامم منذ ما قبل بابل ويونان ، وفرس ورومان ، وأندلس ونرمان ، فمن راجع نفسه . واستخلص دروس التاريخ ، وتخلص مما به من جمود وركود ، انتعش وأمكنه النهوض ان أسرع وعجل ، أو هدده الموت والاندثار ان سوف وأجل !

على انه اذا كانت معرفة الماضى وما كان من ملك ومن ملك ضرورية لبناء الحاضر وتخطيط المستقبل ، فلن يغنينا اجترار الماضى والامجاد ، ولن يجعلنا التغنى نترك شيئا للاحفاد !

فعلينا ان اردنا اللحاق بالركب ان نتجاوز المراحل عوض الاكتفاء باجتيازها ، وذلك ان الهوة التى تفصلنا عن العالم المتقدم لسحيقة . وجراح تخلفنا وركودنا لواسعة عميقة . والى ما يفصلنا عن ماضينا من هوة وجفوة ، أضفنا فى مسيرتنا الحديثة كم من كبوة وهفوة !

5) وعالجتم بكل من الحماس والموضوعية مشكلة الأصالة والتفتح ، وتساءلتم مع المتسائلين عما اذا كان ينبغى باسم الأصالة والمحافظة على التقاليد اسدال حجاب كثيف على الاعين ، ووضع القطن فى الآذان . واغلاق جميع الابواب والنوافذ ، أم أنه ، باسم التطور والتفتح ، يستحسن خرق الحشمة والوقار ، وعدم الاكتفاء بفتح النوافذ والابواب ، بل يلزم نزع السقوف والرفوف ؟

وانتهيتم الى ضرورة الجمع بين مزايا الطرفين النقيضين ، اللذين لا يتمان الا متكاملين ، لضمان الوضع الطبيعى فى الدار ، وقلتم بفتح الابواب والنوافذ . مع الاحتفاظ بالسقوف والرفوف . وأكدتم انه لا بد من الأصالة مع التفتح . وانه يتحتم التوفيق بين الانية والعالمية ، واستعدتم

بالله من كل أعشى غاسق ، من النور والاكسجين آبق ، يسد علينا منافذ الضيا، والهواء ، ناصحا باختيار الظلمة والاختناق . ومن كل أهوج فـاسق . يدعونا الى هتك الستر ، وما يسميه التحرر والانعتاق ، يريد لأبوابنا الانشقاق ، ولسقوفنا الانفتـــاق !

وقررتم بعد درس واستقصا، : فاما انيتنـــــاو منيتنا ، وقلتم : أصالتنـــا هي حصانتنـــــا ، وعملنا شرطه علمنا ، واطلاعنا يقتضيه تطلعنا ٠

أيها الشباب ، كن علما لتساهم في العالمية ،ولا تكن امعة من قوم تبع فتظلـم وتهضـم ، او تلفظ وتـرفض !

كن قطعة بارزة في اللوحة تكن لك ذاتيتـك ،وتميز تحفظ لك انيتك،ولا تكن شاحبا باهتا والا انطفأت وشطبت ، ولا لينا طيعا والا عصـــرت واذبت ، ولا لقمة سائغة والا استمرئت وغرفت ، وعملنا شرطه علمنا ، واطلاعنا يقتضيه تطلعنا !

كن انسان عصرك ، ولكن لا نسخة غيرك ، ايجابيا متفاعلا لا سلبيا منفعلا ، متفتحا لا منفتحــا ، متطورا لا مطورا ، ومؤثرا ايضا لا فقط متاثرا ،فالحياة تعامـل وتبادل ، والحـوار من اطـــراف متساوية ، والا كنت مجرد سائل متسول ، ناقصافي نفسك ، عارا على أمتك ، وعالة على الانسانية !

حضرات الاساتذة الافاضل ،

لقد آن لنا أن نشكركم على كل ما بذلتمـــوه من جهد ، وتجشمتموه من تعب ، ولـكم فيمـــا استفدتموه بعضكم من بعض ، وفيما افدتم بـه الطلبة وايانا جميعا من علم ينتفع به دائم الأجـر وخير الجـــزاء ٠

وأنتم اخوتي الطلبة والطالبات ، فلقد امتثلتم لنظام صارم ، وركزتم الانتباه ، وكانت مساهمتكم بناءة فعـــالة ٠

وثناؤنا على سلطات الولاية لما قامت به من عمل دائب ، وبذلته معنا من جهد متواصل منذ شهور ، ولسكانها لما اولوه الملتقى من كرم وترحـــاب ،وهنيئا لسكان الناصرية بالذات ، زيادة على ذلك كلـه ، بدوام حرصـهم على تتبـــع المحـاضرات والمناقشات ، وما بثوه في الملتقين من روح منافسة وسباق ، وشكرا لجميع من ساهموا في انجـازه وتسييره ، من جميع الادارات والمؤسسات ، عـلى مختلف المستويـات ٠

وداعا بجاية ، عرين الناصر والمنصور ، ومـدينة النار والنور ، وعاصمة المنظوم والمنثـــور ، ذات البحر الصامد ، ومصب النهر الخــــالد ،الصومـام ذي المجد الطريف والتالد !

والى اللقاء للجميع في الملتقى التاسع في مدينة الورود والشقائق ، والجنان والحدائق ، في مدينة العيون والفنون ، مثوى العباد والزهـاد ،ومعقل بني عبد الواد ، في عاصمة ايغمراسن بن زيان ، في تلمسان !

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته !

محمد علال الفاسى المجدد المجتهد

حياته فى سطور ـ 1328 ـ 1394 هـ (1910 ـ 1974 م)

رب يسر و أعن

احمد حمانى (رئيس المجلس الاسلامى الاعلى)

ـ ولد محمد علال بن عبد الواحد الفاسى بمدينة فاس فى يناير 1910 م (محرم 1328 هـ او ذى الحجة 1927 هـ) .

ـ كان ابوه من اكبر علماء القرويين وبيته منتدى للعلماء من مختلف مدن المغرب ، دخل جامعة القرويين وتخرج منها وعمره عشرون سنة (1930) .

ـ شرع يلقى دروسا بالجامعة ويتناول فيها التاريخ فالتف حوله الطلبة .

ـ اعتقل لاول مرة سنة 1930 ثم افرج عنه فتابع نشاطه السياسى ومنع سنة 1933 من نشاطه العلمى فقرر القيام بجولة فى الشمال ، وقبل رجوعه علم بمكيدة دبرت لاعتقاله فدخل اسبانيا ثم فرنسا فسويسرة ، ولا شك انه اجتمع بالامير شكيب ارسلان .

ـ عاد سنة 1934 الى المغرب ونظم النقابات ، واشترك فى تنظيم حركة سياسية سرية .

ـ فى عهد المواجهة الشعبية سنة 1936 اعلن عن حزب « كتلة العمل الوطنى » بزعامته وبعد مر الحرب أسس سنة 1937 الحزب الوطنى . ودبر المستعمرون حوادث دامية بالخميسات ومكناس فى سبتمبر واكتوبر أسفرت عن عشرات من القتلى والجرحى وحملوه مسؤولية جرائمهم فاعتقلوه ونفوه الى الغابون فى نفامبر 1937 ، وبعد هزيمة فرنسا اتصلت به الحركة الديغولية ، والانقليز ونقل الى ابرازفيل ووجدوا منه المطالبة بحق المغرب فى الحرية والاستقلال فابقى فى النفى والاعتقال ، وانتخب رئيسا لحزب الاستقلال وهو ما يزال فى المنفى .

ـ لم يفرج عنه الا سنة 1946 فسافر الى باريس فى شهر اوت واتصل برجال الجامعة العربية والسياسيين العرب ، وبعد اقامة قصيرة فى طنجة سافر الى القاهرة فى 25 مايو 1947 واتصل فيها برجال تونس والجزائر وعملوا فى « لجنة تحرير المغرب » التى تكونت فى ديسامبر 1947 .

ـ كانت هذه الفترة من اخصب فتر حياته القى محاضرات واخرج كتبا منها « حركات الاستقلال فى المغرب » و « النقد الذاتى » و « احاديث المغرب فى المشرق » . وزار عدة بلدان فى آسيا وافريقيا وامريكا وما عاد الى المغرب الا سنة 1956 بعد اعلان الاستقلال اثر نشوب ثورة عارمة فى الريف ، وفى معظم جبال الاطلس متصلة بثورة الجزائر .

ـ فى سنة 1961 عين وزيرا للدولة مكلفا بالشؤون الاسلامية وبقى فى هذا المنصب حتى 1962 فترك الوزارة ورجع الى المعارضة .

ـ انتخب فى البرلمان سنة 1963 ، وتحالف حزبه سنة 1970 مع « الاتحاد الوطنى للقوات الشعبية » وهو الذى كان قد انشق من حزب الاستقلال ، فكونوا جبهة « الكتلة الوطنية » وانحلت فى يوليو سنة 1972 .

ـ كان الفقيد الى جانب اعماله السياسية يقوم باعمال ثقافية جليلة فقد كان استاذا بجامعة القرويين ، وبكليتى الحقوق بجامعة محمد الخامس بالرباط وفاس . وطبعت له كتب جليلة منها « مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها » و « دفاع عن الشريعة » و « النقد الذاتى » و « الحماية فى مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية » و « حماية اسبانيا فى مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية » و « كراس عن السياسة البربرية » و « نداء من القاهر » و « الجواب الصحيح » ويتكلم فيه عن الشهور القمرية واثباتها ، زيادة على ما ذكرمن قبل .

ـ انتخب عضوا برابطة العالم الاسلامى بمكة ويعتبر من ابرز وانشط رجالها .

ـ توفى رحمه الله يوم الاثنين 21 ربيع الآخر 1394 الموافق 13 مايو 1974 بمدينة بوخاريست عاصمة رومانيا ونقل جثمانه الى موطنه حيث احتفل بدفنه احتفالا عظيما من طرف الحكومة والشعب .

محمد علال الفاسى المفكر المجتهد (1)

رب يســــــر وأعــــــن

بسم اللــه الرحمن الرحيــم **صلى الله على محمد النبى الكريم**

ايها الاخوة الكرام

الســلام عليكم ورحمة الله

نجتمع هنا هذا المسا. بمناسبة الذكرى الاربعين لوفاة احد رجـــال النهضة الاسلامية الحديثــة ، والقومية العربية ، والوطنية المغربية ، أحد الاحرار المناضلين ، والثابتــين الصابرين الصابــرين ، والعلما. المخلصين المجاهدين ، وهو الاستاذ محمدعلال الفاسى رحمه الله الذى أختير الى الرفيــق الاعلى يوم الاثنين 21 مــن ربيع الآخــر 1394 هـالموافق 13 مايو 1974 م فى مدينة بوخاريســت عاصمة جمهورية رومانيا بينما كان فى سفــارة يفاوض رئيس الجمهورية فيما يهم المسلمين ٠

وان الكلام على حياة الفقيد واستيفا. جميعجوانبها بما يستحق من عناية ، ودراسة لائقــة لما يستغرق الوقت الطويل ، والمجهود الكبــير ،والكفاءة التامة للقيام بها ، وكل ذلك لا يتوفر لى فى هذه العجالة . ولهذا اخترت ان اتنــاولبعض جوانب حياة الفقيد الفكرية والعلمية ، ولم الم بها الا الماما وعسى ان اكون قد قمت بقليلمن الواجب الثقيل علينا نحو هذا الرجل العظيم فان احسنت وحزت رضاكم فذلك توفيق من الله،وان أسأت وقصرت فقد بينت العذر ، والتقصير من شأن الانسان ٠

1) محاضرة القيت بالمركز الثقافى الاسلامى بمناسبة الذكرى الاربعين التى اقامتها وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية يوم السبت 2 جمادى الثانية 1394 هـ الموافق 22 يونيو 1974 م

وقبل الدخول في الموضوع الذي يشير إليه العنوان رأيت ان اذكر جملة مختصرة ، عن عائلته ومولده ونشأته وتكوينه ٠

مولـده ـ عائلتـه :

ولد محمد علال ابن الشيخ عبد الواحد الفاسي بمدينة فاس عاصمة الادارسة المجيـدة ، وعاصمة المغرب التاريخية والروحية والثقافية ٠وذلك في النصف الاول من شهر المحرم 1328 هـ أو في النصف الاخير من ذي الحجـة 1327 هـ ٠(لانه ولد في شهر يناير 1910 وابتداء السنـة الهجرية لعام 1328 هو 15 يناير 1910) ٠ وينحدر الشيخ علال من عائلة عربية ماجـدة قرشيـة صريحة النسب ، دخلت الاندلس لاول الفتح ثـم خرجت منها مع آخر المهاجرين حيث استقـرت بمدينة فاس ٠

يقول الامير شكيب ارسلان رحمه اللـه :« وفي فاس اندلوسيـون كثـيرون اشهرهـم آل الفاسي . وهم من بني الجد الفهريين الـذين كانوا في قرطبة ثم في اشبيلية ثم في مالقة الى ان ارتحلوا الى فاس عندما لم يبق دار اسـلام بالاندلس ٠ وفي كل من العدوتين حفظت هـذه الاسرة مجدها وسراوتها ورئاستها ومنهم الشاب الناهض السيد علال الفاسي ، والشاب الفاضـل محمد الفاسي وفقه الله وهو من نخبة شبـان المغاربة وانجم العرب الذين اتموا تحصيلهم في باريـز (1) » ٠

ويقول الاستاذ عمر بهـاء الدين الامـيري ـ في مجلة الشهاب اللبنانية ـ « ذكر لي الفقيد بنفسه ان أصل اسرته من طليطلة وكانت لهـا فيها امارة (2) » ٠

والفهريون هم القرشيون عند النسابـين ، نسبة الى فهر بن غالب بن النضر بن كنانة كما في لسان العرب « وقريش كلهـم ينسبون اليه »ويصدق هذا قول حسان رضي الله عنه في اجابة الزبرقان ابن بدر شاعر وفد تميم عن المهاجرين واغلبهم من قريش :

ان الـذوائب مـن فهـر واخـوتهم   قـد بينـوا سنـة للنـاس تتبـع

---

1) حاضر العالم الاسلامي . تعليق شكيب ارسلان . المجلد الثاني ـ ص 48 ط القاهرة 1352

2) عدد 24 من السنة السابعة 7 جمادى الاول 1394 هـ ـ 1 يونيو 1974

وهو عند ابن هشام « فهر بن مالك بن النضر بن كنانة » وبعض النسابين يجعلون فهرا هو قريش ، والاصح ان قريشا هو جده النضر بـن‌كنانة «ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي» هذا شيء قد اتفق عليه ابن هشام وصاحب اللسان .ولكن اختص بالنسب الى فهر من القرشيين بنو الحرث بن فهر . واجلهم مكانة واعظمهم درجـــةهو ابو عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الامـــة واحد العشرة ، وفاتح الشام ومطهرها من الروم‌وقد رضيه ابو بكر وعمر خليفة من بعد رســـول الله لو قبل • ومن قادة الفهريين العظام في الحرب‌والسلام الضحاك بن قيس الساعد الامين لمعاوية بن ابي سفيان • ومنهم الفاتح العظيم عقبة بـن‌نافع بن عبد القيس الفهري ، كان في اركـــان حرب عمرو بن العاص في فتوحاته وله المقـــام‌المحمود في غزو افريقيا والتغلغل في الصحـــراء والسودان قبل ان يكون صاحب الفتح المبـــين‌لاقطار المغرب كلها حتى وصل الى المحيط‌الاطلسي ثم كتب له الله الشهادة بارض الزاب من بلادنابتاهودا حيث يثوى الى الآن مع اكثر من ثلاثمائة من كرام الصحابة والتابعين في مدينة « سيدي‌عقبة » يقول الناصري : « ولما استشهد بالزاب بقي بنوه به (يعني بالزاب) فكانت لهم وجاهةمعروفة بين اهله لمكان ابيهم عقبة من جهاد العدو وما فتح الله على يده من الاقطار واختطاطه مدينةالقيروان التي هي كرسي الامارة فكان ما منح الله أهل المغرب من الاسلام والدين كله في صحيفتهفنالوا بذلك شرفا خاصا زيادة على شرف القرشية وعز الفهرية فكان يكون لهم الشفوف في بعض الاحيان على الولاة فضلا عن غيرهم (1) » . على ان الفهريين أول من دخل الاندلس فاتحين في بعض‌الروايات ، وكانوا في آخر من خرج منها . ودانت لهم بالسيادة في بعض الفترات •

يقول ابن عذاري المراكشي : « اما دخـول‌المسلمين اليها فذكر فيها اربعة أقوال احدهما ان الاندلس دخلها عبد الله بن نافع بن عبد القيس‌وعبد الله بن الحصين الفهريان من جهة البحر في زمن عثمان رضي الله عنه قال الطبري اتوها من‌برها وبحرها ففتحها الله تعالى على المسلمين هي وافرنجة وازداد في سلطان المسلمين مثـــــل‌افريقية (2) » ثم يقول : « وان ذلك كان سنـــة 27 من الهجرة الكريمة (2) » .

1) الاستقصا في اخبار المغرب الاقصى ج 1 – ص 116 ط . الدار البيضاء 1954

2) البيان المغرب ج 2 – ص 5 ط بيروت 1950

ثم ذكر بقية الاقوال • ولعل هذا كان فيغزوات موفقة سبقت فتح موسى بن نصير وطارق بن زياد للاندلس ، وعلى كل فان الفهريين كانواأيضا في الذروة من رجال موسى في الحـــرب والسياسة يدل على ذلك ما رواه المراكشي عـــنولاية عبد العزيز بن موسى اذ قال : « واستخلف موسى على الاندلس ابنه عبد العزيز وترك معـهحبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع وزيرا له ومعينـــا ، واقـــام معهما بالاندلس مـــن ارادسكناها (1) » • فكان حبيب الـرجـل الثـاني بالاندلس • وقد اعتمد عليه الخليفة سليمان بـنعبد الملك ليتخلص من عبد العزيز بن موسى بعد ان نكب اباه واخاه والي افريقيا وخشي ان يخلعطاعته ، فقد اتصل بحبيب ورؤساء الجيش وامرهم بقتله بعد ما يقرب من سنتين من ولايته فاطاعواالخليفة وأخذ حبيب رأسه . ولما اشتعلت الفتن بين امراء الامويـــين بالمشرق ، واذنت شمسدولتهم بالمغيب استقـــل الفهريون بالحكـم في افريقيا والمغرب ، فاستولى عبد الـــرحمن بنحبيب على كامل ارض المغرب سنة 127 هـ ثـم استولى ابنه يوسف بن الفهري على الاندلسودانتله سنة 129 هـ حتى اذا جاءت فلول الامويين لقيت منهما عنتا ومقاومة ولم يعترفوا بحكم العباسيين•وقاوم الامير يوسف الفهري عبد الرحمن الداخل مقاومة شديدة كان الظهور في معاركها للداخـلحتى قتل بناحية طليطلة سنة 142 هـ ولكن بنيه لم يسكتوا عن الطلب فكان الامير عبد الرحمنيحارب الثائرين منهم ، وكثيرا ما يعفو عمن ظفر به منهم ففي 169 ثاب محمد بن يوسف بن عبد الرحمن وتحرك من طليطلة وجهة الشرق بالحشود وقتل في السنة التالية وقام بالامر بعده اخـوهعبد الرحمن بن يوسف ثم اذ عن بالطاعة (2) •

ولقد ثبت الفهريون في هذه البلاد المغربيةوالاندلسية . التي سقيت ارضها الطيبة بدماء الشهداء من اسلافهم . وكانوا أوفياء للاسلام ،فانهم لم يرتحلوا عن الاندلس الا بعد ان لم يبق دار للاسلام ، يقول الفقيد :

« انني واحد من احد الاسر التي عاشتسبعة قرون في الاندلس المسلمة ، وهاجرنا منها حينما تغلبت النصرانية عليها ، ومنعت اسلافنامن اعلان ديانتهم واقامة شعائرهم (3) ـ وكمـا وجدنا اسماء الفهريين في معارك الاندلس الاولىالمشرقة نجد اسماءهم اللامعة في معاركها الاخيرة البئيسة فقد روى الامير شكيب ملخصا عـــنواشنطون ارثين لفتح غرناطة يذكر فيها بعـض هذه المعارك اليائسة التي كانت تدفع حمـــلاتالتنصير وعدوان فرديناند الكاثوليكي قـــال :

1) البيان المغرب ج 2 ـ ص30
2) انظر المصدر المذكور
3) دفاع عن الشريعة ـ ص 47

« اجتمع منهم نحو من ثمانمائة فارس وساروا الى قرى المغاربة يخربون ويعيثون فاعتصم المغاربة بالجبال . وانتشرت الفتنة (الثورة) فى الجبال كلها لكن وسطها كان فى جبل «برميجة» المصاقب للبحر فلما اتصل الخبر بالملك فرديناند اصدر اوامره بنقل المسلمين الساكنين فى جهات الثورة الى قشتالة وأعطى الامر سرا بان من يدخل منهم فى النصرانية يبقى فى وطنه ثم رمى الامة بالقائد المشهور « ألونزو دو اغيلار » ومعه جيش وهو الذى قضى معظم شبابه فى قتال المغاربة فما اقترب من بلادهم حتى هرع جملة وافرة منهم الى رندة للدخول فى النصرانية وجهر الباقون تحت قيادة فارس منهم اسمه الفهرى الى حيث يتعذر السلوك ... فتلاقى الجمعان وانتشب القتال (I) وكانت الدائرة فى أول الامر على المسلمين ثم « كر عليهم الفهرى بجماعة من ابطاله وعلت الصرخة فارتجت لها جوانب الاودية وذعر الاسبانيون فتداعوا الى الفرار وثبت ألونزو فى مكانه يحرضهم ويضم من شتيت شملهم فصبر معه جماعة وولى الاكثرون ودخل الظلام وخيم الغسق ... وجرح بطرة بن الونزو فامره ابوه بالرجوع فاصر على البقاء بجانب أبيه ... وتحصن الدون بين صخرتين يتقى بهما فبصر به الفهرى فقصده واستحر الصراع وألح الفهرى وطمع فى قرنه وكانا متماثلين فى ثبات الجنان مع قوة الاضلاع وتوثق الحلو فصاح ألونزو بخصمه « لا تحسبن نفسك وقعت على صيد هين فانا الدون ألونزو دو اغيلار » فأجابه المغربى : ان كنت أنت الدون ألونزو فاعلم أنى أنا الفهرى ثم كوره ضريعا ... واندفع المغاربة ذلك الليل بطوله يطاردون الاسبنيول ... حتى لاح الصباح فأجلى المعترك عن قتل « الدون فرانسيسكو دو راميز » المجريطى الذى كان قائد المدفعية الاكبر (I) » .

وقد لا تكون بين هذا البطل الاسلامى العظيم من آل فهر ، وبين علال صلة نسب ، ولكن الوفاء للاسلام والثبات عليه ، والاستماتة فى الدفاع عنه . والجهاد فى سبيل اعلاء كلمة الله قد تكون قدرا مشتركا بين الفهريين القدامى منهم والمحدثين ، حتى اذا زال عن الارض وصف دار اسلام ، ولم تبق – فى النظر السديد – متبوا للايمان وأهله ، وجبت منها الهجرة الى دار الاسلام وهذا ما يفسر تدرجهم فى الهجرة من طليطلة الى قرطبة ثم من قرطبة الى اشبيلية ثم من اشبيلية الى مالقة والى الجبال المصاقبة للبحر ثم الى المغرب ويقول الفقيد :

I) حاضر العالم الاسلامى م . الثانى – ص I9 – 20

« وها هي ذي قرون أخرى مضت علينــاونحن في المغرب نحس فيها بنوع من الشوق الى ذلك الماضي الزاهر في الاندلس . ونتمنى بكــلاخلاص لو انقذ الله تلك الديار مما اصابهــا ، ولكنا لا نعتبر الاندلس وطنا لنا وانما نعتبــرالمغرب وطننا كاننا لم ننحدر اليه من غيره لانــه هو الذي حقق لنا مدلول الآية القرآنية « **والذين تبوأوا الدار والايمان** » « ففي المغرب فقط نجد متبوأ لنا في الارض والايمان (1) » . قال هــذاالكلام ردا على من يزعم ان التراب هو الجامع بين المواطنين وليقول : ان الوطن أرض وشعب وعقيدةوشرائع ومناهج للحياة .

نشأته وتكوينــه :

في مدينة فاس ـ حيث ولد ـ توجد اقدمجامعات الدنيا وارثة ثقافة الاندلس والعصــور الاسلامية الزاهرة ، ومنذ عهد المرينيين لم تخلمن فطاحــل الرجـــال الذين برهنـــوا عـــلى كفاءة في فهم الشريعة وعلومها وبيان مقاصدها ،وحفظ العربية ونشرها . وقد كان لهم المواقف الرائعة في بيان الحق ونصرة أهله من ذوي الافكارالاصلاحية والدعوة السلفية والامثلة على ذلـــك لا تعوز الباحث ، وقد كان أبوه الشيخ عبـــدالواحد الفاسي من جلة علماء عصره « ترك مجموعة قيمة من الفتاوي والاحكام تدل على علو كعبه فيهذا الشأن (2) » وكانت داره مجمع نخبة علماء من الاعلام . فشب في بيئة علمية رفيعة ، وأخذيتأهب ليكون رائدا من الرواد ، ولما أدرك وتأهل للدراسة العالية انخرط في سلك طلبة جامعــةالقرويين حيث كان بها « نخبة كبيرة من علمــاء الفقه المشار اليهم بالبنان ، والمثنى عليهم بكــلسان ، مثل علامة المغرب سيدي أحمد بن الخياط الذي له المؤلفات الجيدة في العلــوم الاسلامية ،وسيدي احمد بن الجيلالي الامغاري الــذي كانت دروسه الفقهية تمتاز بالتدقيق وشدة الملاحظــةومفتي المغرب سيدي المهدي الوازاني صاحــب المعيار الجديد وغيره من الكتب الفقهية الممتازة ،والسيد عبد الله الفاسي ... وسيدي احمد بن المأمون البلغيثي ، وسيدي أحمد بن المـــواز ،وسيدي محمد بن العربي العلوي ، وغيرهم كثير كلهم أمتازوا باتقان الدرس واجادة الفتوى والفهمفي القضاء (3) . وكل هؤلاء الذين ذكرهم ـ في معرض التدليل على وجود علماء مقتدرين عـــلىصياغة الفقه الاسلامي في مجلة قضائية ـ وشهد

1) دفاع عن الشريعة لعلال الفاسي ـ ص 47
2) دفاع عن الشريعة لعلال الفاسي ـ ص 300
3) نفس المصدر والصفحة

لهم بما علم اتصافهم به - يعتبرون من شيوخه الذين سمع منهم ، وانتفع بهم وشاركوا في تكوينه بدروسهم وتآليفهم . وقد اشتهر من بينهم العلامة الامام محمد بن العربي العلوي بنزعته السلفية ، وافكاره الاصلاحية ، واتصاله برجال النهضة الاسلامية وتأثيره في طلابه وكل من اتصل به من شبان المغرب فكان في المغرب بمثابة محمد عبده ورشيد رضا في مصر ، وابن عاشور والنخلي في تونس ، وابن باديس واصحابه في الجزائر . وكان على اتصال بعلماء الجزائر ورجال نهضتها وانتخب عضوا شرفيا بجمعية العلماء . ولقد كان كثير من علماء المغرب يشاركون في تحرير مجلة الشهاب في مطلع حياتها ويكتبون المقالات الرائعة والابحاث النفيسة ويعلنون الحرب الشعواء على الخرافات والتدجيل والشعبذة والاباطيل ويعملون لتحرير الفكر من الجمود وتصحيح العقائد . وكونت حركة الشهاب ومقالاته تأثيرا عظيما في الاوساط المغربية لانها كانت متنفسا للاحرار والمفكرين وقد شهد الفقيد في تصريح بفضل الشهاب عليه وعلى الحركة في المغرب ، ومن يراجع مجموعة الشهاب يقتنع ان معاول الهدم لاركان الضلال والاستعمار وتحرير الفكر بدأها هؤلاء العلماء الذين كانوا يكتبون مقالاتهم تحت اسماء رمزية . وكان علال آنذاك في مطلع شبابه ، ومع ذلك فانه شارك في هذه النهضة بالنثر والشعر ولما يتجاوز 17 عاما . ولم يكن انتاجه دون مستوى الفحول من حملة الاقلام من حيث الافكار والمبادئ ، ففي 13 من شعبان 1345 هـ (17 - 2 - 1927 م) نشرت مجلة الشهاب له بامضاء «محمد علال الفاسي» قصيدة عنوانها « واحسرتاه » هذا نصها

... الى كم نعيش بدون حياة ... وكم ذا ننام عن الصالحات
فواحسرتاه على حالنا ... وماذا استفدنا من الحسرات ؟
عرانا الذهول و يا ليتنا ... عرانا الذهول عن المهلكات
أنبقى بلا عمل نافع ... و نرضى جميعا بهذا السبات ؟
حنانيك يا وطني ما اعترا ... ك ، كم ذا أصابتك من مفجعات
أضاع بنوك عقولهم ... وجاءوا الى القوم بالمضحكات
ألا ينظرون الى شعبهم ... أما عندهم له أدنى التفات ؟
لقد شغلوا بسفاسفهم ... و ليس عليهم اذا قيل مات

و قائلة لم لا تقتفي   سبيلهم ان أردت النجاة ؟
ألست تراهم فعيشتهم   هنيء و هم أرفع الدرجات ؟
أتحزن أنت على حالهم   و هم ينسبون لك الموبقات ؟
فطورا يقولون ذو غرض   و آونة ما له من حصاة
و آنا جهول و كم مرة   يريدون سقيك كأس الموات
لأنك سفهت أحلامهم   و عبت قبولهم المرحفات
فدعهم وشأنهم و اتخذ   لنفسك غير سبيل العظات
فقلت و قد فطرت كبدي   و سالت على خدي العبرات
هو الحر يقتحم المهلكا   ت اما الى العز او للممات
وليست براضية نفسه   مقاما على مثل هذي الحياة
ولو أن نفسي تطاوعي   وأرضي ضميري رضيت السكات
ولكن نفسي تمنعني   وذلك شأن نفوس الأباة
أ أرض ببذل و منقصة   وعندي لسان من المرهفات
سأجعل لي مسكنا في السها   فان لم أجده فبين الرفاة
ولي أمة فقدت مجدها   سأخذمها بسنا الخدمات
وأنفخ في نفسها نهضة   تروق على سائر النهضات
وألقي على نشاها نظرة   ترقى البنين وتعلي البنات
فتبلغ ما أبتغيه لها   وما يرتجيه جميع الحماة
فلي مبدأ سوف أخدمه   وأبلغه رغم أنف العداة
وليس علي اذا غضبوا   وكانوا الوشاة وأردى الوشاة
سيكفيني الله شرهم   وهل مثلهم يبرد العرمات

وانی عـــلی مبـــدئی ســائــر فاما حیـــاة واما ممـــات (1)

والقاء نظرة على هذه القصيدة « الشابة »تقنع قارئها أن الشاعر قد فكر بعد فی شـــأن أمته ، واستنكر ما عليه قومه من ركود وخمول ،وأنكر اهمال شأن الشعب من الطبقات الرفيعـة المترفة • وأعلن أن نفسه ألزمته ان يقتحم فیسبيل خدمة امته المهلكات فقبل والتزم وعاهد أن يخدمها بسنا الخدمات وان ينهض بها الى مـايبتغي ويرتجيه كل الحماة ويرقى البنين ويعـلی البنات ، وهذا ما قضى فيه حياته حتى الممـاتوبذل فيه كل المجهودات فبلغ أبعد الغايات » وفی 20 رمضان 1345 هـ (1927/3/24) نشرت لـهقصيدة أخرى ، قيل عنها من بعد انها أول انتاجه تحت عنوان « سيعرفنی قومی » :

أبعـد مـــرور الخمس عشرة ألعب وألهـــو بلـذات الحيـاة وأطـــرب ؟
ولی نظـــر عـــال ونفس أبيـــة مقامـا عـــلی هـــام المجـرة أطلب
وعندی آمــال أريــد بلوغهـــا تضيـع اذا لاعبت دهـری وتـذهب
ولی أمـــة منكـــودة الحـظ لم تجد سبيـــلا الى العيش الـذی تتطلـب
قضيـت عليهـا زهـو عمـر تحسرا فما ســاغ لی طعـم ولا لـــذ مشرب
ولا راق لی نـــوم . وان نمت ساعـة فانی عـــلی جمـــر الفضـا اتقلـب
وصرت غريبا بـين أهـــلی ومعشری ومـــن كان ذا فكر كفكری يغـرب
تعـيرنی هنـــد نحـــو لی وما درت بأنی مـــن فـرط التحسر موصـب

ويقـول فيها :

عذيـــری من قـوم أتـوا بسفاسف وجـوههم بـين البـريـــة صلـــب
بذلت لهـم نصحی وقلـت تعلمـــوا وكـــل ذوی الرأی السقيـم تجنبوا
ولا تركبـــوا متن الغوايـة والـردی ومتن العـلا والجـد والحزم فاركبـوا

---

1) الشهاب عدد 84

دعوتهم للصالحات فأعرضوا وقالوا ضلالا أنت خبث مكذب
تحزب ضدى كل أهوج ظالم ولو علموا أنى الفتى ما تحزبوا
وما ساءنى فى القوم الا عقولهم وظنهم أن المعالى تـوهب
وكنت أرى تحت العمائم حاجة فما هى الا أن يدوم المرتب
بلوت بنى أمى سنين عديدة فالفيت ان النشء للخير اقرب
ولكن : أين النشء فهو مولـه وأين ضمير النشء فهو محجب

ويختم بقوله :

سيعرفنى قومى اذا جدجدهم كما عرفونى اليوم اذ قمت أخطب
فما الفذ الا من يصارح قومه وما الفذ الا من يقول فيعرب (1)

وقد أستحق بمثل قوله فى القصيدة الاولى :«وانى على مبدئى سائر ـ فاما حياة واما ممات» وقوله فى هذه « سيعرفنى قومى اذا جد جدهم »لقب الشاعر الحماسى من الاستاذ ابن باديس رحمه الله . وكان لهذه القصيدة وامثالها دوى فى الجزائر فقد روت الشهاب فى عددها 126 قول احد آبائنا « أذكر اننا كنا قرأنا ببسكرة قصيدة تطفح عاطفة وشعرا نشرها الشهاب الكريم لاخينا شاعر فاس النابغة العبقرى الشاب السيد محمد علال الفاسى طالعها «أبعد مرور الخمس عشرة ألعب» ؟ فتهاديناها بشارة يبشر بعضنا بعضا ، وفرحنا بهذا الشاعر الجديد فرحا شديدا » ثم ذكر الكاتب أنهم أقاموا حفلة تكريمية رمزية للشاعر لم يحضرها ، وترأسها الاديب الكاتب الشاعر محمد الامين العمودى رحمه الله » وسبب هذا الاحتفاء أنهم علموا بوجود شباب ناهض وعصبة مؤمنة وناشئة مباركة زكية تجد فى تحطيم الخرافات وتطهر العقائد وتدعو الى سبيل المؤمنين بالحكمة والموعظة الحسنة (2) . كانت هذه الحركة السلفية بالمغرب مدعمة لحركة الجزائر ، مزلزلة لأركان الجمود، مهدمة لاساطير الاستعمار بالقطرين موحدة لجهود العلماء ، وكان للشهاب ومقالات

1) الشهاب العدد 89
2) صدر فى 20 جمادى الأخيرة 1346 هـ (1927/2/15)

علماء المغرب فيه فضل في يقظة الرأي العـــام المغربي وتطلعه وحسن توجيهه وتخلصه من آثار الدجل والخرافة والجمود · وقد أحس المستعمرون بشدة وطأتها وخطرها على مشاريعهم الاستعمارية والتنصيرية وعلى أحبابهم ومصالح عملائهم فمنعوا دخولها بقرار من المقيم العام الفرنسي م· ستيق ، صدر في 29 جوان 1927 وقبل هذا المنع كانت ــ كما جاء في مراسلة من المغرب ــ : «تحت» مراقبة ادارة الاستعلامات التي لا تسوغ تفريقها وبيعها قبل مطالعة جميع فصولها وبسبب ذلــك صارت ربما تتأخر في الادارة أياما معدودات ·والحامل للسادة الحكام على ذلك هي الحملة الــتي أقامتها بعض الجرائد الفرنسية ضدها وضـــد جريدة البرق متهمـة لهما بضدية الحكومـــة الفرنسية (1) · أما مجلة الشهاب فقد علقت على هذا المنع بقولها :

« الشهاب خليق به أن يتوقع هذا الضغط على الصحافة والمفكرين (2) » ثم يقول :

« والتحجير الخـانق مما يضاعف للشهاب الشرف وعلو السمعة وقد تعودنا مثل هــــذه التشريفات منذ استشهاد المنتقد (2) » ثم يختم تعليقه « وما علينا الا أن نقابل هذه البساطـــة الجاهلية بالعزيمة الفولاذية والثبـــات الراسـخ اللذين هما العامل الأقوى في جميع انتصاراتنا المشهـودة » :

ولسنا عـــلى الأعقـــاب تدمى كلومنا	ولكن عـــلى أقدامنـا تقطـــر الـدما
لا يقع الطعـــن الا في نحـــورهـم	وما لهم عن حياض المـوت تهليـــل
لا يفرحـــون اذا نالت رماحهـــم	قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا (3)

وشارك علال ــ في الشهاب ــ بمقال نثري أثناء هذه الفترة موضوعه الاخلاق ، بين فيه وجهة نظره وأعرب عن بعض آرائه في الاصلاح . هذه الفترة من حياته كانت حافلة بالاحداث الحـافزة للهمم العالية والقاضية على النفوس الخـوارة ·لقد فتح عينيه على ثورة وطنية عنيفة وكفـــاح حربي غير متكافئ، بين دولتي اسبانيا وفرنسا من جهة ، وطائفة مؤمنة من المغاربة بقيادة الامير

---

(1) عدد 104 من مجلة الشهاب 1346/1/7 هـ ــ 1927/7/7 م

(2 و 3) عدد 106 من مجلة الشهاب 1346/1/21 هـ ــ 1927/7/21 م

عبد الكريم رحمه الله هز هذا الكفاح عـــالمالاسلام هزة عنيفة ، وأذاقه طعم النصر ثم مرارة الهزيمة أمام القوى المتجمعة والتحزب الصليبيالاستعماري ، ولقد شارك علال في معارك فكرية لأول مرة في حياته وبرزت شخصيته فيها يحملقب الشاعر الحماسي . والشاب المفكر ثم ها هو الاستعمار يتدخل ويمنعه من ارتياد هذه الساحة وقراءة الشهاب أو الكتابة فيه . لابد لكل هذا ان يترك اثرا في نفس الطالب الشاب ، وما انانتهى من دراسته بالقرويين ، وحصل على احازتها العليا عام 1930 م حتى وجد نفسه وجها لوجهأمام اكبر تحد للاسلام بالمغرب ، ففي 16 مايو 1930 م اصدر الفرنسيون الظهير البربري ليمنعواالبربر من ارتياد المحاكم الشرعية والتحاكم الى القضاء الاسلامي ويجبروهم عـــلى التحاكم الىالاعراف الجاهلية في بعض احوالهم والى المحاكم والقوانين الفرنسية في الاغلب تمهيدا لفصلهمالتام عن الاسلام وتنصيرهم . لقد كان علال آنذاك في عنفوان سن الرجولة المعتزة بفورة الشبابالسكرى بالامجاد : مجد عائلي ، ومجد علمي ، ومجد قومي ديني فصعد الى رتبة الزعامة وقيادةالجماهير وتوجيهها وتاليبها ضد ارادة المستعمر الكائد فتجمعت عشرات الألوف تردد اســـماللطيف في المساجد منشدة :

يا لطيف ، الطف بنا فيما جرت به المقادر   ولا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابر

وهبط البربر من جبالهم الى المساجـــدينشدون باسم اللطيف مع اخوانهم ويفكرون معهم في وسائل الخلاص ويدبرون له وبدأ الصراعوفوجئت القوى الاستعمارية بما لم يكن لها في الحسبان وتنبأ احد الصحافيين الفرنسيين للفقيدأنهم اذا ثبتوا على المقاومة قد يصلون الى الاستقلال ولكنهم لن يتوصلوا الى ان تمحو فرنسا الظهير البربري . وهذا ما كان ، فقد كان حادث اصدار الظهير البربري من أكبر عوامل تنظيم المقاومـةالعملية التي قادها علال فالقي عليه القبض عام 1930 ثم افرج عنه واخذ يذوق مـرارة الضغطوالاضطهاد والمطاردة والاعتقال والنفي ولكـــن كل ذلك لم يصده ولم يثنه عن عزيمته لانه كانمؤمنا ملتزما :

ولي أمـــة فقـــدت مجدهـــــــا   سأخـدمهـا بسنـــا الخـــدمـــات
وانفـخ في نفسهـــا نهضـــــــة   تـــروق عـــلى سائـــر النهضـــات
والقي عـــلى نشئتهـــا نظــــرة   تـــرقى البنـــين وتعــــلى البنـــات
فيبلـــغ مـــا ابتغيـــــه لهـــــا   ومـــا يـــرتجيـــه جميـــع الحمـــاة

فــلى مبــــدأ ســـوف اخدمــه وابلغــه رغــــم أنـــف العـــداة
واني عـــلى مبــــــدئى ســائـــــر فامــا حيـــاة وامــا ممـــــات

ونظم العمال فى نقابـــات ، والشعب فى تشكيلات سياسية ، وثورية ، وأنشأ المـدارس العصرية ، وعلم فيها بنفسه وعمل للاقتصاد وأبعدعن الوطن معتقلا فى أقسى الظروف الزمنيــــة والمكانية ما يربو عن 9 سنوات . وهاجر لخدمــةوطنه وجال فى انحاء العالم وبلغ شعبه ما يرتجيه من نهضة رائعة ، وطرد المستعمر من البلاد ولم ينسخ الظهير الا بعد الاستقلال ، ولم يفتر علال ولكنه بقى يعمل لما يبتغيه لامته الاسلامية من عزواستقلال فى جميع مناحى الحياة وارتقاء وظهور حتى مات غريبا وهو يعمل ، رحمه الله .

عــلال المفـكر المجتهــد :

لقد كان علال فريدا فى زعماء السياسة ، فذا فى رجال الكفاح الوطنى ، يتحلى بمجمــــــوع صفات قل ان اجتمعت فى غيره : فهو عالم فقيه ، وكاتب قدير ، وشاعر فحل ، وخطيب مصقع ، ومدرس محاضر مقتدر ، وباحث مدقق ، ومحلــل اجتماعى موفق ، ومؤلف ناجح . هذه الخصـــال مجتمعة فيه تدل على كفاءة نادرة ، وعبقريـــــة ،ونبوغ ، وجودة فكر ودقة فهم ، واذا كان مــــع ذلك العزيمة الفولاذية ، والانف الحمى ، والمصابرة والمثابرة بلغ صاحبها أعلى مكان .

والتفكير كما صرح به احد حكماء الغرب « هو مبدأ ارتقاء البشر وبقدر جودته يكون تفاضلهم فيه ! » . ولقد كان علال مفكرا ، ولعل أول مـــن وسم فقيدنا بلقب « المفكر » هو استاذنا عبــــد الحميد بن باديس قدس الله روحه ، وكان ابــــن باديس ذا فراسة قل أن تخطىء ، ضنينا بالالقاب على غير اهلها سخيا بها لمن استحقها تشجيعا منه له وتوجيها ، وأخذا بأيدى الشبان وتكوينا لهم . أطلق على الفاسى لقب « الشاب المفكر والشاعــر الحماسى » ولما يبلغ العشرين ، وقد برهن عــلال بعد على صحة فراسته فيه .

والمفكر اسم فاعل من فكر مضعف فكر بمعنى تفكر ، والفكر ــ بالفتح والكسر ــ اعمال الخاطر فى الشىء ، والتفكير التأمل والنظر العقــــلى ، والتدبر ، هذه أعظم وظائف العقل ، وبالعقل فضل الانسان على جميع انواع الجنس الحى ، واذا كانت بعض التقاليد الدينية قد حجرت حرية التفكــير واستقلال العقل على البشر فان الاسلام ابطل هذا الحجر واعتق الانسان من هذا الرق بتمجيـــــد العقــــل والدعــاء الى استعمالــه بالتفكـــــير واكتشاف الحقائق والمعارف به . ومن المسلمــين

تعلمت أمم الغرب هذه الحرية الفكرية فسعـــدتبرقي المعارف وازدهار الحضارة واستبحار العمران ثم نكس المسلمون على رؤوسهم وحرموها على انفسهم واصبحوا مقلدين في كل شيء حتى في الحرية الفكرية ظنوها بنت الغرب وهي وليدة مبـــادئ الاسلام .

ذكر العقل باسمه او افعاله او ما يرادفه كأولي الالباب واولي النهى أكثر من خمسين مـــرة في القرآن الكريم ، وفيه آيات كثيرة تدعو الى النظر والتفكر والتفكير و « من تأملها علم ان اهل هـذا الدين هم اهل النظر والتفكر والعقل والتدبـير ،وان الغافلين الذين يعيشون كالانعام لا حظ لهم منه الا الظواهر التقليدية التي لا تزكي النفس ولا تصعد بها الى معارج الكمال(1) » ومن هذه الآيات قوله تعالى « **قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفـكروا** » وقوله «**أولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السماوات والارض ومـا بينهما الا بالحق وأجل مسمى** » وقوله « **ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قيـــاما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والارض ربنـا ما خلقت هـذا باطـلا** » ذلك ان استعمال العقل بالنظر والتأمل والتفكر هو طريق الفهم الصحيح والفقه الصريح والوصول الى العلم والعرفان . فهو خليق بارتقاء البشر وتفاضلهم بجودته . وقد صح من سيرة رسول الله صـلى الله عليه وسلم انه كان كثير الصمت قليـــل الكلام وانما يفعل ذلك ليذكر ويتفكر في خلـــق السماوات والارض ويعلم أمته فعل ذلك . وجاء عن الامام مالك رحمه الله انه لم يكن يسرع في الجواب اذا سئل بل كان يفكر كثيرا قبل الجواب حتى يصل الى الصواب سئل عن ذلك فقـال : « ربما وردت على المسألة تمنعني الطعام والشراب والنوم (2) » وقال مرة : « ربما وردت عـــلى المسألة فافكر فيها ليالي » « وكان اذا سئل عـن المسألة قال للسائل : «انصرف حتى انظـــر فيها (2) .

وحدى بمن يفكر في المشاكل المطروحة ويتوقع المشاكل المحتملة ، ويتمعن في المســائـل العارضة متأملا . متدبرا لها الحلول الصالحـة ،مستنبطا لدفعها الوسائل المعقولة أن يصل الى رأي صحيح ويسعد بنتيجة سارة .

1) تفسير المنار ج 11
2) الموافقات لابي اسحاق الشاطبي ج 4 – ص 286

هذا التثبت والتريث في النظر ، والتمهل والتلبث في استنباط الحلول المعقولة للمشاكل الطارئة او المتوقعة هو مذهب علال ، يسلكه ويدعو اليه ، ويستنكر على امته التسرع والارتجال . يدعو الى الثورة على هذا الاسلوب الارتجالي في التفكير والعمل ويقول :

دا. الارتجـــال :

« ان اخطر الادوا، التي يشتكي منها العرب اليوم والتي لها نصيب كبير في فشل كثير من شؤونهم انهم لا يعدون للامر عدته ولا يحتاطون له قبل حينه . ولكنهم يظلون في تغافل وفي تردد ثم يرتجلون الافكار على ضوء الحاضر السريع ويرتجلون بعدها العمل على حسب ما تقتضيه الظروف (I) » . ويتألم من شمول هذا الارتجال حتى عم كتابنا وشعرا،نا فيقول

« ان كتابتنا تكاد تكون كلها ارتجالا وفي لغة البرقيات ودون ان تضمن ما كانت تحتوي عليه من الكلم الجوامع في العهد الاول للسان العربي .أما شعراؤنا فانهم لا يجدون من الوقت ما يصلحون به العروض والنحو فضلا عن الاتيان بما يلـذ السمع من حكمة وبيان ، وكأن البحار كلها تفيض عليهم دفعة واحدة،فيلتجئون بسرعة الى قافيـة يعتصمون بها ولو كانت من قصب الشـاطى، او من هلاهل التيار • اين نحن من عصر الحضـارة العربية يوم كان الجاحظ ينام في دكاكين الوراقين ليستمد مما عندهم . وكان ابن المقفع يسهر على نقل الحكمة القاصية،بينما يقف الباقلاني واضرابه انفسهم على سهر الليالي ذوات العدد رغبـة في التوفيق بين العقل والدين ؟ (2) . ولهذا يقول « لنثر على الأرتجال ، ولنكن أقدر على الاعـداد والتحضير حتى نستطيع ان ندرس في انـاة ونعمل في سعة ، وننجح في الآبان » (3) .

وجـوب تعليم الشعب التفكر :

وكان من عظيم اهتمام علال بالتفكير وتعميمـه ووجوب تعليمه ان بنى على ذلك كتابا كامـلا من أهم كتبه : « النقد الذاتي » وجعل مداره كلـه على التفكير • لقد اقتنع ان التفكير مبدأ ارتقـا.

I) النقد الذاتي لعلال الفاسي ط ثانية – تطوان ، ص 23

2) النقد الذاتي لعلال الفاسي ط ثانية – تطوان ، ص 25

3) النقد الذاتي لعلال الفاسي ط ثانية – تطوان ، ص 26

الشعوب ولذا فهو يرى وجوب تعميمه واطلاق الحرية للمفكر ، ويروى عن فولتير قوله : « اذا أردت انهاض شعب فعلمه كيف يفكر ! » ويدعمه ويبرهن على صحته بالنهوض السريع لامم اوروب وامريكا نتيجة تعميمه والحرية فيه ، ويستهجن جناية النازية في الموضوع ويستقبح قول هتلر زعيمها في كتابه « كفاحي » : « يجب ان تنسى الشعوب عادة التفكير ويتركوا للزعماء ورجال الحكم ان يفكروا لهم ، وان خير وسيلة لذلك هي فرض الرقابة عن الصحف والمطبوعات (1) » ثم يعلق على قول الزعيم النازي : « وهكذا تكونت الجحيم النازية التي رأينا نتيجتها في استبداد هتلر بقيادة الشعب الالماني نحو مصير بائس ونهاية مؤلمة ! .. » . والحضارة الاسلامية كانت في اوج عزها وازدهارها يوم كانت تعاليم القرآن متبعة في اعطاء الفكر حرية الانطلاق وحرية الاستنتاج والعمل ، ثم آل الامر الى الانهيار يوم انتصر دعاة الجمود وانصار التقليد ومحتكرو الفكر والمعرفة هؤلاء الذين ثارت على جمودهم الحركة السلفية التي يقول فيها

« من الحق ان نعترف بان للحركة السلفية التي علمت فجر نهضتها فضلا عظيما في اراحة كثير من هذه الحجب وفي توجيه العقول الى النظر والبحث وفي الثورة على عديد من الخرافات ورجالها . ولكن ما وصلنا اليه من حب النظر ليس الا جزءا مما يتطلبه الفكر الحر منا (2) » وهذه الحركة السلفية التي اشار اليها هي التي ارتبطت بمدرسة الشهاب واتصل فيها علماء المغرب بعلماء الجزائر وخصوصا اثناء السنوات 25 ـ 26 ـ 1927 وكتبت ابحاث شريفة من حلة علماء مصلحين سلفيين وكان من فضلها تكوين شخصية امثال علال من عظماء الرجال .

وعلال المفكر لم يكن ـ منذ وسم بهذا اللقب ـ يفكر في مشاكل فرد ، أو عائلة ، أو مسألة خاصة انما كان يحاول في تفكيره معالجة مشاكل أمة جبل على حبها ونشأ على الاخلاص لها، وعاهد الله ان ينقذها من هاويته . ومنذ كان يافعا بدأ يهتم بمشاكلها ويمعن النظر فيها ويحاول ان يشخص ادواءها ليصف ادويتها ويهتدي الى النافع منها . ففي أول مقال نثري نشر له في الشهاب تحت عنوان « حاجتنا الى الاخلاق » بحث عن عوامل النهضة ، واهمية الاخلاق والعلم وصورها بلغه أمته من سوء وانحطاط في الاخلاق من « عهارة وفسق وتباغض وتشتت ، وخداع

1) النقد الذاتي ـ ص 35

2) النقد الذاتي ـ ص 37

«كذب وسقوط همة ودناءة نفوس (1) » ويقتنعان من هذه الاخلاق الفاسدة ما لم يكن فينا ولكنا تسرب الينا من المدنية الغربية التى اندفع الناس فى تقليدها دون تمحيص بين المنافع والمضار ، ثم يصل الى الرأى السديد ويعلن عنه .

« واذا كان من الرأى المصيب ان نقتبس من الغربيين ما لهم من معارف ونأخذ عنهم كل ما يرقينا فى معترك الحياة ويجعلنا فى المصاف الاولية للامم الحية فليس من الحكمة ان نقلدهم تقليدا ونجمد على افكارهم جمودا والا ضيعنا تلك الموهبة العقلية التى وهبناها واصبحنا من الخاسرين (3) » لقد صدر منه هذا النقد لوضعية أمته . والوصف لادوائها وعللها . والنصح لعلاج حالها واصلاح امرها وعمره دون العشرين . وتقدمت به السن ، وذاق المحن والعذاب والسجن ولكن كل ذلك لم يصده عن التفكير فيها والكشف عن أمراضها والوصف لدوائها ، فهو يفكر فيها شابا وكهلا وشيخا ويخدمها فى المنشط والمكره وذلك شأن المجاهدين ، فاستمع اليه وهو يقول :

« يجب ان نسأل انفسنا فى كل صباح ماذا سنفعله اليوم لامتنا ؟ ثم نمضى وكل همنا فى اعمالنا الخاصة والعامة اداء الواجب ... ثم متى عدنا فى الليل الى فراشنا يجب ان نلقى نظرة على ماذا فعلنا مستعرضين اعمالنا اليومية محاسبين انفسنا ... متسائلين ماذا فعلناه اليوم لامتنا ؟ (2) »

ترى لو فكر كل مسلم تفكير علال كيف يكون حال المسلمين ؟

المفكر كالرسام

يرى علال ان القضايا التى يعلنها المفكر لامته ، ويعرضها عليها يجب ان يكون قد عرفها جيدا فهى واضحة لديه ويدريها ويتصورها اكمل تصور وبذلك يحسن تاديتها

« ان لكل قضية صورة كاملة ، وان المفكر بمثابة الرسام الذى يجليها أمام نفسه أولا ثم أمام الجمهور ثانيا ، واذا لم ينجح الرسام فى تمثل الصورة التى يريد تسجيلها تمثلا كاملا بما فيها من نور وما يكتنفها من ظلال فانه لن يستطيع ان يبرز للناس الا رسما ناقصا أو

1) مجلة الشهاب العدد 92 الصادر فى 12 شوال 1345 هـ - 14 ابريل 1927 م

2) التفكير الذاتى - ص 30

اسطوريا لايمت للذات التي يريد ابرازها بصلة·وهكذا شأن المفكر فانه اذا لم يستحضر كـــل اجزاء الموضوع الذى يتناوله بالنظر ولم يحط بكل جوانبه فانه لا يتسنى له الا ان يعرضه للناس مبتورا مشوها (1) » .

الثـورة فى التفكـير :

وهو يدعو الى تفكير ثورى يخرج قومه من ضيق الافق الـــذى كونته طبقة المفانقــين (2) « يجب ان نأخذ انفسنا على تفكير غير رجعى ، بل تفكير ثورى يخرج بنا من ضيق الافق الذى كونته فى الانسانية طبقة المفانقين (4) » ولا يريـــــد ـ كما صرح ـ بالثورة الهدم والتخريب والخروج عن العدل والاحسان فذلك من الفوضى » ولكنا نريد الانعتاق من تقاليد البيئة الاجتماعية الـتى جعلتنا لا نحس الا بوجودنا الخاص . ونريد ثورة فى التفكير تغير من عقليتنا ونعمل على تبديـل ذهنيتنا حتى نستطيع ان نعالج مشاكلنا وفقا لمايقتضيه هذا العصر الذى اصبحت فيه المـــادة والآلة فى المقام الاول يجب ان تكيف انفسنا بمايقتضيه العدل والاحسان كما يفهمهما الانسانيون فى هذا العصر لا كما فهمهما اسلافنا فى عصر الانحطاط الاخير ، يجب ان نتحرر من ذهنيـــة الطبقة المفانقة (البرجوازية) التى تخشى من كل جديد (3) » .

الانانية الطاغيـــة

ومما تعرض له من مسائل الفكر الانانيـــة وصعوبة تجرد الانسان منها ، وقد أبرز رذائلها فقال : « ان طغيان الانانية هو الذى يجعل منـــا افرادا لا يشعرون الا بما يلمس وجودهم الخاص ولا يتجهون بافكارهم الا نحو ما يعود عليهــــم بالنجاح · هذا الطغيان الانانى هو مصدر كل النقائص الاجتماعية التى نحس بها فى وسطنا ونلمسها فى بلاد غير بلادنا : هو الذى يحمـــل الحاكم على ظلم رعيته رغبة فى اطفاء حاجته للمال من طريق الرشوة والاستبداد من طريق الشهرة· وهو الذى يمنع العالم من ان يؤدى واجب النصح والارشاد حرصا عـــــلى جاه كاذب يستهويه أو منصب زائف يغويه . هو الذى يمنع الغنى مـــن التفكير فيما يصلح حال اخوانه البائسين أو يعمل

---

1) المصدر السابق ـ ص 18

2) المفانق هو المنعم المترف ، ويرى المؤلف استعمال هذا اللفظ عوض البورجوازى

3) النقد الذاتى ـ ص 9

عـــلى التخفيف من آلامهم ، ويحمـــل الطبيبوالمهندس والمحامي على خيانة الامانة التي تحملوها حتى يتمكنوا من تحقيق رغباتهم في الغنى واطفاءنهمهم بالتملق للرؤسا، الحاكمين • وهذا الطغيان الاناني هو الذي يملك نفوس الملوك والرؤســا،حتى يكون في اعماقهم شعورا مخطئا بامتـــياز بلادهم ، أو تفوق عنصرهم فيحملهم ذلك عـــلىالاعتدا، على ممتلكات الغير واوطانه ، وهو مصدر كل الحروب الاستعمارية وآثارها (1) » • وهـوبعد هذا التشخيص يرى ان العلاج ان نوجه هذه الانانية فينا التوجيه الصحيح من حب للذاتمضر جدا بالآخرين الى حب للـذات يفنيها في صالح المجموع بحيث « تصبح فرديتنا وهي تنشدانانيتها عن طريق الامحا، في المجموع والانغمار في صالحه والامتزاج بحاجياته فلا نحس لعملناقيمة الا اذا كان من ورائه نفع عام ولا لجهودنا فخرا الا بقدر ما فيه من اثر في جلب الخير للناسودفع الشر عنهم (2) » وهو مقتنع ان هذه غايـة الرسل من ادا، رسالتهم • وما البطولات الـتيشهدتها الاراضي وضحى فيها اصحابها بانفسهم في سبيل الدفاع عن امتهم وقومهم الا من هـذاالنوع وقد عبر عن ذلك الشاعر بقوله

« تأخرت أستبقي الحياة فلم اجـــد   لنفسي حياة مثـــل ان اتقـــدما (2)

وينتهي الى وجوب العناية بالآخرين والتفكيربالغير ويسمى هذا « التفكير اجتماعيا » ويقول :

« لا يمكن لامة ان تنهض من وهدة السقوطالتي وقعت فيها الا اذا تدربت ان تفكر اجتماعيا وتعودت ان لا ترى في مسائل الافراد أو الطبقاتالاخرى شؤونا بعيدة عنها (3) » •

المساواة في الاقل الحيوي :

وقد أعلن انه لا يجوز بحال اهمال شأنالمستضعفين والبائسين عراة جياعا مرضى ويكتفى في امرهم بالاحسان اليهم « ان الله الذي خلقالانسان يوم ولادته عاريا وخلق الدنيا يـــوم بروزها كاسية ما زال يخرجنا من بطون امهاتنامتساوين في العرى لكي نتساوى في الاستفادة

1) المصدر السابق ـ ص 3 و 4
2) المصدر السابق ـ ص 4
3) المصدر السابق ـ ص 7

من كساء الارض (1) » - « متى نمسك عـــن احتقار عرق العامل الـذى يكـــدح لنستريح ، والفلاح الذى يجوع لنطعم ؟ والصانع الـــــذى يستيقظ لننام (1) » .

« ليس احد اجدر بالثراء من احـــد ولا جماعة أولى بالحياة الواطئة من غيرها وان لكل يجب ان يتساوى في الاقل الحيوى (1) » .

« لنلق نظرة عامة على اخواننا ولنتغلغل بنظرنا الى اعماق البؤس الذى هم فيه ولنشاهد آلاف المسلولين الذين افقدهم الجوع والعرى اغلى شيء في الوجود هو الصحة ولنعاود النظر فى ملايين المنكوبين الذين لا يجدون مأوى ولا يحســـون بالعطف من احد ، ولنتألم معهم (2) » .

« ولكن لا ينبغى ان نقف عند مجرد الالـم... بل يجب ان نتجاوز الشعور الى التفكير فى الاشياء واسبابها ... واذا فكرنا فلا ينبغى ان نظل محصورين فيما ورثته لنا الاجيال من عاطفة الصدق الاختيارية اليسيرة ... ان واجبنا جميعا ان نبحث لهم عن الوسائل التى يستطيعون بهـا حياة شريفة يحسون معها انهم يكسبون كمـــا نكسب ويربحون كما نربح ، وانه ليس لاحـــد عليهم فضل الا فضل التعاون المتبادل والتضامن المشترك (2) » . ثم يوضح ان الثورة هذه لا تعنى الهدم ولكن تعنى معالجة القضايا بروح العصر فى دائرة العدل والاحسان .

ومن هذا التجديد فى التفكير والثورة عـلى القديم ان يكون التفكير شموليا « بحيث نستحضر اثناء اهتمامنا بعمل ما جميع اجزاء البلاد وعناصر الامة وان ننظر الى وطننا ككل لا يقبل التصور الا كاملا . والى النفع كخير لا يمكـــن تحقيقه الا شاملا ، وان اهتمامنا ينبغى ان لا يخص طبقـة دون طبقة بل يجب ان يعمل على اصلاح شامل وتحسين كامل لحال الطبقات الاجتماعية باسرها تحقيقا للتقارب بينها أو القضاء الكلى على ما بينها من فوارق (3) » .

واثناء التفكير فى اصلاح الامـــة « يجب الاحاطة بكل القضايا الوطنية ... وانه مـــن خطل الرأى ان يطغى عليـــا جانب منهـا دون الآخر (3) » ويرى انه يجب ان تتعدد الزعامات

1) المصدر السابق - ص 8
2) المصدر السابق - ص 8 و 9
3) المصدر السابق - ص 14

الوطنية لا وان يكون للوطنيين قادتهم الاجتماعيون والاقتصاديون والروحيون الى جانب قادتهم السياسيين (1) .

ويعلن استهجانه الجمود الفكري وانه لا نجاة الا بالنضج العقلي والتفكير الصحيح :

« اننا نريد ان ننضج العقل المغربي ونعده لما يصبو اليه من حرية واستقلال ، وفي نظري ان ذلك ليس في مجرد تكثير حملة الشهادات الذين يملأون الاطار الحكومي ولكن في تنوير اذهان الامة وتعليمها وسائل النهوض الصحيحة والاخذ بيدها الى شاطئ السلامة المنشودة(2) » .

لقد عرضنا امثلة من افكاره ، ونماذج من آرائه في الاصلاح . وقد كتب كثيرا ، وعالج قضايا الفكر والادارة ، والانظمة الحزبية ، والاقتصاد ، والاجتماع ، والدين . تعرض للعائلة وما يهددها من آفات ، وتعرض للتربية والتعليم ، وللصحة العام ، ولكل شؤون حياة الامة وشخص الداء ووصف الدواء . وبعض آرائه تحتاج الى تمحيص وبعضها الى مناقشة ، واخرى الى رد ورفض ، وقد اعلن رحمه الله في أول كتابه الذي اشتمل على اغلب قضايا الفكر انه يعرض افكاره ولا يفرضها على قرائه او يلزمهم بانتحالها ، وانه مستعد لاعادة النظر في كل رأي منها مع اي واحد ممن يهمهم الدرس والبحث عن الحقيقة ، وهذا منه غاية التواضع والفضل والدلالة على كمال الادب وحسن الخلق وسلامة التفكير .

علال الفقيه او المجتهد :

لقد آثرت ان اسمه بالفقيه لان هذا اللقب الشريف هو المعروف لامثاله زمن السلف الصالح من جهة ، ولان المغرب قد حافظ على استعمال هذا اللقب في معناه السلفي ، واحتفظ لاهله بكامل التجلة والاحترام من جهة اخرى .

والفقه – في اصل الوضع – عبارة عن الفهم والعلم . يقال فقه كعلم وفهم وزنا ومعنى ، وقالوا فيه فقه كضخم وكرم فقاهة اي صار الفقه وصفا له وسجية فيه فهو فقيه . قال الغزالي : « يقال : فلان يفقه الخير والشر أي يعلمه ويفهمه (3) » . ونقل عن الراغب انه « التوصل بعلم

1) المصدر السابق – ص 17
2) المصدر السابق – ص 21
3) المستصفى للغزالي ج 1 – ص 3

شاهد الى علم غائب (1) » . وعن الحكيم الترمذي ان « الفقه بالشيء هو معرفة باطنه والوصول الى اعماقه فمن لا يعرف من الامور الا ظواهرها لا يسمى فقيها (2) » . ذكر الفقه ومادته في القرآن كثيرا وحقق العلامة محمد رشيد رضا ان المراد منه في الاعم الاغلب « نوع من دقة الفهم والتعمق في العلم الذى يترتب عليه الانتفاع به (2) » .

واما الفقه اصطلاحا فقد « صار بعرف العلماء عبارة عن العلم بالاحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين خاصة حتى لا يطلق بحكم العادة اسم الفقيه على متكلم وفلسفي ونحوى ومحدث ومفسر ، بل يختص بالعلماء بالاحكام الشرعية الثابتة للافعال الانسانية كالوجوب والحظر والاباحة والندب والكراهة وكون هذا العقد صحيحا او فاسدا باطلا وكون العبادة قضاء وأداء وامثاله) . وقريب من تعريف الغزالي هذا قول ابن خلدون : « الفقه معرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والاباحة وهى متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الادلة فاذا استخرجت الاحكام من تلك الادلة قيل لها فقه (3) » . فالفقيه هو العالم بالاحكام الشرعية الثابتة لافعال المكلفين المستخرج لها من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع من الادلة ، فهو المفكر الديني والمستنبط ، والمفتى . وذلك يرادف المجتهد في عرف الاصوليين . فالمفتى له الدرجة السامية لانه قائم مقام النبي في الامة مقام النبي (4) . لقوله صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الانبياء » وقوله « بلغوا عنى » ثم قال « ان المفتى شارع من وجه لان ما يبلغه من الشريعة اما منقول عن صاحبها واما مستنبط من المنقول ، فالاول يكون فيه مبلغا ،والثاني يكون فيه قائما مقامه في انشاء الاحكام . وانشاء الاحكام انما هو للشارع فاذا كان للمجتهد انشاء الاحكام بحسب نظره واجتهاده فهو من هذا الوجه شارع واجب اتباعه والعمل على وفق ما قاله وهذه هى الخلافة على التحقيق . »

وليست هذه بالمهمة اليسيرة التى يستطيع كل واحد ان يقوم بها بل لا بد لها من وفر خصال منها الذكاء ، وصحة الفهم ، وكمال الخلق والديانة وكثرة العلم . ولم يكن كل الصحابة مجتهدين

1) تفسير المنار ج 1 - ص 420
2) تفسير المنار - ص 421
3) مقدمة ابن خلدون الفصل الخاص بعلم الفقه 445
4) الموافقات للشاطبي ج 4 - ص 244 و 245

اصحاب فتوى » وانما كان ذلك مختصا بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ، ومتشابهه ومحكمه وسائر دلائله بما تلقوه من النبي او ممن سمعه منهم وعن عليتهم وكانوا يسمون لذلك القراء اى الذين يقرأون الكتاب (1) » ثم اتسع الفتح وازدهرت الحضارة الاسلامية و « عظمت امصار الاسلام وذهبت الامية من العرب بممارسة الكتاب وتمكن الاستنباط وكمل الفقه واصبح صناعة وعلما فبدلوا باسم الفقهاء والعلماء من اسم القراء ، وانقسم الفقه الى طريقتين طريقة أهل الرأى والقياس وهم اهل العراق ، وطريقة أهل الحديث وهم اهل الحجاز (1) » . وعد مقدم أهل الرأى والقياس ابو حنيفة ، ومقدم اهل الحديث مالك والشافعي . فكلمة الفقيه – كما نرى – كانت عندهم تفهم المجتهد المستنبط المفتى عند السلف ، اذ لا يكون المجتهد الا فقيها .

والاجتهاد لغة « بذل الجهد واستفراغ الوسع فى فعل من الافعال ولا يقال الا فيما فيه كلفة وجهد فيقال اجتهد فى حمل حجر الرحا ولا يقال اجتهد فى حمل خردلة (2) » ثم خصص العرف فـ « صار فى عرف العلماء مخصوصا ببذل المجتهد وسعى فى طلب العلم باحكام الشريعة والاجتهاد التام بذل الوسع فى الطلب بحيث يحس من نفسه العجز عن مزيد الطلب (2) » .

وليس كل من ادعى بلوغ درجة الاجتهاد قبل منه ادعاؤه وسلم له فى اجتهاداته بل لابد فيه من شرطين « احدهما ان يكون محيطا بمدارك الشرع متمكنا من استثارة الظن بالنظر فيها وتقديم ما يجب تقديمه وتأخير ما يجب تأخيره . والشرط الثانى أن يكون عدلا مجتنبا للمعاصى القادحة فى العدالة (2) » . وذكرهما ابو اسحاق الشاطبى بكيفية أخرى « انما تحصل درجة الاجتهاد بوصفين احدهما فهم مقاصد الشريعة على كما لها ، والثانى التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها (3) » . وقد فصل الغزالى ذكر العلوم التى لابد منها للمجتهد وذكر الدرجة الواجب بلوغها فيها وحصرها فى ثمانية الكتاب والسنة والاجماع . والقياس ، ومعرفة نصب الادلة وشروطها ، ومعرفة اللغة والنحو ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ ، ومعرفة الرواية والحديث ثم قال : « فهذه العلوم الثمانية التى يستفاد بها منصب الاجتهاد ، ومعظم ذلك يشتمل عليه ثلاثة فنون :

---

(1) المقدمة لابن خلدون 446

(2) المستصفى للغزالى ج 2 – ص 101

(3) الموافقات للشاطبى ج 4 – ص 105 – 106

علم الحديث وعلم اللغة ، وعلم أصول الفقه (I) »وختم ذلك بقوله : « اجتماع هذه الثمانية انما يشترك في حق المجتهد المطلق الـــذى يفتى فيجميع الشرع . وليس الاجتهاد عندى منصبا لا يتجزأ بل يجوز ان يقال للعالم بمنصب الاجتهادفي بعض الاحكام دون بعض ... وليس مـــن شرط المفتى ان يجيب عن كل مسألة فقد سئـل مالك رحمه الله عن اربعين مسألة فقال فى ست وثلاثين منها لا ادرى » ، وكم توقف الشافعي ،بل الصحابة في المسائل . فاذا لا يشترط الا ان يكون على بصيرة فيما يفتى (I) » .

وبلوغ هذه الدرجة ليس بمستحيل فى أىزمان ولا أى مكان ـ بمقتضى هذه الشروط ، وبما هو مبسوط فى كتب الاصول ـ على كل من سمت همته ، ودعته نفسه فبذل كل جهد فى التحصيل وبلغ القمة فى هذه العلوم . ولبس لباس التقوىبهداية من الله ، وعاهده ان يجاهـد فى سبيله بسلاح العلم لنصر دينه والدفاع عنه واعلاء كلمتهوحمايته من هجوم المتربصين ، وكيد الكائدين . ودسائس المفترين وجناية الجامدين . وقد زعمقوم ان باب الاجتهاد قد اغلق منذ الرابع الهجرى وأن تقليد احد الائمة السابقين واجب ولا يجوزلمن جاء بعدهم الا ان يفتى بما افتوا فكان فى هذا القول تحجير على العقول ان تفكر وتتدبر وتستنبطمع ان الزمن يتقدم . والاقضية تحدث كل يـوم . وعربد آخرون أمام باب الاجتهاد يريـــدون انيلجوا منه ـ غير مستكملين ادواته ليهدموا قواعد الشريعة وينسخو احكامهـا ويصرفوا المسلمـينعنها . وفى كلا الجناحين اسراف وفساد ، كان علال وامثاله من السلفيين والمفكرين لهم بالمرصاد.

خسارة المسلمين بالاعراض عن الاجتهاد :

فالفقيد يرى ان ازدهار الحضارة الاسلاميةورقى البحوث الفكرية أول عهدها كونها الاجتهاد وأن الانحطاط والجمود سببه اغلاق بابه » ان الذىيتعمق الثورة العلمية العظيمة التى كونها الاجتهاد فى فهم القرآن والسنة واستنباط الاحكام منهمافى عصر الحضارة الاسلامية الزاهرة ثم ينظر الى الحالة التى وصل اليها المسلمون منذ القرن الخامسحيث اخذوا يمسكون عن الاجتهاد ويلزمـــون

I) المستصفى ج 2 ـ ص 103

التقليد يعرف مقدار الخسارة التي تصيب المسلمين كلما اعرضوا عن النظر والدرس وحرموا على انفسهم أعظم مميزاتهم ومميزات دينهم وهي الاجتهاد وعدم التقليد في الدين فاحرى في غيره من الشؤون (1) » .

القبول النهائي للاجتهاد فيما استجد :

ويشرح عملية الاجتهاد وضرورة بقائها فيقول : « نحن نقطع ان كل ما وصل اليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع أن ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي . ومحط نظر العلماء قاطبة هو استعمال ميزان العقل لاستنباط الاحكام من الكتاب والسنة المبينة له وهذا ما سماه علماء المسلمين بالاجتهاد وهو طريق سلوك دائما يتمكن به أهله من تطبيق الكليات القرآنية على جزئيات الاحكام المستجدة . واذا كان الجمود قد قضى زمنا على مبدأ الاجتهاد فأوقف بذلك نمو الفقه الاسلامي فان النهضة الاسلامية الحديثة قد بدأت بقبول نهائي لفكرة الاجتهاد والعمل به لمسايرة العصر ومعرفة احكام القرآن والسنة فيما استجد من أقضيته واحواله (2) » .

ابتكار مدارس فقهية لضمان دوام التسلسل الاجتهادي :

وقد برهن فقيدنا رحمه الله على ان اعداء الاسلام من المستعمرين لا يهاجمون العقيدة والعبادات في الامم التي خضعت لسيطرتهم بقدرما يحاولون محو الشريعة الاسلامية من المحاكم والمعاملات . ومحو الفقه والاحكام من حياة المسلمين ، لان الفقه هو « المادة الوحيدة التي تربط مسلمي العصر بأفكار المسلمين المتسلسلة من عهد النبوة الى اليوم ، ولانه المجموعة التي تؤثر دراستها والعمل بها وتطبيقها بأفكار الناس وسلوكهم ، ويوشك الفقه الاسلامي اذا استمر ان يدفع بدارسيه والمتقاضين لديه والحاكمين به الى ابتكار مدارس فقهية عصرية منبثقة من صميم المصادر الاسلامية وضامنة دوام التسلسل للاجتهاد الفقهي (3) » .

ضرورة وجود المجتهدين واستمراره :

وعلال كفقيه ، وسلفي مصلح يرى ضرورة وجود المجتهدين واستمراره – كما هو الحق من مذاهب علماء الاصول – لان الشريعة عامة تشمل كل الشعوب والقبائل ، وابدية صالحة لكل

1) مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها – ص 18
2) دفاع عن الشريعة – ص 162
3) دفاع عن الشريعة – ص 96

العصور والاجيال ، وافعال البشر - فى كـــل الازمنة والامكنة - متنوعة فلم تنزل الشريعة على شكل واحد من التفصيل . ولكن ارشد الشـــارع الى كثير من مسائلها على طريق كليات واصـــول ومقاصد تدل عليها امارات ويدركها المجتهدون :

« ومن هنا يعلم ضرورة وجود المجتهديـــن الذين يقومون على استنباط الاحكام غير المعلوما(I) ...وضرورة استمرار ذلك الوجود فى كل الازمنة والبقاع ، ويعلم ذلك الضرر الذى يحدثه انقطاع الاجتهاد أو العجز عنه بجحود الفكر وضعف العلـم (I) » .

ثـورة الجامدين وجنـايتهم :

ويؤثم الامة اذا انقطع منها الاجتهاد ورضيت بالتقليد جمودا ، وينعى على هؤلاء الجامـــدين المقلدين الذين لم يحسنوا خدمة الكتاب والسنة فظنوا ان من الوفاء ترك النظر فيهما وتحـــريم الاستنباط منهما اكتفاء بما استنبط السلف ،مع تقدم الزمن وتجدد الحياة والاحداث والقضايا . فيذكر موقف هؤلاء ازاء من يجيز بقاء الاجتهاد :« واما من يدعى الاجتهاد ولو فى جزئية ما فهو المارق من الدين السالك غير سبيل المؤمنين وذلك ما فتح الباب لقلب الاحكام الشرعية واظهـــار الشريعة بمظهر الشريعة التى لا تقبل التطـــور ولا تصلح لكل العصور (I) » . ثم ذكر ان « من حسن الحظ ان يتنبه بعض العلماء لهذه الفاجعـة ويتجرأوا على النظر والاجتهاد فيعيدوا للشـــرع الشـــريف اعتباره وللنظـــر والعلـم الصحيـح مكانتهما (I) » .

الفرق بين الاجتهاد وبين اتباع الهـوى :

والاستاذ علال رحمه الله كعالم مسلـــم يخشى الله يفرق بين الاجتهاد الشرعى الذى يؤجر فيه المجتهد ، أصاب ام أخطأ وبين اتباع الهـوى وتحريف الكلم عن مواضعه بمحاولة نقض احكام القرآن وابطال قواعد الاسلام ، وانكار ما علــم من الدين بالضرورة قال :

« لا يعتبر اجتهادا شرعيا ويعتمد فى نتائجه الا اذا صدر من اهله الذين يضطلعون بمعرفـــة ما يفتقر اليه الاجتهاد . وأما اذا صدر عمن ليس بعارف فلن يعتمد ويعمل بالاحكام التى تستنبط

I) مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها - ص 160

منه لانه يعد من قبيل التشهي والاغراض وخبط في عماية واتباع للهوى ، ومناف لقوله تعالى : « **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم** » وقوله « **يا داوود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله** (1) » . وقد ذكر من امثلة اتباع الهوى في الفتوى وان سماه الدجالون ممن يحرفون الكلم عن مواضعه اجتهادا :

أ) اسقاط الصيام عن الاغنياء : قال : التفرقة بين الاجتهاد وبين الهوى ضرورية الاعتبار ، خاصة في هذا العصر الذي ظهر فيه دجالون ممن يحرفون الكلم عن مواضعه ، كالذين يريدون اسقاط الصيام على الاغنياء ويبقونه خاصا بالفقراء بدعوى الاستنباط من قوله تعالى :

« **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين** (1) » .

ب) اسقاط الصيام بدعوى اضعافه الانتاج : ومثل هؤلاء - بل شر منهم - الذين يريدون اسقاط الصيام عن العمال : « بدعوى ان الصوم يضعف الانتاج ، ونحن في جهاد ضد التخلف ، قياسا على ما أذن فيه صلى الله عليه وسلم من الافطار زمن الغزو (2) » . وقد رد على هذا الاستنباط السخيف بأن « الافطار في رمضان لسبب شرعي يوجب القضاء في الاشهر الاخرى وأي فرق بين شهر رمضان وغيره في ضرورة الانتاج (2) » ثم قال : « ليس الخير للعملة في حملهم على الافطار في رمضان من غير موجب شرعي . ولكن في القيام بحمايتهم وتحسين حالهم واجورهم وحمايتهم من السهر وتعاطي الخمر والمخدرات التي تقلل الانتاج وتهلك المجتمع (2) » .

ج) منع تعدد الزوجات على الفقراء دون الاغنياء : ومثل هؤلاء في سوء التأويل واتباع الهوى « افتاء بعض المصريين بمنع تعدد الزوجات على غير الاغنياء الذين ثبتت قدرتهم على النفقة على النساء الكثيرات وهذا ما يجعل الشريعة الاسلامية تدين بالطبقات وتعطي لكل طبقة حكمها الخاص بها وهو ما يتنافى مع مقصد الشريعة في المساواة بين الناس في الاحكام (2) »

1) مقاصد الشريعة ومكارمها - ص 163
2) المصدر السابق - ص 163 - 164

هل ادعى عـلال الاجتهـاد ؟

لقد كان علال فقيها عالما بالشريعة واحكامهاأصوليا متمكنا عارفا باصول الدين ، وبعلـــوم القرآن والحديث ، خبيرا باللغة وآدابها وفنونها ،عدلا مرضيا . فاهما مقاصد الشريعة • فلو شاء ان يدعى بلوغ درجة الاجتهاد لبرهن على توفـــرشروطه فيه واجتماع أوصافه•فهل ادعى الاجتهاد ؟

اننا نجده يستهجن التقليد ، ويهجر الجمودالذى أدى الى ابطال الاجتهاد فى استنباط الاحكام من القرآن والسنة • ويذكر ان « من حسن الحظ ان يتنبه بعض العلماء لهذه الفاجعة ويتجرأ عـلى النظر والاجتهاد ولكن ذلـــك بالاسف فى عصرعلى المسلمين فيه الفكر الاجنبى والقانون الاجنبى، فعسر على القائمين بدعوة الاسلام النجاح(1)» . ثم يقول : « ان فى قلة الفقهاء المجودين – عـــلى قلتهم – ضمانا للسير بالفقه الاسلامى الى شاطىء النجاة (2) » •

فهل كان علال يعتبر نفسه فى هذه القلةالمجودة الضامنة للسير بالفقه الى شاطىء النجاة ؟ والجواب نعم ، فقد جاء فى كلامه ما يدل على ذلكصراحة . وما يرشد اليه ضمنا ومن ذلك انـه استنبط قاعدة أصلية وتمكن من استنباط احكامبناء على فهمه فيها قال تحت عنوان :

« قاعدة أصلية لم أر من نبه عليها من علماء الاصول :

« ان المتتبع لمناهج القرآن والسنــــة فىعرض الاحكام الشرعية يجدها تسلك طرقا كثيرة لتحقيق اهدافها فتارة بالوجوب أو المنـــــعالصريحين ، وتارة بالتدرج فى التشريع مـــــع استكماله فى حياة الرسول ، وتارة بتنفيذ الحكمفى بعض صوره والتسامح فى الصور الاخـــرى مع اعطاء الامر عن طريق الارشاد باستكمالـــهاذا تمت أسباب استكماله الشرعية وهذا ما يمكننا أن نسميه •

« أمر الارشاد » وما نعتبره اصلا من أصولالتشريع دل عليه بمصدر شرعى ، والمقاصـــد الشرعية كلها دلالات على أصول الاحكام ومسالكعللها . فتحريم الخمر علته الاسكار ، والدلالـة عليها ان الله وصف الخمر والميسر بانهما رجسمن عمل الشيطان وقال تعالى : « **انما يريـــد**

---

1) مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها – ص 160

2) المصدر السابق – ص 161

الشيطان ان يوقع بينكم العـداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » فدل هذا على أن قصد الشارع هو الابتعاد عن كل ما يحدث العداوة والبغضاء ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة فكل ما تحقق فيه شيء من ذلك فقد دل المقصد الشرعي في عدم وقوعه على تحريمه ، وتحريمه ليس من سبيل القياس فقط ولكنه عن طريق أمر الارشاد (1) ».

وفي تفسير آية من القرآن خالف غيره من المفسرين السابقين وجميع المستنبطين ثم قال : « وقد ذهبنا على ان في الآيـة أمـر ارشـاد للمسلمين (2) » . فهذا منه صريح باستنباطه وان له مذهبا في هذا الاستنباط يخالف فيه من تقدمه ، وهذا فعل المجتهدين .

وكثيرا ما فسر آيات من القرآن تفسيرا لم يسبق اليه ، ويصرح بذلك التأويل وانه الاول الذي قال به . ففي كلامه على الحرية التي هي حق كل انسان منذ ميلاده صرح بانهـا في رأيـه : الانعتاق من عبودية التقاليد والطبيعة ومـن الخوف من آثار الطبيعة من شجر أو حجـر أو انس أو جان فلا عبودية لاحد من المخلوقات على احد من الناس فاذا بلغ الانسان درجـة « ان يفعل ما يعتقد انه مكلف به وما فيه الخير لصالح البشر اجمعين وآمن بذلك فقد اختار الحرية (3) » ثم استدل على مذهبه بقوله تعالى : « **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكـين حتى تاتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة** » ثم قال :

« والعجب ان المفسرين قاطبة لم يدركوا قيمة هذه الآية لانهم لم يهتدوا للمراد بالانفكاك فيها . مع ان اقرب دلالاته اللغوية هي التحرير ، فلم يكن الكفار منفكين أي متحررين مما عبدهـم لغير الله الا بعد ان جاءتهم البينة الحجة القاطعة التي هي ليست غير رسول الله يتلو صحفـا مطهرة فيها كتب قيمة تخاطب العقل وتدعـوا الى التفكير وتنادي بالحرية (3) » .

وهذه الحرية التي يصلها الانسان لها ميزتها ولها تكاليفها : « ارتفع الانسان بالتكليف مـن درجة الحيوان الى ما فوق درجة الملائكـة ، لان الانسان في استطاعته ان يفعل الخير والشر وهو مخير بينهما ، ومسؤول عنهما ، وبذلك فهو حر وعلى نفسه بصيرة (3) » . ومن اجتهـاده في

1) المصدر السابق ـ ص 240
2) مقاصد الشريعة ـ ص 164
3) مقاصد الشريعة ـ ص 246

التفسير . واستنباطه فى التأويل تفسيره للفطرةفى مثل قوله تعالى : « **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطـــر الناس عليها** » والحديث :« يولد الولد على الفطرة » والمشتهر « الاســلام دين الفطرة » فقد فسر الفطرة العلامة محمد رشيدرضا بقوله : « فطرة الله التى فطر الناس عليها هى الجبلة الانسانية الجامعة بين الحياتين الجسمانيةالحيوانية والروحانية الملكية والاستعداد لمعرفـة عالم الغيب وعلم الشهادة فيهما ، وما أودع اللهفيهما من غريزة الدين المطلق الذى هو الشعـور الوجدانى بسلطان غيبى فوق قوى الكون والسننوالاسباب التى قام بها نظام كل شىء فى العالم ، فرب هذا السلطان هو فاطر السماوات والارضوما فيهما ، والمصدر الذاتى للنفع والضرالمحركين لشعور التعبد الفطرى(1) » وفسر ابن سينا الفطرةبـ « القوة التى تسمى عقلا عـــلى اساس ان الانسان لو تجرد عن معلوماته ومرئياته ومسموعاته ثم سأل نفسه الحكم عن مسألة ما فان وجدشكا فيها فالفطرة لا تشهد بها . وان لم يجد شكـافذلك ما تشهد به الفطرة وتفرضه ، وليس كل ما تفرضه الفطرة بصادق وانما العبرة بفطـرةالعقل (2) » . اما الاستاذ علال فقد فسر كون الاسلام دين الفطرة بـ « انه الدين المتفق مـعما جبل عليه الانسان بصفته انسانا من جملتـه العقل والاستعداد للحضارة والقدرة على اكتسابالمعرفة والمرونة والطاعة والذى يساعده عـــــلى تنمية معارفه وسد حاجته فيما يخص العاداتوالعبادات (3) » . ثم يقول : « فاذا قلنا الاسلام دين الفطرة فكاننا نقول ان الاسلام دين الحضارةالتى نشدتها الفطرة الانسانية والتى اهتـــدت لبعض مظاهرها ... فلا بد من ان يكون الاسلامفيما جاء به ضامنا لسد الحاجات التى يتوقـف عليها الانسان لتكوين مدنيته كانسان ، ولذلكفلن تجد فى الشريعة الاسلامية شيئا منافيـــا للفطرة الانسانية (4) » .

أمية الشريعة ، والنبى الامى :

ناقش الشاطبى فى فهمه لهذه الاميــة .فقد فهمها ابو اسحاق « باعتبار انها مرسلـــة للاميين ، وهم فى نظره الذين لا يعرفون القراءةولا كتابتها » يقول الفاسى فى هذا التفسير انـه

1) تفسير المنار ج 11 – ص 244 – 245
2) مقاصد الشريعة (نقلا عن كتاب النجاة لابن سينا) – ص 68
3) مقاصد الشريعة – ص 66
4) مقاصد الشريعة – ص 27

« موضع نظر فليس من الضروري ان يكـون المقصود بالاميين في قوله تعالى « **هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين** » الذين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة كما انه ليس من الضروري ان يكون وصف النبي بالامي بهذا المعنى . اما كون النبي، لم يقرأ ولم يكتب فهو معروف وما تدل عليه الآية الكريمة « **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطـه بيمينك اذا لارتاب المبطلون** » واما النبي، الامي والاميون في الآية السالفة فليست نسبة الى الأم أي الذين ما زالوا على جهالتهم الاولى لم يتعلموا شيئا ، وانما هي نسبة في نظرنا الى الامـة ،فالاميون هم الامم الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منهم لانه انسان . وهوامي لانه من الامم أي شعبي ، والحكمة في كـون الله اختار النسبة الى الامة ليبين ان الخطـاب الالهي موجه للامم عامة لا تختص بـه امة دون أخرى (1) » . وقد ساق على فهمه الجديد الذي اجتهد فيه وخالف به غيره ادلة وشواهد مـن استعمالات القرآن ومن فهم العقاد في كتابـه« حقائق الاسلام » .

اشتغال المرأة بشؤون الدولة :

استدل على شرعية اشتغال المرأة بسياسة الدولة وما يصون بيضة الامة بقولـه تعـالى « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أوليا. بعـض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمـون الصلاة ويوتون الزكاة ويطيعون الله ورسولـه أولئك سيرحمهم الله** » فهذه الآية كما فسرهـا تدل على رغبة الاسلام في قيام سلام عام يتمتـع فيه كل واحد من المواطنين بحقوقـه ويقـوم بواجباته ، وان « هذه الآية تبين مشاركة المرأة للرجل في ولاية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أي حقها في الاشتغال بسياسة الدولة وكل مـا يصون بيضة الامة (2) » . ويدلل لصحة الفهم ما قامت به المرأة في صدر الاسلام من مشاركـة بالفعل والرأي ، وقصة المرأة مع عمر في تحديد المهر مشهورة .

مسؤولية الدولة والمجتمع عن العائلة :

وقد استنبط من قوله تعـالى « **ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم** » وقوله « **ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهـم واياكم** » ان الدولة مسؤولة ـ مثل المجتمع في

1) مقاصد الشريعة ـ ص 27

2) مقاصد الشريعة ـ ص 211

حفظ العائلة ووجوب حفظ الحياة . فالسبب في قتل بعض العرب ابناءهم خشية الاملاق ، والله قادر ان يرزق كل مخلوق متكفل به فلا يجوز قتل الاولاد الصغار وباحرى الكبار خوفا من الفقر ، هذا من جهة المبدأ الروحي ، واما من جهة المبدأ الشرعي فان الدولة مسؤولة عن تهيئة اسباب المعاش لكل واحد ... لا يجوز في الاسلام ان يبقى جائع لا يطعم أو عار لا يلبس ، أو مريض لا يجد ما يعالج به أو جاهل لا يجد اين يتعلم .

الوأد والاجهاض وتحديد النسل من أنواع القتل :

وبهذه الآية يبرهن على ان التدابير التي تتخذ ضد نمو الامة وزيادتها غير مشروعة بل يجب منعها « اذا كان واجبا على الاب والام نحو أولادهما (صيانة ابنائهما) وكان الوأد ممنوعا ـ ومن حق المجتمع بل من واجبه ان يضرب على يد الوالدين ان فعلاه ـ فان الدولة وذوى السلطة في الامة ممنوعون من اتخاذ التدابير لقتل افراد الامة خوف الفقر وذلك كوأد الاجنة في بطون أمهاتهم حتى لا تنمو الامة فلا تجد بزعمهم مايسمونه بالاقل الحيوي أو المجال الحيوي فليس احد أحق بالحياة من الآخر وليس لاحد ان يمنع احدا من الخروج للوجود أو التمتع بالبقاء فيه ان خرج ، واعتقد ان الله بما أنزل في القرآن من منع الوأد ، وبما بلغه لنا (ص) حينما وصف عزل الرجل ... بانه الوأد الخفي أرشدنا الى ان نقاوم كل ما من شأنه ان يمس بحياة الافراد والجماعات تحت ستار من الاسباب الاجتماعية المختلفة (1) » .

وقد ذكر ما أفتى به الفوضويون من قتل كل غير منتج ، أو كل مريض ، وما حاوله هتلر من ابادة الاجناس المتخلفة ثم ختم بمحاولة تحديد النسل في أمم الشرق والعرب « ان دعوات جاهلية أخرى تنتشر في اوساط العالم ولا سيما في الشعوب الكثيرة العدد مثل الصين والهند ويقلدهما في ذلك بعض دول العرب المسلمين تحت شعار الحد من النسل ، وتبيح للافراد بل يشجعهم على اجهاض الجنين بعد تكوينه بدعوى توافق عدد السكان مع مستوى الانتاج والاحتياط من الفقر ومن البطالة ، وهي نفس الدعوى التي تعللت بها الجاهلية الاولى في وأد البنات ... لقد خلق الله لنا عوالم هذه الدنيا وما فوقها وما تحتها ولحد الآن لم يبلغ الانسان في استنزاف خيراتها الا القليل (2) » .

1) مقاصد الشريعة ـ ص 225 ـ 226
2) مقاصد الشريعة ـ ص 226

العمل بالحساب الفلكي في الصوم والافطار :

ومن القضايا التي اجتهد فيها استنباطا من النصوص الشرعية ، مسألة الاخذ بالحساب الفلكي في دخول الشهر القمري الشرعي والعمل به في الصوم والافطار ، فانه بعد ان بحث الموضوع واستعرض المذاهب الفقهية وذكر ان المشهور في كل مذهب هو القول بعدم العمل بالحساب قال :

الاستنباط من الحديث :

« والذي أعتقده ان الحديث انا أمة امية لا تقرأ ولا تحسب ، خرج مخرج الكلام المعلل وهو أن العرب ـ بل الذين كانوا في عصر النبي، (ص) من أمم العالم لم يكونوا على درجة من العلم يجعل نتائج حساباتهم قطعية بل كانت مقدمات الحساب الفلكي لاثبات الشهر قبل الاسلام والى حياة النبي، (ص) ظنية غير متيقنة الانتاج ، كما تدل على ذلك بقايا نصوص الفلكيين القديمة أما اليوم فقد تطورت حال معرفة المسلمين للفلك ومنذ العصر العباسي وعلماؤنا يتعاطون هذا الفن وانضمت اليه الدراسات العصرية فلم يعد من الممكن القول بان النتائج الحسابية ظنية بل هي قطعية بقدر ما تكون الرياضيات قطعية . وعليه فما دام الحكم قد خرج معللا وما دامت العلة قد انتفت أي اننا لم نعد أمة امية بل اصبحنا نقرأ ونحسب فقد ارشدنا الحديث الى العمل بالحساب طبقا للقاعدة الاصولية التي تقول : « العلة تدور مع المعلول وجودا وعدما » ثم قال :

« نعم يجب ان نحقق المناط طبقا لما فعله العلامة ابن دقيق العيد فنقول : « الحساب الذي نعتمده هو الذي يدل على ان الهلال قد طلع من الافق على وجه يرى لو لا وجود المانع فهذا يقتضي الوجوب لوجود السبب الشرعي ولا نعتبر حقيقة الرؤية مشروطة (1) » .

وما أشار اليه علال من وجوب تحقيق المناط هو وظيفة المجتهد ، وهو تحقيق العلة المتفق عليها في الفرع واقامة الدليل على وجودها فيه مثل الاتفاق على ان العلة في الربا هي الاقتيات والبحث هل توجد هذه العلة في التين ؟ فهذا النوع من الاجتهاد لا ينقطع قال الشاطبي : « لا يمكن ان ينقطع حتى ينقطع أصل التكليف وذلك عند قيام الساعة (2) » وقول علال بأن قول

1) الجواب الصحيح والنصح الخالص للمؤلف ـ ص 31 ـ 32.
2) الموافقات ج 4 ـ ص 89

النبي (ص) انا امه اميه يعنى العرب وكل امم العالم مشى على ما فسر به الامية من انه نسبة الى الأمم لعموم الشريعة سائر الامم كما مر في مناقشة الشاطبي ، وليس بنسبة الى الام .
وقوله : « ارشدنا الحديث الى العمل بالحساب » فيه اشارة الى قاعدته التي أصلها وهي « أمر الارشاد » .

تعـدد الزوجات :

ومما اجتهد فيه على هذه القاعدة الجديدة التي لم ير احد من الاصوليين نبه عليها منع تعدد الزوجات بالآية الاولى التي شرعتها اذ يقول :« ومن الامثلة لامر الارشاد في نظرنا قوله تعالى في تعدد الزوجات بعد ان حصره في أربع فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة » فقد ارشد الشارع الى الاكتفاء بالوحدة عند الخوف من عدم العدل، وهو على ما نرى أمر للامة جمعاء ليستكملوا ما قصد اليه الشارع من ابطال التعدد مطلقا (1) » وقد اجتهد في البحث عن علة منع التعدد والزيادة على الواحدة فوجد قول عائشة رضى الله عنها « انها نزلت في التوصية بحفظ حق يتامى النساء في اموالهن وانفسهن » ، وقول ابن عباس « قصر الرجال على اربع من اجل اموال اليتامى » وفهم ان معنى الآية : « ان خفتم على اموال ايتامكم ان تنفقوها فلا تعدلوا فيها من اجل حاجتكم اليها لما يلزمكم من مؤن نسائكم فلا تتجاوزوا فيما تنكحون من عدد النساء اربعا ، وان خفتم ايضا من الاربع ان لا تعدلوا في اموالهن واموال غيرهن بسببهن فاقتصروا على الواحدة او على ما ملكت ايمانكم (2) (. واستنبط ان النص نفسه يمنع التزوج بما فوق الواحدة اذا خيف ان يكون سببا في غصب اموال اليتامى ، بل الواحدة تمنع وينتقل الامر الى ملك اليمين . وقد وجد ان جميع المذاهب الاسلامية مجمعة على منع التعدد مطلقا عند الخوف من الظلم واباحته حتى الاربعة عند تيقن العدل لكن الذي مضى عليه عمل المسلمين هو ترك هذا الامر لوجدان الرجل الذي يحكم على نفسه هل يقدر على العدل أو لا (2) .

ثم اسهب في بيان المفاسد التي تنجر — وهي منجرة فعلا — من التعدد « لم يكن مصدرها غير العبث باستعمال الرجال لفكرة التعدد فكم عائلات هدمت وكم ورثة حرموا . وكم اولاد منعوا

1) مقاصد الشريعة ومكارمها — ص 241 — 242
2) النقد الذاتي — ص 219

من عطف آبائهم مراعاة للزوجة الثانية ، وكم حوادث قتل وتسميم وقعت ، وكم انواع من الزور ارتكبت لتغلب فئة من الابناء على اخوانهم ،وكم من اولاد ربوا خارج ديار آبائهم (1) » ... « ان الاغلبية الساحقة من الذين يعددون كلهم من الفقراء والمعوزين وضعفاء الاجسام وان كل سبب من هذه الاسباب يوازى السبب الصريح فى القرآن وهو الخوف من اكل اموال اليتامى فاذا كان التعدد ممنوعا خوفا من ان يؤدى لغصب حق اليتيم فأحر به ان يكون ممنوعا اذا كان يؤدى لغصب أولاد الصلب نفسهم حقهم أو الى ازالة المودة التى وضعها الله رحمة للعائلة ورابطة بين الاب وابنه واقرب الناس اليه ، ولذلك أرى ان تعدد الزوجات يجب ان يمنع فى العصر الحاضر منعا باتا عن طريق الحكومة لان الوجدان وحده لا يكفى اليوم لمنع الناس منه (2) » . وذكر من المبررات ان هذا التعدد اصبح سببا لظلم الاسلام نفسه ، « مدخلا لكثير من اعداء الاسلام يتخذونه حجة على ديننا ـ بل يتجاوزهم الى داخل الاوساط الاسلامية نفسها فيصبح المسلمون والمسلمات عرضة للتشكك فى سلامة الدين الذى يبيح التعدد فى نظرهم وليس كل الناس فقهاء ... قادرين على ادراك الاصلاح القرآنى فى شأن المرأة نفسها فمصلحة الدعوة الاسلامية تقضى بمنع التعدد فى هذا العصر (3) » .

هذا اجتهاد منه دفعه اليه حرصه على سلامة العائلة الاسلامية ، وسلامة الدين ومصلحته ارجو ان يؤجر عليه . وان كنت لا اشك انه مخطىء فيه لان المسلمين مجمعون على فهم غير ما فهمه ، والمجتهدين مطبقون على ان الآية دلت على هذا التشريع والاباحة ، ولا يمكن ان تأتى آية واحدة تشرع التعدد وتبيحه وفيها فى نفس الوقت « امر الارشاد » لمنعه . وما المانع من اعلان منعه من اول مرة دون تدريج او بتدريج ـ كما فعل فى الخمر ـ والمسلمون حينما نزلت الآية لم يكونوا كلهم ذوى زوجات كثيرة ، بل كان القليل منهم من له اكثر من واحدة . واغلبهم ذو واحدة . فلو كان مقصد الشارع منع الزيادة على الواحدة بالنسبة الى كل رجل وفى كل حالة لجاء المنع قاطعا باتا ، وكان الامتثال السريع الصريح من المسلمين فى عصر النبوة . ثم من بعده ، وقد رأيناهم فعلوا ذلك فى الخمر ، وكان الذين يعاقرونها ويحبونها فيهم أكثر بكثير ممن يعددون

1) المصدر السابق ونفس الصفحة

2) نفس المصدر ونفس الصفحة

3) نفس المصدر ـ ص 220

الزوجات ، كانت احب الى نفوسهم وامكن من زوجة ثانية لا يخلو امرها من ازعاج ٠ ثم جاءت الآية الثانية « **ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل** » فبين الميل الذى يؤاخذ عليه ، والذى يرخص فيه ، وقد وضح ذلك علماؤنا ٠

أما المفاسد الخطيرة التى ذكرها الاستاذ فانها توجد حقا بين اخوة المختلفي الامهات ، ولكنها قد توجد مع الزوجة الواحدة ، كما اذا ماتت الاولى فتزوج الثانية ، او طلق الاولى لتعذر العشرة الزوجية ثم تزوج ، وولدت كلتاهما ٠فهل يمنع من التزوج ثانية اذا كان له من الاولى اولاد خوفا من هذه المفاسد ؟ وكم من زوجة انصرفت زوجها عن العطف على صغاره من زوجة سابقة وطاوعها ، وقد توجد هذه المفاسد بين الاشقاء انفسهم ، ومن اب نحو احد ابناء امرأة واحدة ٠ فهل يمنع الزواج احتياطا ؟

صحيح ما قرره الاستاذ من ان خوف عدم العدل بين الزوجات المانع من التعدد موكول الى وجدان الرجل ولكن الجور فى المعاملة والظلم موكول ازالته الى الحاكم . فالحكومة تمنع الجور ، والقاضى يضرب على يد الزوج الذى لم يعدل وينتصف للمظلوم ويفرض عليه اقامة العدل ، فان جار القاضى دل على فساد فى الحكم لا على فساد فى التشريع ،فالتعدد قد ابيح فى الاسلام مجرد اباحة فليس بواجب ولا مندوب ، والحكمة واضحة فلا ينازع احد فى وجود مصلحة شرعية فى هذا التعدد قد ترجع الى الزوجة نفسها ، وقد تعود على الاولاد . او على المجتمع ، او على الامة ٠ فلا مانع من ان يدرس الحاكم قضايا التعدد قبل وقوعها وينظر المصلحة ويأذن او يمنع تنفيذا لما نصت عليه الآية ٠

اما ما يصيب الاسلام من ضرر الدعايات الفاسدة التى تبثها مصالح التبشير . وتؤثر على الناس فتصرفهم عن الاسلام او على ابنائنا فتشككهم فى سلامته فلا يبرر ذلك ابطال حكم كان وما يزال رحمة لكثير من الناس كما يشهد المصلحون الاجتماعيون من الاوروبيين انفسهم الذين ينادى بعضهم من الرجال والنساء بالاذن بتعدد الزوجات ـ ولم تحرمه المسيحية وانما حرمته الكنيسة ـ رحمة بالنساء البائسات الواقعات فى شرك الرجال المتزوجين ورحمة بالابناء غير الشرعيين الذين هم نتاج هذا الاتصال،وتفريجا لازمة العاملات ، والزوجات الشواب الفاقدات أزواجهن ٠ وليس غرضى دراسة للموضوع . ولكنى لم أشأ أن أذكره دون ان انبه على الخطأ فى هذا

الاجتهاد وان كان قد استنبطه ولم يعلن مضادمتهللنصوص ورفضه لما صرحت به·وتدخل الحكومات فى مثل هذا بالتحريم يفتح باب التحليل والتحريمبالهوى فى غيرها من المسائل ·

هذه أمثلة قليلة من اجتهاداته ، وفى كتبهامثلة كثيرة تدل على فهم وغيرة على الاسلام واهله· ورحمه الله وغفر له ·

والسلام عليكم ·

تصحيح خطأ وقع سهواً

فى العدد الخاص « بجاية عبر العصور »
وفى المقال المعنون بـ « **عباقرة من رجالنا** »
جاء فى صفحة 243 فى الكلام عمــر ابن رشيق فىالسطر 13 وابو الحسن على بن رشيق.
وذلك مجرد سهو . والصواب « **ابو علـى الحسن بن رشيق** » ·

أحمـد حمانى

الاسلام نظام شامل و النقص فينا

حوار صريح مع السيد مولود قاسم نايت بلقاسم

وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية

أجرى الحوار
عاطف يونس

رأيته لاول مرة فى الملتقى السابع للفكر الاسلامى ، وازددت معرفة به فى الملتقى الثامن ، الذى انعقد مؤخرا بمدينة بجاية ··· شاب فى أوج الشباب ··· ديناميكى لا يركن الى السكينة ·· يتحدث فى الدين ومسائل الفقه ، فتظنه لا يعرف الا العربية والثقافة الاسلامية ·· ولكنك سرعان ما تفاجأ به يخوض فى شتى مجالات المعرفة العصرية بثلاث لغات ذلكم هو الاخ مولود قاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية ·

وقبل الدخول فى « سين وجيم » مع الاخ الوزير ·· نعترف بأن الاسئلة التى وجهانا اليه ، لا تخلو من الرغبة فى الاثارة والنرفزة ! ومع ذلك فان شأننا معه لم يكن أفضل من شأن ذلك الشاعر الاعرابى مع الامير اليمنى معن بن زائدة ! فقد استقبلنا الرجل – رغم اطلاعه المسبق على قائمة « المنرفزات » – بعد دقائق قليلة من وصولنا مقر الوزارة ، ببشاشة وترحاب ·

عندما دخلنا المبنى الهادىء النظيف ، الذى جمع الى البساطة سلامة الذوق ودقة التنظيم ·· طالعتنا على جدران الممرات ملصقات ملونة صغيرة ، حملت شعارات اسلامية ، قليلة الالفـاظ واسعة المعانى ، دقيقة الانتقاء ··· وفى غرفة الانتظار جذبت أنظارنا لوحات فنية ، تصور أحداثا خالدة ، وشخصيات رائدة ، من التاريخ النضالى والحضارى للشعب الجزائرى والامة العـربية الاسلامية · وهذه الرسومات المعبرة ، البالغة الاتقان ليست لبعض أعلام هذا الفن ، كما يتوهـم الناظر لاول وهلة ·· بل هي من ابداع المواهب الشابـــة ، التى تعهدها وترعاها وزارة التعليم الاصلى فى معاهدها وثانوياتها !

أما مكتب الوزير ، فأول ما تقع عليه عينـاك لدى دخوله ·· مكتب متوسط الحجم ، ينـوء تحت حمل ثقيل من الصحف والمجلات العربية والاجنبية ، وعدد من الملفات والاوراق الرسمية ·· وأمامه بالضبط يوجد ركن صغير ، فيه طاولة وبضعة مقاعد جلدية ، تحيط بها اللوحات الزيتية ذات الموضوعات التاريخية ـ كمعركة حطين ـ ورفوف الكتب والمجلات السمينة ··· وباختصار فان هذا الركن من مكتب الوزير أشبه ما يكون بمعرض فنى ـ فكرى صغير ! وما كدنا نتخذ جلستنا فيه حتى خيرنا السيد مولود قاسم بين « الزعتـر » وماء سعيدة ! وبصعوبة أخفيت دهشتى من هذا العرض ! فكلمة زعتر فى قاموسى المشرقى تدخل ضـــمن المأكولات الشعبية ، لا المشروبات الوزارية ! وكان طبيعيا أن يدفعنى الفضول الى اكتشاف هذا المشروب « الاصالى » ! أما الزميـل تركى زمولى شيخ مصورى المجاهد ، فقد طلب « كازوزة » لكن الوزير أكد أن الاختيار مـن هذين المشروبين ! فهمس زمولى فى أذنى : لست ضمآنا فأشرب الماء ، ولا مريضا فأجرع الزعتر ! وقد حسم الامر بطلب الاخير الذى اكتشفت انـه منعش ولذيذ بالفعل ! وبعد مقدمات قصيرة ، تضمنت حسابا وعتابا على بعض ما كتبناه عن ملتقى بجاية ! سحب القلم وراح يجرى على الورق بسرعة عشرين جملة مولودية فى الدقيقة !

المجاهد : ما هو الانطباع الذى عدتم به من جولتكم الاخيرة مع الرئيس هـوارى بومدين فى عدد من الدول الاشتراكية والاسلامية ؟

ـ : بخصوص الدول الاشتراكية أولا ·· بدأنا ـ كما تعلمون ـ بالصين الشعبية ، ثم كوريا ، ثم فيتنام ··· والشىء الذى أستطيع أن أقوله بالنسبة للصين وكـــوريا ·· هو أننى أعجبت ـ وأظنه انطباع الجميع ـ بالانجازات التى تحققـت فى ظرف قصير جـــدا نسبيا ·· وبالحرص والجد فى العمل ، ودرجة الانضباط فى المواعيد ، ودقة التنظيم فى كل شىء ! يضاف الى ذلك ما لاحظناه من أقصى حدود النظافة لا فى الثياب فقط ، بل حتى فى الشوارع والاسطبلات ! وقـــد

أعجبنا أكثر بحرصهم على تحقيق سياسة الاكتفاء الذاتى ، ونجاحهم فيها كل النجاح فى مختلف القطاعات ، حسب الانطباعات التى سمحت بها زيارتنا القصيرة · ولاحظنا أيضا حماس الشباب وثقته بنفسه ، وتعلقه بأصالة تجربته ، وبمكونات شخصيته وذاتيته ! والى جانب ذلك كله ، فقد لاحظنا ازدهارا اقتصاديا وصناعيا فى شتى المجالات بهذين البلدين العظيمين ، مع وفـــرة جميع المواد · ولا يفوتنا أن نشير الى البشر الذى كـان يطالعنا على الوجوه ، وبصفة أخص فى كوريا الديمقراطية ·

أما فيما يتعلق بفيتنام ، فكيف يمكننى ان اصف ما تركته حرب دامت أكثر من ربـــع قرن ، من خراب وبؤس ويتم وترمل ، وكآبة بادية على الوجوه ؟ ! **على أن ما لاحظناه من آثـــار الايدى الهمجية ، لا يعادله الا عزم هذا الشعب واصراره على وضع حد نهائى للامبريالية والاستعمار وكل نفوذ أجنبى** مهما كلفه ذلك من تضحيات ، وهو المعروف بتضحياته الجسام · واننا لمتأكدون كـــل التأكيد من انه سينتصر فى النهاية · ويحقق استقلاله الكامل ، ويسترجع وحدته ·

اما بخصوص المؤتمر الاسلامى الثانى ، الذى انعقد فى لاهور ، والذى شاركت فيه قبـــل زيارة البلدان الاشتراكية ، فلا يسعنا الا ان نعبـر عن سرورنا لمجرد انعقاده ، لان انعقاده فى حد ذاته نجاح ·· والنتائج لا يمكن أن تكون هامة · وان كنا نستطيع أن نعدد بعضها ·· مثل تحسين الجو بين بعض البلدان الشقيقة · بالتلاقى هنـاك على مستوى القمة ·· ومثل وضـــع الاسس الحقيقية لحل النزاع ، وتحقيق **التآخى بين باكستان وبنغلاديش** · وأكثر من هذا كله الصدى الذى وجدته القضية الفلسطينية ، **والترحاب الذى لقيه وفد فلسطين المناضلة** ، والاتصالات الخصبة التى أجراها مع مختلف الوفود ·

واذا اضفنا الى كل هذه الايجابيات ما ننتظره من تحقيق **الفكـــرة التى نادت بها الجزائر هناك ، المتمثلة بضرورة مساعدة الدول الاسلامية الغنية لشقيقاتها الفقيرة** ، لصالح مجموع الامة الاسلامية ، باعطاء التضامن الاسلامى مضمونا حقيقيا ·· فان المؤتمر سيكون خطوة عمـلاقة فى حياة الامة الاسلامية فى العصر الحديث ، على طريق استرجاع تماسكها ووحدتها ومجدها ! هذا ما يحضرنى الآن فى الاجابة على هذا السؤال الذى قد نعود اليه فيما بعد ·· هات سؤالك الثانى !

المجاهد : أليس غريبا أن تكون مواقف الاصدقاء من قضايانا أكثر ايجابية من مواقف بعض اخوتنا فى الاسلام ؟ !

ـ : هذا غريب فعلا ، وان كان تأييد الاصدقاء أيضا فيه تفاوت ، وفيه ما فيه ! فضلا عـــن كونه نسبيا جدا ! واذا كان بعض الاخوة يخذلون ، أو يقفون موقفا سلبيا على الاقـل ·· فكيف

يمكن أن ننتظر من غيرهم ـ مهما كانت صداقتهم لنا ـ أن يكونوا أقرب الينا ، واكثر تضامنا معنا ومساعدة لنا ، خاصة فى قضية الامة الاسلامية الاولى حاليا ·· فلسطين ؟ ! وقد صدق الشاعر العربى القديم حيث قال :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة ·· الخ ! ولكن ·· لنتفاءل ، ولنستبشر خيرا بمؤتمر لاهور ، ولننتظر منه ـ على الاقل تحسنا ملحوظا فى مواقف بعض الدول الاسلامية نحو قبلتها الاولى ·

المجاهد : هناك من يعتبر تعدد الطوائف والمذاهب ثـــروة للاسلام ·· فما موقفكم من هذه القضية ؟

ـ : هناك عبارة مشهورة فى أوساط الفقهاء تقول : **اختلاف العلماء رحمة !** وأنا شخصيا لا أومن كثيرا بفوائد الاختلاف ، ولكنه حقيقة مستقلة عنا ··· ثم انها ظاهرة لا ينفرد بها الاسلام ، فجميع الاديان تتوفر فيها هذه الاختلافات وانه ليوجد فى بعضها تشعبات وتنوعات وطبقات اكثـر مما يوجد فى الاسلام بما لا يدع مجالا لأية مقارنة !

ومع ذلك فنستطيع أن نقول ـ وقد لاحظتـم معنا ذلك فى الملتقى السابع بتيزى وزو ـ **بأن هناك اتجاها قويا فى أوساط المختصين من بين المسلمين للاستجابة لرغبات الجمهـور ، وادراكا واعيا لضرورة الساعة وحتمية تحقيق الوحدة ·**

وحسبنا أن نذكر **بالروح الصادقة** ، التى برزت فى الملتقى السابع ، من خلال الجو العام الذى ساد الملتقى ، والتوصيات التى أسفر عنها ·· وهو الذى اجتمعت فيه المذاهب الاســلامية الثمانية المعروفة ، لاول مرة منذ نشوء المذاهب فى القـرن الرابع الهجرى ! وكل هذا يبعث على التفاؤل أيضا ، بشرط استمرارية العمل ، وعدم التواكـل والتآكل ·· وهو ما قررناه معـــا ، وما نحن مصممون على المضى فيه ، على الاقل فيما يخصنا ·

المجاهد : ما رأيكم فى المناهج وطرق التدريس ، المطبقة حاليا ، فيما يخص مادة الدين ؟

ـ : **هذه المناهج غير مرضية** ·· وهناك جهود تبذل من وزارتى التعليم الابتدائى والثانوى ، والتعليم الاصلى ·· كما ان هناك خطة متفقا عليها للتعاون بينهما · وما دمنا حاليا لا نتوفر على أساتذة متخصصين فى هذه المادة بكفاءة وكفاية ·· فالمشكل يبقى معلقا ، اذ أن أغلـــب المعلمين والمدرسين الذين يقومون بتدريس هذه المادة الآن ، فى التعليم الابتدائى والثانوى غير متخصصين فيها · **وطبقا للخطة المشار اليها ، فسيحل المشكل بالتدريج ، عندما تبدا كلية الشريعة والدراسات**

الاسلامية فى قسنطينة ، بتخريج دفعاتها ··· وكذلك حين تتم كلية أصـــول الدين التى نعتـزم انشاءها فى عاصمة الجزائر ان شاء الله ·· **فهناك** ـ فضلا عن الحاجة المحلية ـ مطالب ملحـة علينا من افريقيا الشقيقة فى ارسال هؤلاء الاساتذة الذين لا نتوفر عليهم حاليا ، حتى لاستهلاكنا المحلى ، اذا صح التعبير !

المجاهد : ما هو تصوركم لحماية الشباب مما وصفتموه بالغزو الفكرى ؟

ـ : تصورنا لكيفية حماية الشباب هو أن **يقوم هناك عمل منسق ومتكامل بين الاسرة ومختلف أجهزة الدولة من مؤسسات تربوية واجهزة اعـلام** · وينبغى أن يساهم فى هذا رجل الشارع وكل مواطن ، عملا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر · وفيما يخص هذه الوزارة فانها ستعمل قدر طاقتها سواء **بالاحاديث** التى تقدمها من خلال الاذاعة والتلفزة ، أو عن طريق **مجلة الاصالة** ، وفى اطار **المحاضرات** التى تنظمها على امتداد السنة ، فى العاصمة ، ومختلف أنحاء القطر ·· اضـافة الى ما يقوم به الائمة فى المساجد لحث الآباء على العناية بأبنائهم ·· وبصفة أخص ، فى اطار ملتقيات الفكر الاسلامى التى تنعقد سنويا ، **ومن خـلال هذا كله نحرص على أن نقدم للشباب امكانية المقارنة بين ثقافتنا ومكونات أصالتنا من جهة والثقافات المستوردة بما فيها من صالح وطالح ، من جهة اخرى ، ونحثه على أن يستخلص النتيجة بنفسه** ، وبذلك نربى فيه ملكـة الحكم وروح النقد · وقد رأيتم مثلا فى الملتقيات ·· أننا ندعـو أساتذة من مختلف أنحاء العالم الاسـلامى ، وكذلك من بلدان أوروبية غربية وشـرقية ، من مسيحيين بمختلف طوائفهم ، وشيوعيين بعديد اتجاهاتهم ، وغيرهم وغيرهم ، من ممثلى التيارات الاخرى ! ولكن هذا كله يشترط أن تتوفر لدى أبنائنا الحصانة الفكرية ، والمناعة الروحية ، ليميزوا ويقارنوا بأنفسهم ، ويكونوا بمنأى عـن التأثرات السلبية !

المجاهد : كنا ندخر للحديث عن الملتقيات مجالا آخر ·· ولكن ما دمتم قد ذكرتموها ، فهـل الحاجة الى هذه الملتقيات وقف على الجزائر ؟ لماذا لا تتعاقب الدول الاسلامية على استضافتها ، والاقتداء بها ؟

ـ : يكفينى فى هذا أن اقول : ان الملتقى السادس الذى انعقد بالعاصمة سنة 1972 ، قـد أكد فى احدى توصياته على الاكثار من هذه الملتقيات فى مختلف البلاد الاسلامية ، مـع ضرورة التنسيق حتى لا تنعقد مؤتمرات عديدة فى نفس الوقـت !! ·· **ذلك أن هذه الملتقيات لا ينبغى أن يستفيد منها الاساتذة والطلبة فقط ، بل عليها أن تنفتح على الجمهور ايضا ، كما نفعل فى ملتقيات**

الجزائر ·· ومن هنا تأتي ضرورة انعقادها في مختلف البلدان الاسلامية ·· ليتمكن رجل الشارع من الاستفادة منها بالحضور ، أو عن طريق أجهزة الاعـلام ، والكتب التي تجمع ما يدور في تلك الملتقيات ·

المجاهد : طالبتم غير ما مرة بأن يتسلح المسلمون باليقظة والحذر في التعامل مع الاجانـب ، وذكرتم مرارا بما فعله « ليون روش » الذي استغل طيبة الامير عبد القادر ··· ومع ذلك فان ثمة من يأخذ على بعض الملتقيات عدم الدقة في انتقاء المدعوين ، ويرى أن بعض هؤلاء ليس فـــوق مستوى الشبهة ·· فما رأيكم ؟ !

ـ : فعلا نؤكد في كل مناسبة على **ضرورة الحذر واليقظة والحيطة** ، ازاء كل من يريد أن يتبنى نا ـئتنا ويتسرب الى صفوفنا ··· وهذا لا يمنـــع اطلاقا من التفتـــح والمناقشة والمقارنة والجدال الحسن (وجادلوا أهل الكتاب بالتي هي أحســـن) ··· أما بخصوص بعض الاساتذة الذين ندعوهم ـ ولا شك **أنكم تقصدون الذين ندعوهم من غير البلاد الاسلامية** ـ فهـم أما أساتذة جامعيون أو كتاب معروفون بمؤلفاتهم ·· ونرى من الاحســـــن ان يتعرف طلبتنا عليهم عن كثب ، فيناقشوهم ويجادلوهم ويتعرفوا على مناهجهم وطرق تفكيرهم ·· ويعرفوهم بمناهجنا وطـــرق تفكيرنا ومواقفنا مما كتبوا ويكتبون ··· **وحيـث أن هذه الملتقيات مفتوحة للجميع ، وتنصـــب على مواضيع حضارية فكرية ، فليس فيها أسرار دول تفشى ، ولا منافذ للتخريب من الداخل !** وقـد ظهرت نتائج هذه اللقاءات فعلا في تعديل الكثير من مواقف هؤلاء المدعوين ·· فضلا عما يفيدوننا به من طرق ومناهج حديثة ، نحن في حاجة اليها ، **وخذ العلم من أي كان ، حتى من الشيطان ! مـــع التحصن** بروحانيتك وأصالتك ··· ثم ان هذه الاتصالات متوفرة في عصرنا عـن طريق الكتاب والصحافة وسائر أجهزة الاعلام ، ومن خلال الاتصال المباشر أيضا ، ســــــواء في الثانويات والجامعات ، أو الاسفار ··· فالاحسن ان تكون هذه الاتصالات في اطار منظم كما هو الشأن في هذه الملتقيات !

المجاهد : في نهاية الحديث عن الملتقيات ·· ما هو تقييمكم للملتقى ببجاية ؟ وهل هناك تعديلات تنوون ادخالها على الملتقيات مستقبلا ؟

ـ : أظن أن ملتقى بجاية قد نجح ·· وحكمي للملتقى ـ كمشرف عليه ـ يؤخذ طبعا بحيطة وحذر ! لانه ربما قل أو انعدم فيه عنصر الموضوعية !

ولكن اذا ما اخذنا بما قاله الجميع تقريبا من أساتذة الشرق والغرب ـ وأظنهم لـم يكونوا جميعا مجاملين ـ تأكدنا من صحة ما ذهبنا اليه ··· على أن كل شيء طبعا نسبي ، وكل شـــيء

قابل للتحسن ويستدعى المراجعة والتعديل · وهذا أيضا شأن هذه الملتقيات التى تتحسن وتتطور كل سنة ·· ونظن أن هذا سينطبق على الملتقى المقبل ، فالمفروض فى الانسان أن يستخلص الدروس من كل تجربة ، وأن يتدرج دائما من حسن الى احسن · واذا لم يبد لنا شيء من حيث الجوهر ، يستحق التعديل ، فان بعض الجزئيات والتفاصيل سيتناولها التغيير فعلا ·· وسنقولها لكم قبيل ملتقى تلمسان المقبل ، عندما نكون قد جمعنا كـل عناصر الموضوع ، وبدانا فى الاعداد الفعلـى للملتقى التاسع ·

المجاهد : كيف تنظرون الى المدارس الخاصــة ، التابعة للارساليات التبشيرية ، وما هي الاجراءات التى ترونها ضرورية لحماية النشء من خطرها ؟ وفى المقابل ·· ما رايكم فى ان كثيرا من المدارس الخاصة التى تتبع « أسميا » لوزارة التعليم الاصلى ، تستغل ثقة الوزارة لاغراض تجارية ؟ !

ـ : مدارس الارساليات التبشيرية خطر بالفعل ، لانها قلما تلتزم بمجـرد التعليم ، وينبغى أن نعترف بأنه يصعب عليها هذا الالتزام ، لان التعليم مرتبط كـل الارتباط بالتربية كما نعلم جميعا ·· حتى أن كثيرا من وزارات التربية تسمى « وزارة التربية والتعليم » ··· ثم ان هدفها مـن رسالتها هو اكتساب عناصر تضمها الى صفوفها ، وهذا شيء مشروع من وجهة نظرها ! ولا نلوم الا انفسنـا اذا لم نتسلح باليقظة والحذر ! **وأرى أن الحل الوحيد فى هذا ، هو ان تقتصــر مهمة هذه المدارس التبشيرية على ابناء دينها ، وسماحة الاسلام تقبـل بذلك ·· أما أن نبعث اليها بابنائنا فلا نلوم فى ذلك الا أنفسنا !** وافضل وسيلة لحماية النشء مـن خطرها هو الا نعرضهم لهذا الخطر ، مع الحيطة من نشاطها خارج المدارس أيضا ، وذلك بتحصين شبابنا أولا ضـد جميع التيارات ، ثانيا باتخاذ **التدابير اللازمة لمنع أي نشاط يحاول استغلال أصول الضيافة !**

ان النشاط التبشيرى اذ يبلبل الشخص ، يبث الفتنة فى الاسرة ، ويخرب الامة بالتالى ، اذا ما استفشى واستشرى ! **وكلنا نتذكر ما كتبه المستشرق المبشر « زويمر » من ان مهمة المبشر ليسـت اكتساب أبناء المسلمين للمسيحية ، ولكن جعلهم غير مسلمين !** اي يذبذبتهم بحيث يخسرهم الاسلام ولو لم تكتسبهم المسيحية !

أما فيمايخص الشق الثانى من السؤال ، **وهو ما يتعلق بالمدارس الخاصــة** الاسلامية ، فانكم تعلمون أن هذه المدارس تحتاج الى رخصة من احدى وزارتى التعليم ، وهما وزارتا التعليم الابتدائى والثانوى ، والتعليم الاصلى ، والرخص التى تمنحها كلتا الوزارتين ، تتضمن اشرافا معنويا من بعيد وبالمراقبة من حين لآخر · وينبغى أن نعترف بأن بعض هذه المدارس الخاصة تـؤدى مهمتها بنزاهة

واخلاص ، وأنها أنقذت كثيرا من الشباب وأوصلتهم الى الباكالوريا ٠٠ على أن بعضها الآخر يستغل هذه المهمة استغلالا فاحشا من الناحية المادية ، فيما تفرضه على الطلبة من مساهمة مالية باهظة ، ترهق الاوساط الفقيرة التى ينتمى اليها كثير من هؤلاء الطلاب ٠ **وقد سحبنا رخصنا من كثير من هذه المدارس** ، بعد الاطلاع على شيء من هذا السلـوك السيء ، أو عدم تطبيق البرنامج ٠٠٠ واصبحنا نتشدد أكثر فى الرخص الجديدة ، مع مراقبة صارمة للمدارس التى اعطيناها رخصا من قبل ٠ أما الجوانب الاخرى كالظروف الصحية لمثل هذه المدارس ، فالحقيقة اننا لا نتشدد كثيرا فى هذا الجانب ونعلم أن كثيرا من اقسامها يفتقر الى الشروط الصحية ، حيث تســـــود الرطوبة والظلمة ، وسبب تسامحنا هنا هو **أننا نؤثر ان يتلقى الطفل تعليمه ولو فى مثل هذه الظروف الصعبة ، على أن يظل مهملا فى الشارع ٠**

المجاهد : وأخيرا ، تميل فئة كثيرة من الشباب المثقف الى الاعتقاد بأن الاسلام لا يملك اجابة كافية على الاسئلة الاجتماعية والاقتصادية ، التى يطرحها العصر ٠٠ فما قولكم ؟

ــ : الاسلام ليس دينا فقط ٠٠ بل هو أيضا نظام اجتماعى وحضارى ، وعلى هذا الاساس فقد عرف مثل غيره عصور الركود والجمود ، بـــل والانحطاط !

لكن تأخر البلاد الاسلامية ــ كما كتب للملتقى أخيرا المستشرق المجرى المعروف عبد الكريم يوليوس جيرمانوس المسلم الوحيد فى المجر ، والبالغ من العمر تسعين عاما ــ ليس عيبا فى الاسلام بل فى المسلمين ٠٠ ذلك أن الاسلام الذى اعطانا والبشرية بالامس تلك الحضارة المزدهرة ٠٠ تلـك النخبة من العلماء الافذاذ ، الذين جعلوا البشرية كلها تقفز من سراديب القرون الوسطى الاوروبية طفرة الى العصر الحديث ٠٠ أمثال الفارابى ، وابن سينا ، وابن رشد ، والخوارزمى ، والبيرونى وابن القاسم ، والرازى ، وابن الجزار ، وابن خلدون ، وابو حمزة الجزائرى ، وغيرهم كثيرون ٠٠ هو الذى يستطيع أن يفعل ذلك اليوم وغدا ٠

ومن الادلة النظرية الكثيرة على شمولية الاسلام ومنطقيته أن ذكر الدنيا فى القرآن الكريـم يتقدم ذكر الآخرة ! وعمليا فان الاسلام هو الذى أوجد أول مؤسسة للضمان الاجتماعى ! فصلاح الدين هو صاحب « قطرة الحليب لكل طفل » ، قبل منديس فرانس بعدة قرون ! وعمر بن الخطاب وهو الذى أنشا الضمان الاجتماعى للعجزة ولـو كانوا ذميين ، والمنحة العائلية للاطفال ولـــو كانوا ابناء سفاح !

وفى عهد عمر بن عبد العزيز عم الرخاء والازدهار حتى لم يجدوا فقراء ياخذون الزكاة ! وحتى الحيوانات الاليفة وجدت لها مؤسسات اجتماعية فى بعض عصـــــور الاسلام ، لتغذيتها ومعالجتها ٠

الاسلام اذن نظام كامل شامل ، فهو دين وهو لم يتغير قط ، ولكن المسلمين هم الذين تغيروا ، « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، وقد فصل ذلك شكيب ارسلان فى كتاب خاص اسماه « لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم » ، فلنرجع الى الاســـلام الصحيح الذى هو ضد كل تخلف وضد كل استغلال وكل تمييز ، ففيه حلــول لجميع المشاكل على تغير الزمان والمكان ··· وباب الاجتهاد ما يزال مفتوحا كما قرره كثير من العلماء ، واجمعت عليه المذاهب الثمانية فى الملتقى السابع · لنرجع الى هذا الدين اذا كنا نريد استعادة عزتنا ومكانتنا بين الامم ، فهو التقدم بذاته مع المحافظة على القيم ·

واسمحوا لى هنا ، أن أعود الى كوريا والصين (حاول أن تسرع فى الكتابة أكثر !!) فقد أعجبنى هناك أننا رأينا من البشر بعدد حبات الرمل ، تدب الى العمل فى سير منتظم دبيب النمل ! ولم نشاهد فى شوارعها فى أوقات العمل جموعا تتــزاحم وتتشاتم ، ولا متسكعين ومتسكعات ، ولا فى الليل مترنحين ومترنحات ولا أحلاسا قصيــرة ، ومخيخات لكل سخف اسيرة ، ولا ابتذالا وابتذالا ! وأن كتابها وفنانيها ليسوا مخربشين وغربانا مرضى ، يحومون حول الجيف ، ويدعون الى الكسل ، والانحلال ، والفوضى !

أعجبنى فى الصين وكوريا أن المقياس فيهما للثـــورية والتقدم ، بالمصانع لا بالمقاهى ، وبالمزارع لا بالملاهى ، وبالمطابع لا بالمزاهى ! وان العبرة فيهما بالعلم ، والعمل ، والسيرة ·· لا بالرقص ، والقمار ، والبيرة !

لقد يتحسر البعض ويتساءل : أين شنغــاي القديمة ؟ لقد ذهبت مع الافيون واللفيف ، ولم يبق فيها من ذلك كثير ولا طفيف ·· وأخذت عــن البـــلابل التبكير والزقزقة ، وتركت للضفادع تخبط الليل والنقنقة !

وقد تقول أيها القارىء المسلم الكريم : ولكنهم شيوعيون ! وأجيبك : نعم شيوعيون ، ولكنهم صينيون وكوريون ، ولو شهدوا لكانوا هم المسلمون الحقيقيون ! ومجتمعهم هـــو ذلك المجتمع المثالى ، الذى طالما حلم به الفارابى والفلاسفة الطوباويون !

ايه أيها المسلمون ! حطين أم طين ؟ وعلى كل فهذا هو انطباعى عن كوريا والصين ! وانطباع كل عقل حصين رصين !

مسلم و مفكر ياباني
يتحدث الى الشعب

حوار مع الدكتور عبد الكريم سايتو
استاذ الاقتصاد بجامعة طوكيو (اليابان)

مسلم من مسلمي اليابان ـ وهم فئة قليلة فيتلك البلاد الموجودة في اقصى شرق المعمورة ـ جاء ليشترك في الملتقى الثامن للفكر الاسلامي الذيعقد في الشهر المنصرم بمدينة بجاية العريقة وهذا الشخص المتواضع هو الحاج عبد الكريم سايطو رجل الاقتصاد ومدير الجمعية الاسلامية اليابانية وهو كذلك استاذ بجامعة تاكو شوكو في طوكيو ·

وجدير بنا ان نلاحظ هنا ان الاستاذ عبدالكريم قد ألقى محاضرة في ملتقى بجاية تعرض فيها الى وضع الاقليات والجاليات عموما والاسلامية خصوصا في كثير من بلدان القارات الخمس وواجب العلماء والمفكرين ورجال الاعلام نحوها ·

وقد خصنا الاستاذ عبد الكريم سايطو قبيل مغادرته أرض الجزائر بحديث استعرض لنا فيه بعض افكاره وفيما يلي نص الحديث :

« انني انتهز هذه الفرصة لاشكر جريدة « الشعب » ، وانني مسرور بهذا اللقاء ، وانني اشكر معالي السيد مولود قاسم وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية الذي تمكنا بفضل جهوده من القدوم الى الجزائر لحضور الملتقى » ·

سؤال : سماحة الاستاذ عبد الكريم هل لكم ان تدلوا لنا برأيكم عن فكرة عقد مؤتمر سنوى للتعرف على الفكر الاسلامى ؟

جواب : « ان هذا المؤتمر ندوة هامة جدا ليس بالنسبة للجزائر فحسب بل بالنسبة للعالم الاسلامى ، وان مثل هذه المؤتمرات التى تعقد بالجزائر تهم شعوب الامة الاسلامية بأسرها بما فيها الجاليات الاسلامية فى العالم ، وهذا المؤتمر هو بمثابة تشجيع للجاليات الاسلامية وسند لها ، بحيث انها لا تشعر انها مهملة .

ان مثل هذه المؤتمرات ستعجل بوحدة العالم الاسلامى اننى اشكر الحكومة الجزائرية واطلب منها ان تواصل تنظيم ندوات الفكر الاسلامى .

ففى نظرى ينبغى لمثل هذه الملتقيات ان تكون منبرا من منابر الاسلام للتعريف بالديانة المحمدية السمحاء وبمذاهبها ، وذلك خدمة لمستقبل العالم الاسلامى بتمامه وكماله وفى الواقع من اجل توحيد كل البلدان الاسلامية ، وكما قلت آنفا لتشجيع الاقليات الاسلامية فى عدد كبير من البلدان : ففى اليابان على سبيل المثال توجد قلة قليلة من المسلمين اذا قارناها بالعدد الهائل للسكان فى جزيرتنا ، وقد دخل الدين الاسلامى اليابان منذ وقت قصير جدا « فى بداية القرن العشرين » على أيدى بعض العلماء البرزة كالحاج عمر ميتاى «الذى ترجم القرآن الكريم من العربية الى اللغة اليابانية وقد طبعت الترجمة فى المملكة العربية السعودية» والحاج عمر ميتاى من أقدم المسلمين فى اليابان ، وانا ـ اسلمت منذ 17 عاما ، الا ان أملنا وامل المسلمين فى اليابان ان يرفع الشبان مشعل الديانة السمحاء بعدنا نحن ويحافظون على اسلامهم » .

سؤال : استاذ عبد الكريم لقد زرتم خلال اشغال الملتقى الثامن بعض المنجزات الاقتصادية فى منطقة بجاية وسطيف واطلعتم على بعض المشاريع فهل لكم من كلمة تقولونها لنا عن سياسة التنمية الجزائرية ؟

جواب : « اننى زرت الجزائر منذ ثمانى سنوات أول مرة وعندما تنقلنا مؤخرا لزيارة المشاريع الاقتصادية الجزائرية كنت سعيدا بأن لاحظت انه حصل تغيير كبير جدا ، واننى لم أكن من قبل اتوقع مثل هذا التغيير . فلقد كنت سعيدا جدا بملاحظة المشاريع الاقتصادية المنجزة ، ولما قدمت الى الجزائر منذ سنوات لم ألق صناعة تذكر أما الآن فقد سنحت لى فرصة حضور الملتقى الثامن للفكر الاسلامى لرؤية مصانع كبيرة تعمل وعدة مشاريع بصدد الانجاز ، وهذا ان دل على شىء

فانما يدحض الدعاية الفرنسية التى كانت تقول فيما مضى ان الجزائـر سوف تؤول الى الـزوال عندما تستقل ·

والآن والحمد لله أرادت مشيئة الله ان تنجـز مشاريعها وان من حافظ على دينه تقدم لا محالـة وباذن الله ، والجزائر بلد غنى فقد كانت تنتج فى عهد الاستعمار 16 مليون طن من البترول . أما الآن فهى تنتج 50 مليون طن ، والجزائر بلاد خـيرات يتوفر فيها كل ما يحتاجه الانسان ·

لقد رأيت فى أسواق الجزائر كل أنواع الخضر والفواكه وهى قليلا ما تكون متوفرة فى اسـواق بلدان العالم المصنع واننى لاحظت ان الدنيا كلها خضراء فى الجزائر، فالخضرة والزهور تكسو الارض ما بين بجاية والجزائر ·

ان الحكومة الجزائرية تسلك سياسة ينتفع منها الشعب الجزائرى كله وليس فئة رأسمالية . وهذا ما يدعو اليه الاسلام ، ان الجزائر تبنى الاشتراكية على أساس اسلامى وهذا هو أحسن السبـل الاقتصادية للتقدم والازدهار » ·

سؤال : استاذ عبد الكريم لو سمحتم بسؤال آخر . ان الرئيس بومدين سيشارك فى الدورة الطارئة للجمعية العامة للامم المتحدة لدراسـة قضايا المواد الاولية ، فما هو رأيكم عن هذا المؤتمر الاقتصادى الذى لم يسبق له مثيل ؟

جواب : « يجب ان تعم الحضارة الانسانية كل بلدان العالم ولا ينبغى ان تقتصر على أمريكا أو أروبا ، ففى الماضى كانت البلدان المصنعة تسيطر بواسطة الشركات البترولية الكبرى على مصادر الطاقة فى بلدان العالم الثالث ، ولكن الآن ومن حسن الحظ اصبحت البلدان النامية وخاصة منها المنتجة للبترول تتحكم فى قضايا الطاقـة فى العالم ، فسياسة الرئيس هوارى بومدين فى هذا المجال هامة جدا لانها ستعجل بحصول عـدة تغييرات عما قريب واننى متيقن من ان امريكا ستدرك كل مشاكلنا فى هذا الاسبوع . وهـذا أمر هام جدا، اما بشأن الاقتراح الامريكى بشأن اقامة مجموعة موحدة للبلدان المستهلكة للطاقـة بقصد مواجهة البلدان المنتجة فهو قد يفيـد البلدان الصناعية ، ولكن توجد خلافات كبرى احيانا بين هذه البلدان ، ان نيكسون الذى صدر عنه هذا الاقتراح يفكر تفكيرا خاطئا ، وهو بطبيعة الحال يريد افادة مصالحه لا غير . بعكس الرئيس بومدين الذى اعتقد انه يفكر فى الجميع ويريد افادة الجميع من أجل تحسين علاقات التبادل بين الدول غنية كانت أم فقيرة، دون تمييز · ان الرئيس بومدين لا يعمل فقط لفائدة الجزائر بل كذلـك

لفائدة بلدان العالــــم الثالث ، واننى اتمنى انيتوصل الرئيس بومدين الى حل المشكلات ، ولا أظن ان الرئيس نيكسون سيحلها » ٠

ونحن على وشك انهاء هذا الحديث انضم الينا الاستاذ الهادى خسرو شاهيان الاستاذ بالجامعة الاسلامية فى قم بايران ورئيس تحرير مجلـــة « الهادى » والحاج الشريف احمد البرقى المغربى مدير المركز الثقافى الاسلامى بمدينة ارهس فى الدانمارك ، فأبى الاستاذ خسرو شاهيان الا ان يقول لنا الكلمة التالية :

« اننى اشكر وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية على الجهود الجبارة التى بذلتها ولدعوة كل العلماء والمفكرين من كل اقطار العالم للاشتراك فى ندوة عالمية اسلامية ولبحث المشكلات الموجودة فى العالم الاسلامى . وطرق حل الازمات . وهــذا ليس ببعيد فى بلد اسلامى كالجزائر التى تمسكت باسلامها منذ القديم كأحسن ما يكون التمسك ،وقد وفت الجزائر بعهدها للاسلام بعد الثـــورة الكبرى لانها تعلم جيدا ان الاسلام كان عمـــاد الثورتها ، ونحن نشكر معالى الوزير مولود قاسم الذى قام بنشاط واسع فى هذا السبيل ويقيـم الملتقى الذى يلتقى فيه المسلم الشيعى من ايران ولبنان مع أخيه المسلم السنى فى كل مكان ،ونسأل الله تعالى ان يوفقنا جميعا فى هذا السبيل ان الشعب المسلم فى ايران والجامعة الاسلامية فى « قـم » التى يدرس فيها سبعة آلاف طالب مـن شتى الاقطار الاسلامية لعلى صلة روحية باخوانهم الجزائريين » ٠

ثم صرح لنا الحاج الشريف احمد البرقى بما يـلى :

« باسم المركز الثقافى الاسلامى اشكر الحكومة والشعب الجزائرى ووزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية والرئيس هوارى بومدين وهذه أول زيارة أقوم بها للجزائر واننى مسرور جدا لنجاح الملتقى الذى حضرته اننى لاحظت ان للحكومة الجزائرية نظام تخطيط دقيق لم أشهد مثله فى أى بلد عربى آخر والبرنامج الذى أفضله فى الجزائر هو البرنامج الخاص بالقرية النموذجية فى الريف التى تساعد سكان الريف فى أوجه نشاطهم وحياتهم اليومية وان القرية تخفف عن العاصمة مشاكلها ، واننى انتظر ان ينظر للجاليات الاسلامية فى أروبا ٠

اننا نطلب المساعدة من الحكومات العربية لانشاء مدرسة ومكتبة عربية . لا لخدمة جالية معينة ولكن لخدمة كل الجاليات الاسلامية ٠

وشهد شاهد من غير أهلها

حوار مع الدكتور مانفريد فلايشهامر

نائب رئيس قسم علوم الشرق والعصور القديمة
بجامعة هالة (الجمهورية الديمقراطية الالمانية)

اجرى الحديث : **عاطف يونس**

الدكتور منفريد فلايشهامر مستشرق المانى ،شارك أكثر من مرة فى ملتقيات الفكر الاسلامى التى تعقد سنويا فى الجزائر · وهو من مواليدمدينة ماكدبورغ لعام 1928 · وفيها تلقى علومه الابتدائية والثانوية ، ثم تابع دراسته العالية فىقسم علوم الشرق والعصور القديمة بجامعة هالة (المانيا الديمقراطية) حيث تتلمذ على المستشرقينالمعروفين بروكلمان وجوها نفوك ، وحصل على الماجستير باطروحة حول مخطوط مشاهير علماءالامصار لابن حبان البستى · وقد طبعت أطروحته هذه فى القاهرة عام 1955 · ثم نـال الدكتوراهالعليا عام 1966 ، وكان موضـوع الاطروحة مصادر كتاب الاغانى لابى الفـرج الاصفهانى ·واضافة الى هذين البحثين ، فقد حقق الدكتـور مانفريد كتابا حول قواعد اللغة العربية لأستاذ بروكلمان · وله الى جانب ذلك عدة مقـالات وتراجم للادب العـربى الحديث ، فى المجلاتالعلمية ·

وهو يشغل اليوم منصب نائب رئيس قسـم علوم الشرق والعصور القديمة بجامعة هالة ·

وقد اتضح لنا من خلال مشاركته فى ملتقى بجاية انه متمكن الى حد ما من العربية ، الى جانب اتقانه للانجليزية والفرنسية ·

وفى لقائنا السريع معه أثرنا جملة من المسائل الفكرية ، مما يهم القارىء العربى ، ولم نكن نتوقع ان يكون المستشرق الالمانى الشاب على هذا القدر من الحيطة والتحفظ فى الرد على أسئلة ليست بذات طابع سياسى :

المجاهد : باي دافع اتجهتم الى اللغة العربية ، وما هو تقييمكم لها على ضوء ما تعرفونه من لغات اخرى ؟

ـ : الحقيقة انه لم يكن لدى دافع معين ، وربما كان لقائى بالعربية من باب الصدفة ! وقد بدأت صلتى باللغات السامية بتعلم اللغـة العبرية لقراءة التوراة !

مقاطعة : هل أنت مسيحي أم يهودي ؟

ـ : (بشيء من الارتباك) أنا مسيحي ! أما بخصوص العـــربية ، فقد اتجهت اليها بعد الدراسة الثانوية ، وهي لغة غنية بمفرداتها ومعانيها ، ومعلوم أنها كانت في العصـــور الوسطى لغة علمية ، تعبر عن كل التصورات والافكار العلمية الموجودة في ذلك الوقت ·· عرفت هذا مـــن خلال علاقتي واشتغالي بهذه اللغة ·· أما الآن ، فقد وجدت من خلال الكتب والصحف العربية أن اللغة العربية يمكن أن تكون في الوقت الحاضر لغة علمية ، تستوعب كل الاحتياجات العلمية والتقنية الحديثة ، ولكني أعتقد أن هناك بعض المشكلات ، كتوحيد المصطلحات العلمية ، وهذا مطلب واحتياج أساسي في كل علم ، وأرى ما يراه الكثيرون مـــن علمائكم أن العـــربية تقتضي توحيد وتثبيت الجهاز الاصطلاحي ، لسد الاحتياجات العلمية · فنحن نلاحظ أن اللغات العالمية تتوفر على ثـروة من المصطلحات الموحدة والثابتة · اللغة أداة تفاهم في الدرجة الاولى ، ومن واجب أصحـــاب العربية أن يتعاملوا بصورة دقيقة ! وأرى أن العربية قادرة على أن تستعيد مكانتها في الحضـــارة والعلوم ·

المجاهد : بوصفكم مستشرقا ·· كيف تنظرون الى دور المستشرقين بالنسبة الى التـراث العربي عامة ، والتاريخ بصفة خاصة ؟

ـ : تختلف دوافع العلماء في الدراسة والبحث في شتى العلوم ، ومنها العلوم الاجتماعية ، ولا أستطيع أن أتحدث في هذا الموضوع بصفة عامة ، ولكن فيما يخص أهداف المستشرقين في بلادنا فهي علمية محضة ·· فنحن نحاول دراسة تـراث العـــرب وتاريخهم لنفهم وضعهم الراهـــن ، ونستشرف معالم مستقبلهم !

المجاهد : وما الذي توصلتم اليه في هذا السبيـل ؟

ـ : كلما أتيحت لي فرصة زيارة بعض الدول العـــربية ، لمست تقدما في مختلف مجالات الحياة ، والمس محاولات جادة للنهوض في كل المجالات العلمية والفنية ، وعلى سبيل المثال ، فقد زرت الجزائر مرتين وكانت الاولى في بداية الثورة الزراعية ، وها أنا اليوم من خـــلال المتابعة والمشاهدة ـ ألاحظ أن الشعب الجزائري يواصل السير بكل جد ونشاط في هذا الاتجاه ، وأحـــب أن أؤكد لكم أن الشعب في ألمانيا الديمقراطية ـ لا العلماء وحدهم ـ يتابع ما يحدث في الجـزائر بكل اهتمام واعجاب ··· وهذا يؤكد ان العـرب يتقدمون حثيثا في ســـبيل ازدهـــار جديد لحضارتهم وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ·

المجاهد : شكرا ، وأرجو الا يكون قولكم هذا من باب المجاملة !

ـ : (ضحك) لا ، لا ·· أنا لا أصانعكم ، وما قلته هو ما أعتقده فعلا ·

فالملتقى مثلا ، أكد لنا أن العرب يعرفون مشاكلهم ويرغبون فى حلها ·· وقد لا يأتى الحل سريعا ، ولكن المهم أنكم تعون مشاكلكم وتستعدون لحلها ·

المجاهد : تعرفون بلا ريب ان مقدارا واسعا من المخطوطات العربية موزع بين متاحف أوروبا ومكتباتها العامة والخاصة · ـ فما هي نظرتكم الى هذه القضية ؟

ـ : لا نستطيع أن نناقش ما اذا كان من اللازم اعادة هذه الذخائر الموجودة فى مكتبات العالم كله ، علما بأن طرق ووسائل الحصول على هذه المخطوطات مختلفة جدا ·· فبعضها تم عن طريق الشراء أو المبادلة ، وهي فى بعض المكتبات موجودة منذ زمن قديم ، وكان المستشرقون فى أوروبا والعالم يشتغلون بها منذ زمن بعيد ، فيدرسونها ويفهرسونها ويحققونها وينشرونها ، ويعتبر هؤلاء العلماء ان المخطوطات العربية التى فى حوزتهم جزء من ذخائرهم القيمة · وأنـا لا أرى فى ذلك مشكلة ! فقد جرت العادة على السماح لكل باحث أن يستعين بما شاء من هذه المخطوطات ، كما يسمح أيضا بتصويرها وجمعها عن طريق الميكروفيلم · وأذكر لكم على سبيـل المثال أن مكتبة « جوتا » بألمانيا الديمقراطية ، قد قامت بارسال مصورات للكثير من المخطوطات التى طلب العلماء العرب الاستعانة بها ·

المجاهد : ولكن يا دكتور ·· ما الذى يضمن لنا أن لا تمتد يد التغيير أو التشويه الى هذه المخطوطات ، خاصة وأن مواقف الاوروبيين من العرب ليست فى كل الحالات مطمئنة ؟ !

ـ : لا أستطيع الافتاء فى هذه المشكلة ! ولكن ثقوا بأن لا خطورة على مخطوطاتكم فى بلدى ، أما البلاد الاخرى فالله أعلم !

المجاهد : وأخيرا ·· ما هو الانطباع الذى ستعودون به الى بلادكم ؟

ـ : فيما يخص الملتقى ، فقد اشتركت قبل هذه المرة ، فى الملتقى السادس ، والاحظ أن ملتقى بجاية يمتاز بالانفتاح على مختلف الآراء والاتجاهات الاسلامية وغير الاسلامية ، ولذلك فاننى أرى أن هذه الملتقيات تلعب دورا هاما فى شرح المشكلات المطروحة · أما بالنسبة الى الجزائر ، فلقد استقبلنا فى المرتين بكل حفاوة وكرم ، ونحن نشكـر الحكومة الجزائرية على هذا الاستقبال الذى سننقله الى شعبنا بكل اعتزاز ·

الاقليات الاسلامية فى اسبانيا

حوار مع الدكتور ميغال دى ايبالزا (اسبانيا)

قام السيد ميغال ذى ايبالزا ببحث مفصل يعتبر بداية ناقوس خطر عن الوضعية الحالية للشغل وطريقة العيش التى يوجد عليها 100·000 مسلم فى اسبانيا ، فتوصل الى نتائج بناءة اذ انه لا يوجد فى اسبانيا غير المسلمين السواح ، بل هناك كذلك العمال اليدويين والطلبة يعيشون فى ظروف تسببت فيها بعض الاوساط الاسبانية ·

دراسة :

يعيش 100·000 مسلم فى اسبانيا ، فما هى وضعيتهم الحالية من حيث الشغل وطريقة العيش؟

الاقليات الاسلامية فى اسبانيا :

كانت وضعية الاقليات الاسلامية من بين النقاط الخمسة لبرنامج الملتقى الثامن للفكر الاسلامى الذى انعقد مؤخرا فى بجاية تحت اشراف وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، وكان من بين المختصين والشخصيات المدعوة ثلاثة اسبانيين وهم :

- السيد سالغدور غوميز نوغاليس استاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة مادريد ،
- والرئيس الكاتب العام لجمعية الصداقة الاسلامية المسيحية الاسبانية ،
- والسيد ميغيل دو ايبالزا استاذ التاريخ الاسلامى بجامعة الجزائر ·

ومن جهة أخرى نشير الى ان السيد مولود قاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية قد استدعى بصورة رسمية للمشاركة فى المؤتمر العالمى الاسلامى المسيحى الذى سينعقد فى مدينة قرطبة فى شهر سبتمبر المقبل . وفى هذا الصدد قمنا ببحث قصير عن حالة المسلمين فى اسبانيا ·

اربعة انواع من المسلمين :

لا توجد اية علاقة بين المسلمين الذين يسكنون حاليا فى اسبانيا والذين كانوا فى الاندلس اى اسبانيا القديمة المسلمة اذ تعرض هؤلاء فى بداية القرن السابع عشر والقرن الحادى عشر الى الطرد الجماعى والكلى تقريبا · وأما فى يومنا هذا فلا يمكن ان نميز بين حفدة العرب الذين اندمجوا فى الشعب الاسبانى وغيرهم من الاسبان ·

ويمكن القول بأن كل المسلمين الذين يعيشون حاليا فى اسبانيا هم من اصل اجنبى باستثناء عدد قليل من الاسبان الذين اعتنقوا الاسلام او على الاصل ينتمون الى مذاهب او طوائف دينية من اصل اسلامى كالبهائيين والاحمديين مثلا ويمكن تقسيمهم الى اربعة طبقات :

أولا – طبقة العمال اليدويين

وهؤلاء تقريبا كلهم من اصل مغربى فلقد استقر بعضهم فى اسبانيا منذ الحماية غير ان أغلبيتهم نزحت فى السنوات الخمسة الاخيرة الى اسبانيا افواجا افواجا ·

فالذين عاشوا فى اسبانيا منذ الحماية يعرفون اللغة الاسبانية كما ان لهم معرفة بالحياة الاسبانية ·

أما الباقون منهم فبالعكس فهم محرومون من كل سند ثقافى لغوى ، مالى شرعى او نقابى الخ وهم فى حالة يرثى لها ولا يمكن احصاؤهم ·

ويمكن القول بان عدد المسجلين منهم فـــــى القنصلية المغربية وله رخصة اقامة لا يبلغ الواحد فى المائة · ويبلغ مجموعهم على التقريب 000 70 عامل ·

ويوجد كذلك بعض المآت من الجزائريين فـــى نفس الوضعية وعلى الخصوص فى المناطـــــق الشمالية رجعوا بعد ان افصوا الى الحـــــدود الفرنسية نظرا لان اوراقهم لم تكن مضبوطـة ·

الطلبـــــة :

وهم فى الغالب طلبة الطب والصيدلة أتـــوا من الشرق الاوسط (فلسطين ـ سوريا ـ الاردن ـ لبنان ـ مصر، الخ · ومن المغرب مع **اقليــات** من بلدان اخرى منهم الصحراويون (الساقيـــة الحمراء ـ وادى الذهب) ، وهكذا يوجد حـــوالى 000 7 جامعى عربى أغلبيتهم من المسلمين فمنهـم من ياتى لتحضير اطروحة الدكتورا فى التاريـخ او فى اللغة الاسبانية او فى مواضع اسبانيـــة عربية · وهنالك كذلك تقنيون فى السيــــاحة والهندسة والفن او الحفريات) الخ ·

محترفون ديبلوماسيون او ذوى حرف حرة :

وهم شخصيات استقرت على مختلف العصور ولاسباب مختلفة فى البلدان التى لها تشريــع اقتصاد حر لتقبل الاجانب وعلى الاخص اذا كانت لهم اموال لاستثمارها ·

زوار المـــرور

يوجد من بين الملايين الزوار او السواح الذين يفدون على اسبانيا عدد لا يستهان به من العــرب والمسلمين وواقع زيارتهم الى اسبانيا وخصوصـا المسلمين منهم يقومه غيرهم اذ انهم ياتون لزيارة الاندلس المسلمة ليتنعموا بالمآثر التاريخية للفن الاسبانى العربى ·

ومن بين زوار المرور يوجد اكثر من مليــــون مغربى وجزائرى يعبرون اسبانيا للرجـوع الى بلادهم ، وعلى هذا الاساس يجعلون من اسبانيا مع البلدان البلقانية احد اوائل البلاد ان لم تكن أول البلدان فى العالم التى تتلقى زوار المدار مع مشاكلهم الخاصة ·

فالاشخاص الذين لهم وضعية مالية حسنـة والسواح لا يضعون مشاكل كثيرة وانما وضعية العمال اليدويين والطلبة هى التى تحتـاج الـى عناية خاصة ·

- المشاكل المزرية التي يعيش عليها العمال اليدويــون .

يعد مشكل العمال اليدويين بدون ادنى مقارنة اكبر مشاكل الاقليات الاسلامية في اسبانيـــا . فهو مشكل سياسي واجتماعي خطير ، مشكل انساني جديد في اسبانيا لم نستعد له الاستعداد الكافي .

وفي الواقع فان اسبانيا بلد اعتاد منذ سنة 1950 تهجير ابنائه الى امريكا ، ثم بعد ذلك الى اوروبا ، غير ان حاجياته الاقتصادية ومصلحة المؤسسات العامة والحاجة للحصول على يد عاملة رخيصة بالنسبة لليد العاملة الوطنية شجعت في السنوات الاخيرة استيطان العمال المغاربة بصورة خفية وفي ظروف مزرية .

فليست لهؤلاء العمال وضعية قانونية لا بالنسبة للسلطات المغربية ولا اتجاه الاسبان . فغالبا ما يجهلون اللغة وكتابتها كما انهم مستغلون من طرف الجميع يستغلهم المغاربة العابرون لاسبانيا كما يستغلهم الاسبان والمؤسسات التي تشغلهم تسكنهم في قسمات وتقصيهم عن العمل لأتفه الاسباب كما يدفعون لهم أجورا على حسب هواهم . ويضاف الى كل هذا ان هؤلاء العمال ليست لهم اية وسيلة للدفاع عن حقوقهم او مساندتهم . فان ارتكبوا بعض الاخطاء وكانوا معروفين من طرف البوليس يطردون سريعا من البلاد . فلا يمكن حل هذه الوضعية اللاانسانية الا بابرام معاهدة على مستوى الدولتين ، غير انه رغم العلاقات الحسنة بين النظامين فليس هناك ما يدل على ترقب حلول لهذا المشكل وباقي المنازعات الاخرى حاليا ، مثلا تحديد المياه الاقليمية ، الصيد ، نزع ملكية الاراضي التي يمتلكها الاسبان بالمغرب ، مشاكل الاقاليم الصحراوية المحتلة من طرف اسبانيا الخ . فما دامت الدبلوماسية الاسبانية لم تستطع الخروج من هذه المشاكل فانه يصعب التكهن بايجاد بداية لحل مشكل العمال المغاربة في اسبانيا ، غير ان وضعيتهم الخطيرة بدأت تشغل بال عدد من الشخصيات والجمعيات على اختلاف انواعها وكذلك الادارات المعنية ، كما نلاحظ تدخل الصحفيين في الامر .

وزيادة على ذلك يخشى حدوث مجابهات خطيرة بين المستوطنين مع الطبقات الشعبية الاسبانية . وبالفعل فان العمال الاسبان يدركون جيدا بان هؤلاء العمال المغاربة يكونون اداة تضاف الى الادوات التي تتوفر عليها الطبقة الحاكمة لاستغلال العمال لتغيير قانون العرض والطلب . ولهذا

ترى قيام عنصرية شعبية حقيقية ستكون لهـــا نتائج خطيرة بالنسبة لمستقبل العلاقات الاسبانية المغربية ·

ـ مشـــاكل الطلبـــة :

للطلبة العرب مسلمين كانوا أم مسيحيـــين الآتين من الشرق الاوسط نفس المشاكل وأهمها مشكل اللغة باستثناء المغاربة . ففى بعض الاحيان لا يعرفون اللغة ، ولهذا يصبح من اللازم عليهم معرفة هذه اللغة لكى يمكن لهم متابعة المحاضرات بالجامعة · يضاف الى ذلك مشاكل قبولهم فـــى كلية الطب 80 فى المائة منهم يتلقون دروسا فــى الطب او فى الفنون الطبية او المساعدة الطبيـــة مع العلم ان الطلبة يتهافتون على هذه الكليـــات بكثرة مما يجعلهم يسابقون الاسبان بصعوبة · وغالبا ما يعيدون السنة بدون منحة متحملـــين صعوبات هذه الوضعية وكان بامكانهم التغلـب على هذه الصعوبات بسهولة بالاتصال مـــــع زملائهم الاسبان ، الا انهم ينعزلون ويجتمعـــون بينهم ، وهذا عامل يساعدهم من الناحية العاطفية الا انه لا يحل مشاكلهم اللغوية التى هى المصدر الاساسى لصعوباتهم الاكاديمية · وتجب الاشارة الى ان هناك عددا قليلا من الجماعات والجمعيـــات الاسبانية تحاول بقدر المستطاع مساعدتـــهم فى حل هذا النوع من المشاكل ·

وبالاضافة الى كل هذا فانهم غالبا ما يتخبطون فى مشاكل اقتصادية وعلى الخصوص منهـــم الاردنيون والفلسطينيون وهم الاكثر عـــددا ،وعلى العموم فانهم لا يجدون صعوبات فى الاسكان·

غير انهم يشعرون رغم الحفاوة العامة للشعب الاسبانى والترحيب بهم انه يوجد لدى هـــذا الشعب نوع من عدم اللامبالاة بالنسبة لقضيتهم العربية على الخصوص ومشاكل العالم الثـــالث على العموم ، وهذا يتجلى فى جهل وعدم تفهـــم عدد كثير من الاوساط الاسبانية للقضيـــة الفلسطينية الشىء الذى يؤلمهم على الخصـــوص ،ورغم الجو السياسى الذى يسود فيما بينهم فـــان الطلبة يجدون صعوبات مع سلطات بلدهم مـــن حيث طلب الاعفاء الموقت من الخدمة العسكريـة او تجديد جواز السفر الخ · الشىء الذى لا يسهل دخولهم الى البلد ولا يسهل كذلك علاقاتهم مـــع السلطات الاسبانية ·

ففى غالب الاحيان تكون اقامتهم قصـــيرة وهذا شىء طبيعى فى حياة الطلبة الاجانب·وعندما يرجعون الى اوطانهم يحتفظون بعلاقات حسنـــة مع اصدقائهم الاسبان ، وبهذا يكونون رابطـــة

متينة بين اوطانهم واسبانيا على المستوى الثقافي والعلاقات الشخصية • فوجودهم في جامعة اسبانيا يكون بمثابة ثروة للبلد من الناحية الانسانية والثقافية والعقائدية • وهو كذلك اساس التفتح الحقيقي للشعب الاسباني على ثقافة غير اوروبية وبالتالي يجعل هذا الشعب على معرفة بثقافة العالم الثالث ، ذلك ان عددا كبيرا من الطلبة الوافدين من جنوب امريكا يقتربون اكثر من الاسبان بواسطة اللغة والثقافة لامكانية التفتح • والتجربة التي يحملها هؤلاء تعادل تلك التي يحملها معهم الطلبة المسلمون في اسبانيا •

بعض المشاكل الدينية :

ان مشاكل الاقليات في اسبانيا قبل كل شيء ليست بالمشاكل الدينية بل هي صعوبات اجتماعية غالبا ما تكون خطيرة للغاية •

وبالفعل فرغم ان اسبانيا بلد كاثوليكي رسميا فانه يسمح للاقليات الغير الكاثوليكية بالتواجد وليس للمسلمين مشاكل سوى تلك التي تتعلق بأماكن العبادة والزواج المختلط •

ورغم اعتزاز الاسلام بنظام الاقليات بسلطاته وقوانينه فانه يصعب تصوره في اسبانيا واوروبا ، ولهذا يتكيف المسلمون على العموم مع النظام القانوني الخاص بالاجانب الذي هو نظامهم في هذه الديار •

والجدير بالملاحظة انه يوجد عدد قليل من المساجد في اسبانيا غير انه لا توجد معارضة رسمية لبنائها كما هو الحال بالنسبة للديانات غير الكاثوليكية ، ولهذا نجد اماكن العبادة تكثر في المدن • وهناك اشاعات تقول ببناء مسجد كبير بمدريد غير انه لا توجد مبادرة ولا تمويل لتحقيق هذه الاشاعات •

اما الآن تقوم احدى قاعات معهد الدراسات الاسلامية وهي مؤسسة ثقافية تابعة للحكومة المصرية تقوم بدور مسجد العاصمة •

وتتعدد المعابد في المدن خصوصا في شهر رمضان اذ وضع كاردينال برشلونة عدة اماكن بمقاطعته تحت تصرف المسلمين • ويمكن ان تشارك كذلك بعض الجمعيات اذا كان هناك طلب من المسلمين في هذا الصدد •

ويوجد جدل مستمر يتعلق بتمثال مسجد قرطبة القديم وهو المسجد الذى تحول الى كاتدرالية ، هذا الجدل لا يهتم بالناحية الدينيةوانما ينصب على الناحية التاريخية والفنية والثقافية ، غير انه يجب تحسين كيفية استقبالالمسلمين والاستمرار فى السماح لهم ان ارادوا بالقيام بالصلاة امام المحراب الرائع لهذا المسجد.

اما فيما يتعلق بالزواج المختلط بين المسلمينوالمسيحيين فانه تكاثر . ففى السنوات الخمس الاخيرة يمكن ان نتحدث عن 400 زواج من هذا النوع فى مدريد فقط .

ونلاحظ ان مشاكله بدأت تقل بفضل التدخلالجاد الذى قامت به جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية لدى السلطات الدينية ، الا انه غالباما تتعرض الاسر الجديدة الى معارضة الآباء لاسباب دينية واجتماعية . وتتضاعف هذهالصعوبات عند ما تستقر الاسرة فى البلد الاسلامى للزوج حيث المجتمع يختلف عن حياةالاسبان .

ويضاف الى هذه المشاكل الدينية بالنسبةللمسلمين ان الرأى العام لا يحب العرب وهذا ناتج عن جهله وليس عن معارضة واعية منه ،وهذا يضاعف صعوبات التفاهم التى يتلقاها كل اجنبى خارج محيطه وبلده ، داخل المجتمعالذى يعيش فيه .

غير ان هذه الاحكام العامة المسبقة لا تطغىعادة على العلاقات الشخصية الطيبة الموجودة بين هؤلاء والاسبان ، هذه العلاقات السهلةالمنال داخل كل الاوساط مع وجود العامل اللغوى

والجدير بالقول ان هنالك دعايات مختلفةوحركات تسعى جاهدة لتطوير الرأى العام الاسبانى وتفتحه لتفهم اكثر لياقة للحقائقالعربية الاسلامية فى الحاضر والماضى .

ومن الواضح ان النتائج تختلف بالنسبةللاقامة الغير الطويلة للسواح والاستقرار النهائى لبعض المسلمين فهى تختلف بالنسبة للطلبة الذينتطول او تقصر اقامتهم والعمال اليدويين التى تكون اقامتهم غير محددة .

وتجدر الاشارة الى ان مشكل العمال هو الذىيجب ان يؤخذ بعين الاعتبار من طرف الجميع مسلمين كانوا او مسيحيين او رجال لهم ارادةحسنة . نظرا لكونه مشكل انسانى يتميز بخطورته الخاصة .

ولهذا يجب على الكل وبالاخص الاسبانيينان يشعر هؤلاء بانهم المعنيون بالامر قبل غيرهم.

لقـاء مع د. عبد الـكريم سايتـو

استاذ الاقتصاد بجامعة طوكيو (اليابان)

محمـد بليـدي
أجرى الحديث

قام الدكتور الياباني عبد الكريم سايتو بصفته مستدعى كمحاضر بالقاء محاضرة في ملتقى الفكر الاسلامي عنوانها : « وضع الاقليات الاسلامية والطوائف المهاجرة في اليابان » مكن المحاضرين من تكوين فكرة واضحة على هذه الاقليات بالشرق .

والدكتور عبد الكريم سايتو استاذ مادة الاقتصاد بجامعة تاكوشوكو في طوكيو هذه الجامعة التي تضم 23 كلية ويشغل كذلك منصب مديـر الجامعة الاسلامية اليابانية وهو مسلم مقتنع شارك في نشر الفكر الاسلامي والتعريف بحضارتنا عن طريق نشر مقالات في عدة مجلات وجرائد ادبيـة في طوكيو .

وفي هذا الصدد قام بنشر عدة بحوث عن الاسلام ومساهمته في الحضارة العالمية .

والدكتور عبد الكريم سايتو مختص في الاقتصاد المعاصر .

ســؤال :

الدكتور سايتو : لقد القيتم محاضرة تتعلق بمشكل الاقليات الاسلامية في الشرق ووصفتـم حالتهم وأثرتم كذلك دور وواجب المفكرين تجاههـم .

هل يمكن ان تتحدثوا لنا عن بعض النقاط التي ربما كنتم ترغبون التوسع فيها .

جـــواب :

نعم ، تكلمت عن هذه الطوائف التى اعرفها حق المعرفة ذلك لاننى مسلم يعيش فى بلاد تمثل فيها طائفتنا الاقلية ، غير اننى اريد ان اوضح بان المسلمين فى اليابان يكونون اقلية بالنسبة للديـــن فقط ، معنى ذلك اننا لم نسجل أى عداء مـــن الطوائف الاخرى (البوذيون والمسيحيون الخ) لطائفتنا . كما ان نظرة الحكومة الينا هى نظـــرة حياد فهم لا يضايقوننا ولا يشجعوننا كذلك . كل ما فى الامر ان هناك نوعا من اللامبالاة خلافا لما هو عليه الحال فى بعض بلدان الشرق الاقصى وعلى الخصوص فى الهند .

قام الاسلام ولا زال يقوم بدور هام فى هذه المناطق واريد ان انبه كذلك الى ان الاسلام لا يماثل الشيوعية ولا الرأسمالية ولا يماثل أية نظريـــة أخرى ، وفى اثناء النقاش طرح على احد التلاميذ سؤالا يتعلق بالعلاقة بين الاسلام وغيره ويظهـــر لى ان هذا السؤال غير صحيح ذلك لانه اذا كانت الشيوعية أو الرأسمالية نظريات مؤقتة فان الاسلام دين خالد . ويجب ان يفهمه العلماء والمفكرون حسب هذا المعنى اذا اردنا ان نصل الى نتيجـــة ايجابية .

ســـؤال :

لقد شاركتم فى أشغال الملتقى وتحضير توصياته النهائية ، هل يمكن لكم ان تتحدثوا لنا عن الحصيلة والاثر الذى لا تخلو من حمله هذه التوصيات للامة الاسلامية .

جـــواب :

« أولى النتائج التى سجلناها وهى نتائج هامة اننا تمكنا من جمع مفكرى عدد كثير من البـــلاد الاسلامية والمسيحية وحتى الشيوعية فى قاعـــة واحدة لمناقشة مشاكل انسانية داخل جو مـــن الصراحة والجدية والنظام واشير كذلك الى الحيوية التى تميز بها الملتقى .

ولقد اثار انتباهى كذلك الكرم والسماحة اللذان سادا اشغال الملتقى اذ اشتركت فى عـــدة لقاءات ومؤتمرات وملتقيات فى انحاء العالم غـــير اننى لم اصادف قط جوا أوفق ولا اهتماما جماعيا أكبر من أجل خلاص الانسان .

والجدير بالملاحظة اننا نجحنا فى تركيز اهتمام الجميع على اشغالنا وتشهد على ذلك الرسائـــل والبرقيات العديدة التى تلقيناها فى هذا الصدد.

ان اشغالنا سيكون لها اثر ليس فقط بالنسبةللصالح الاسلامى ولكن كذلك بالنسبة للانسانية جمعاء . هذه هى حصيلة المناقشاتالمثيرة فى جو من الموضوعية والصراحة اللذين مكنا من الوصول الى اتفاق جماعى .

وظاهرة اشتراك الشباب الطلاب تدل ـ اذاكنا فى-حاجة الى دليل ـ على مدى ادراكه وفهمه الا انه ينبغى له ان يعي تراث الاسلام ، للمحافظةعلى تراثنا الثقافى وتنميته . واننى متيقن من خلال المناقشات التى اجريتها مع الشباب بانالجزائر ستصل الى مبتغاها ولا يمكن للعالم الاسلامى الا مساندتها .

سؤال :

الدكتور سايتو ، لقد وقعت مناقشات حادةبالنسبة للنقطة الخامسة التى تتعلق بالتفتح الاسلامى على العالم ، هل يمكن لكم ان تدلوا لنابرأيكم فى هذا الموضوع ؟

الاجابة :

قبل الاجابة على سؤالكم اريد قبل كل شيء انارجع الى ما صرحتبهفىهذا الصدد اثناء المناقشات وحتى لا اعيد الكلام سأقول مرة اخرى ان الاسلاملا هو الرأسمالية ولا هو الشيوعية ولا هو دين عرضى بل هو دين خلود وبهذا فهو عالمى ولهـذايجب أن ينفتح للعالم ولا يبقى منطويا على نفسه .

لقد علمنا التاريخ بان الاسلام تفتح على ثقافاتاجرى . اذ ترجم العرب مؤلفات اليونان والرومان والفرس والهنود والصينيين الخ .

لقد بحثنا فى هذا الملتقى كيف فعلوا واشرناالى مشاركتنا فى الحضارة العالمية فى جميع الميادين العلمية والفنية وفى التراث الانسانى .

ورغم ان الاشياء لا تتكرر بنفس الطريقة فانالاسلام دين حيوى دين ثقافة وتقدم لهذا يجب ان يسرع فى السير ، مع المحافظة على روحه ، ذلكلان قيم الاسلام خالدة .

هذا ما نسميه التفتح على العالم مع المحافظةعلى الاصل .

ويمكن القول باننا وعينا شخصيتنا وقوتنـامنذ مؤتمر القمة الرابع للدول الغير المنحازة والمؤتمر الاسلامى الذى انعقد بلاهور والمهم الآنان نتقدم .

ملتـــقى بجـايـة

استجـواب مع د. ايفـون تـوران

استاذة بجامعة الجزائر

أحمـد البليـدى

أجرى الحديث

شاركت الدكتورة ايفون توران استاذة التاريخ بجامعة الجزائر فى الملتقى الثامن للفكر الاسلامى الذى انعقد بمدينة بجاية ما بين 25 مارس و5 ابريل 1974 بالقاء محاضرة تحت عنوان :

« **التاريخ ، لقاء الاصالة والعالمية** »

ولقد عالجت هذا الموضوع بوصفها مؤرخة في اطار النقطة الخامسة للبرنامج « الانية والاصالة مع التفتح والعالمية » .

« ما هو المقصود بهذه المفاهيم ؟ هل هي متكاملة ؟ » ففى هذا الصدد شرحت المحاضرة على الخصوص بان التاريخ يقوم اليوم بدور الصدارة فى التعريف الحالى لفكرة الاصالة .

هذا الموضوع القيم هو الذى طلبنا من الدكتورة ايفون توران وهى صاحبة أطروحة تتعلق بالتاريخ الاسبانى المعاصر متممة بعدة بحوث تتعلق بتاريخ المغرب ان تشرحه لنا بنوع من التفصيل .

ومن جهة أخرى فقد نشرت الدكتورة ايفون توران سنة 1971 (عندما سبيرو) كتابا يحمل عنوان :

« المجابهات الثقافية فى الجزائر المستعمرة مدارس ، طب ، دين 1830 ـ 1880 » .

وتشارك الدكتورة ايفون توران في مجلة الاصالة كما شاركت في الملتقى السادس الذى انعقد بالجزائر العاصمة سنة 1972 م ٠

ســـؤال :

الدكتورة ايفون توران

تحدثت في محاضرتك عن لقاء عبر التاريـــخ بين الاصالة والعالمية : هل يمكن لك ان تحددى لنا هذه العلاقة وما هو رأيك فيها ؟

جـــواب :

اردت ان اقول على الخصوص بان التاريخ يتكون من حدث خاص يتصف دائما بالاصالة مثـــلا اكتشاف علمى أو حدث سياسى فى بلاد ما وفى عصر ما فهو لا يتحول الى علم الا بعد ما يصـــح قادرا على النهوض لكى يصل الى مستوى عالمى مثلا نظرية تاريخ العلوم ونظرية التاريخ السياسى.

ويعلمنا التاريخ كذلك بان الحياة ذاتها – التي يصفها – لا يمكن ان تكون سوى هذا اللقاء ، بمعنى انه اذا توقفنا وانكمشنا على انفسنا واذا مكثنا ذلك الباحث أو تلك المجموعة السياسيـــة المنعزلة بدون اية علاقة مع مجموعة الباحثين أو الحياة السياسية فان هذا يمكن ان يقـودنـا الى الصمت والتفتت ٠

ومن جهة أخرى يعلمنا التاريخ الذى هو المعبر عن نتيجة التجربة الانسانية ان كل فكرة احتاجت لنموها الى الاحتكاك بافكار اخرى كما يعلمنـــا كذلك ان البشر لهم تصرف واحد لا ينفى التصرف الخاص بكل شعب بل يؤكد ان هناك امكانيـــة التفاهم والتبادل بينهم ٠ ولذلك قلت « ان التاريخ بين منذ بدايته اجتهاد الناس كلهم فى تبـادل منتوجاتهم من أجل تحسين الشروط الماديـــة لمعيشتهم » ٠

ولقد تساءل الناس فى كل زمان ومكان عـــن اصلهم ونهايتهم وكانت الاجوبة مختلفة غير ان القلق عـــام ٠

وأكد التاريخ كذلك بان التضامن كان شديدا سواء فى السراء أو الضراء ٠ فلقد عرفت كـــل المجتمعات الحرب وكل انواع الرقابة والاستعباد وكل اكاذيب الناس بعضهم على البعض حتى ان

الذين يتساءلون الآن عن وجود «الانسان» يجيبهم التاريخ بانه صادف كائنا في كل مكان يتشابه في تصرفاته بصورة نسبية .

واضيف وأؤكد بانه لو لم يوجد هذا التشابه لأمكن القول ببساطة بعدم وجود الانسان وبالتالي عدم وجود الانسانية جمعاء . وهذا ما يعبر عنه بعض الفلاسفة حاليا فيشككون في وجود الانسان.

من كل هذا نعلم انه لكي يمكن الكلام عن الانسانية فلا بد من استعمال مفهوم العالمية . ان هذا المفهوم ضروري ولا مناص عنه .

سـؤال :

الدكتورة ايفون توران

هل يمكن لك ان توضحي لنا تصريحك المتعلق بالاصالة والتي وصفت بانها نتاج للتاريخ ؟

جـواب :

اذا نظرنا الى الماضي نكتشف باهتمام ان الاقدمين كانوا لا يعيرون أهمية لا لاجدادهم المؤرخين ولا لاصالتهم .

وفي هذا المعنى نجد لويس الرابع عشر الذي اتيت به كمثال ، لا يقتصر على تجاهل اجداده « الغاليين » كما نقول منذ القرن التاسع عشر ، بل انه ـ لو نسب اليهم ـ لاعتبر ذلك بدون شك اهانة . اذ كان يعتبر انتسابه الى الرومان أشرف مع ان الرومان هم الذين فتحوا بلاد الغال وكانوا ملحدين .

أرأيتم كيف ان طريقة اصالته تختلف عن طريقتنا ـ اذا امكن تسمية هذين الموقفين بكلمة واحدة طبعا ـ مع ما بينهما من تباين . أما هو فلم يكن يعير الامر أي اهتمام !

لم يظهر مبدأ الاصالة الا في القرن التاسع عشر ، في نفس الوقت الذي بدأ يتقوى فيه مبدأ الجنسية ، وهذه حقيقة حتى ان كلمتي (قومية) و (جنسية) لم تظهرا في القاموس الفرنسي الا نحو سنة 1875 اذ لم تكونا مستعملتين من قبل . وبتقدم علم التاريخ تأكدت نظرية الماضي التاريخي .

فبتدريس التاريخ انسفت الشعوب وعرفت اجدادها الذين دعوا الى حياة ثانية ، وفي نفس الوقت ان اردتم ارتكز هؤلاء الاجداد في ذاكـرة التلاميذ هذه الذاكرة التي اصبحت نظرا لذلك ذاكرة تاريخية ، الشيء الذي لم يكن من قبـــل نظرا لفقدان المعلومات التاريخية ٠

ســـؤال :

الدكتورة ايفون توران تكلمت عن وجود علاقة بين الشعوب . هل يمكن لك ان ترجعي الى هـذا البحث فلربما تريدين شرحه اكثر ؟

جـــواب :

يوجد بيننا جميعا رصيد مشترك نسميه العالمية وهذا الرصيد يربطنا ، ولقد ابانت التجربـة بانه يمكن تفاهم الناس فيما بينهم واكد التاريخ ذلك كما اعطى الدليل على عكسه ذلك العكس الذي يتجلى في قتال الاخوة ولكن حتى في القتال يجب ان تكون هناك نسبة معينة من التشابه بين المتقاتلين وعلى هذا يجب علينا ان ننمي التبادل ونقوي الحوار ولا ننكمش على انفسنا وخصوصيتنا اذا اردنا ان نشارك في الحياة ونمنحها في نفس الوقت الى الغير ٠

ســـؤال :

الدكتورة ايفون توران

لقد شاركت في أشغال الملتقى هل يمكن لك ان تتحدثي لنا عن انطباعاتك ؟

جـــواب :

لقد شاركت بسرور في هذا الملتقى لتلبية دعوة السيد وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية ، وشاركت كذلك لان هذا اللقاء بالنسبة الى يعتبر مناسبة للخروج من « خصـوصيتي » ٠ وانهـــا لأوفق فرصة لمثل هذا القول ، فهي تجريب فعلي للعالمية ٠

وبصفتي مؤرخة عندي ذوق لمعرفة واكتشاف ما يسميه التاريخ « الغير » , « المخالف » اما في الزمان أو المكان ٠

لقد كان الملتقى الثامن بالنسبة الى مناسبـــة للتعرف على « الغير » وفي الملتقى السادس كان الامر كذلك ، واتمنى ان تكون مشاركتي قـــد اتاحت الفرصة لمن سمعني ولمن اشتغلت معهم ان يتعرفوا بدورهم على عالم آخر بمعنى ان هذا اللقاء كان بالنسبة للجميع وسيلة لتجربة التفتح مـع المحافظة على الاصالة المتبادلة ٠

سياسة ثقافية فى خدمة السلم (1)

محمد عزيز الحبابى
نقلته الى العربية : **فاطمة الجامعى الحبابى**

لفظة « ثقافة » مشتقة من الفعل « ثقف » ،يقال ثقف الرمح أو العود اذا اسواه وأقام معوجه ثم اتسع هذا المعنى الاصلى ليشمل دلالات ، منهاالتهذيب ، والتربية ، والتعليم ، والحذق والفطنة التى يكتسب بها الفرد أساليب التفكير والعمل بما يلائم الزمان والمكان فى تطورهما •

فالثقافة ، اذن ، **مجموع الجهود التى تبذلهاجماعة من الناس كى تصل الى توحيد خبراتها وتكييفها مع الوسط الذى تعيش فيه ، بحثا عنالانسجام فى الاعمال** • فهى تشمل كل أنواع الانشطة الغذائية ، والفكرية والروحية •

وبتعبير آخر : تتكون **ثقافة فرد ، أو جماعة ،من الامكانيات المكتسبة والقدرات وهى تستثمر لتصبح مهارات فكرية ويدوية** ، فى كل أنماطالحياة اليومية •

من جملة الميادين التى يتجلىفيها هذا الاستثمارالفنون (بما فيها الفنون المنزلية ، وفن الطبخ) كما يتجلى فى المواقف التى يتخذها الافراد منأوضاع الحياة وفى الافكار التى يكونونها عن انفسهم وعن الانسان عامة ، وعن المجتمع ، وعنالطبيعة وعما فوق الطبيعة ، اذ كل ثقافة تعتمد على شبكة من المعتقدات (دينية تاليهية أو وثنية،أو الحادية •••) •

حسب هذا التحديد التقريبى ، نؤكد انالثقافة مرتبطة دائما بفكرلوجيا (معتقدات وعادات •••) انه التحام يعطى لكل مجتمع ميزاتخاصة • وهذا لا يتعارض فى شى، مع الشمولية ، بل على العكس ، فلا شمولية من غير خصوصيات ،ان ما هو خاص يتجسد فى الثقافة القومية (ثقافة شعب ، أو قبيلة ، •••) . اما الشمولىفهو التراث المشترك ، أو **الحضارة الانسانية** • فليس هناك انتقال من « ذهنية التقديس الى ذهنيةالتاريخ » (2) ، حسب تعبير عزيز على الاستاذ

---

1) نص الحديث الذى القاه م. ع. ل. فى ندوة نظمها معهد غوته فى 74/1/28 بمشاركة الاستاذ Wern Ruf وقد نشره « المجاهد » فى ملحقه الثقافى 74/2/1 .

(2) Le Passage du Sacral à l'historique.

(جاك بيرك) · يبدو لنا انه ليس هناك الا تعلمن LATCISATION لبعض البنيات المجتمعية ، الشىء الذى يفقدها ، فى بعض الاحوال ، صبغة القداسة فالثقافة العربية الاسلامية ، مثلا ، حتى فى فترة ركودها ، لم تكن ابدا خارج التاريخ ، فلا يتصوروجود مجتمع انسانى يستطيع الحياة على هامش التاريخ دون ان يختنق من قلة الروافد المغذية ·**فكل الشعوب من التاريخ وفى التاريخ** ، رغـــم انها لا تسهم جميعها فى سيره بنفس الفعاليـــة فالذى يريد ان يعبر تعبيرا اكثر ملاءمة واكثر واقعية عن وضع الثقافة بالعالم الثالث ، يمكنـــه ان يؤكد ان ما حصل هو : الانتقال من تاريـــخ فرضته علينا دول الاستعمار ، الى تاريخ نصنعه نحن اليوم ·

ولكى يزداد مفهوم « ثقافة » دقة ووضوحا ،نقتبس من دراسة لنا قديمة ، التعريف التالى (3) : « الثقافة مجموع القيم ومجموع اساليب الحيـــاة المادية والعقلية والروحية التى يبتكرها وينهجها شعب من الشعوب ، فى غضون تاريخه » ·

وبما ان التاريخ ، كما هو موجود ، ليـــس تاريخ الشياهم ، بل تاريخ كائنات بشريـــــة مجتمعية بالطبع فالانسان اصلا ، مدفوع الى تأليف مجتمعات فى مناطق تتم فيها مبادلات عاطفيـــة ومبادلات اقتصادية وتبعا لذلك ، يقع امتـــزاج بين الاقوام بالمصاهرات والمشاركة فى القيـــم ، فلا يمكن أى مجتمع بشرى ان يحيا ويساير مجرى التاريخ الا بالتفتح على المجتمعات الأخرى · ففى الثقافة تلتقى المعايير الاخلاقية والوسائل المادية لتحقيق اهداف معينة يرجى من ورائها الوصول بالانسان الى مستوى اعلى مما هو عليه · **فالثقافة غائية** ، لأنها ترمى الى هدف ·

ان كيان كل بيئة فى احتكاكها ببيئات أخرى ،وعن هذا الاحتكاك ، تنتج تارة قوة جاذبـــة ، وطورا ، قوة دافعة · هذه الحركة المزدوجة هى المحور الفعال للحضارة الذى يسير بالانسانيـــة الى الامام حيث يكتشف كل شعب انه داخـــل ذاته ، وفى آن واحد ، انه خارج عنها · بفضـــل احتكاك البيآت البشرية ، كذلك ، يشعر كل شعب ان له كيانا موحدا خاصا به ، وانه أيضا جزء من الكل الذى هو الانسانية ·

لذا ، كلما ادركت ثقافة قومية أصالتها (أى خاصياتها) شعرت شعورا قويا بضرورة تفتحها على الثقافات الأخرى التى ليست اقل أصـــالة منها ، فمن كثرة الاصناف ونوعية كل صنف ،

3) « من المنغلق الى المنفتح » القاهرة ، الانجلو ، ط . 2 ، 1973 .

يدرك المثقف ان ثقافته القومية لا تحيا الا بالتكامل مع الثقافات الاخرى • فكل مراحل التاريـــخ الانسانى تتطابق تمام التطابق مع تاريخ هـــذا التكامل • ويحصل مختلف انواع التبادل بـين الثقافات فى فترات الحرب ، كما يحصـــل ابان السلم •

* * *

لندع الآن ، مستوى الثقافات القومية ، يعنى مستوى الخصوصيات لنواجه المستوى الشمولى ، مستوى الحضارة الانسانية •

الحضارة تراث انسانى تاريخى مشترك • انهـــا أعظم مغامرة فى تاريخ الانسانية خلال فترات المد والجزر • حقا ان الثقافات تموت اما الحضارة فلا يصيبها الموت •

ان الحضارة تعيش وتنمو بالعناصر المتلائمـــة وبالعناصر المتضاربة التى تمدها بها الثقافـات الحية والميتة . فالحضارة هى المستقبل التاريخى المتمثل فى حياة الانسان المادية والجسميـــــة والاخلاقية والفكرية • اذا كانت الثقافات القومية تعكس ، كل واحدة باشكالها الخاصة، المعطيات المحلية والزمانية التى تفرضها عليها الاوضاع الجغرافية والتاريخية ، فان الحضارة تجسيـــــد للمستقبل التاريخى الشامل لمجموع الشعوب •

ان ما يبرر ما نبذله ، هنا الآن ، من جهود لتعريف « حضارة » هو ان هذه اللفظة لم تحظ ، حتى اليوم بمفهوم محدود مدقق فلقـــد جاء فى الموسوعة الفرنسية (4) :

« للفظة حضارة معنى واسع ، ومن الصعـــب ان نعطيها تحديدا جيدا » •

بما انه ليس للحضارة أى « تحديد جيـــد » نسمح لنفسنا ، فاقترح تعريفا آخر يضاف الى لائحة التعاريف السابقة ، فان استسغتموه ، جاز لنا ان نستخلص جميعا النتائج الآتية :

لقد كان تاريخ الانسانية ، وما يزال ، صنعة كل الشعوب ومن ثمة فالحضارة ليست ملكا خاصا لاى شعب ، لانها مجموعة محاصيل ثقافية عبر العصور • انها مزيج المختلفات فى الواحد ، فى حين ان الثقافات هى المختلف المتنوع المتفكك فى توتر نحو الوحدة •

---

(4) La Grande Encyclopédie (Paris, Ed. Lanir ault, Vol. XI, P. 513).

يقودنا هذا الى فضح بعض الخ افات التى كانت وما زالت تختلقها وتحتضنها القوات المستغلة أى الاستعمار الاجنبى والاحتكاريون فى الداخل·

لقد كان المستعمرون يستخدمون الثقافة للسيطرة على الشعوب الاجنبية ، كما جعل المحتكرون وما يزالون ، من الثقافة غنيمة محروسة للتعاظم، وبضاعة يعرضونها على ذوى الامتيازات· فباسم الثقافة والتمدين، يبرر الاقوياء استعمارهم لبلادك ايها الضعيف. فيقتلعونك من جذور مجتمعك ومن تقاليدك ، ويغرقون بلادك اعرافا وعادات واخلاقا واذواقا اجنبية ، ويفككون لغتك ولهجاتك فتصبح مثل حيوان الخرافة الذى كان يتساءل هل هو طائر ام فأر ، ··· يمسخون شخصيتك فلا أنت أنت ولا أنت الآخر اذاك تكتفى بتقليد قردى للقوى الذى فرض عليك (بالرغم عنك ودون ان يهيء لك الظروف المجتمعية والمادية اللازمة) فرض عليك ان تستورد من ثقافته وتقنياته القدر الذى يسمح به ووجهه توجيها يطغى فيه السلب على الايجاب ·

مما يلاحظ ، انه حتى القرن الثامن عشر ، كانت كلمة « حضارة » تستعمل فى معنيين خاصين ، هما :

- مجموع الميزات المشتركة بين الدول الاوروبية (لانها كانت تعد ثقافاتها هى وحدها «الثقافة» ·
- حركة تمدين وتصدير الثقافات الغربية للشعوب الاخرى (الشعوب غير المتمدنة) ·

ومن الملاحظ ، أيضا ان ظهور هذين المعنيين زامن عصر انفجار وامتداد الامبريالية الاوروبية الحديثة ·

حقا ، ان الغرب متقدم ، ثقافيا ، على العالم الثالث · لكن اللعبة سارت ، منذ البداية طبق مخطط منحرف · فلو كان القصد سليما لأمكن الثقافات الغربية ان تقوى وتنمى الثقافات القومية لبلدان « ما وراء البحار » ولأثرى الغرب ثقافاته هو أيضا · لكن ، ويا للاسف ، لم يخطط الغرب قط سياسة ثقافية مجردة عن المتاجرة والمصالح، فبدل ان ينهج سياسة ثقافية اختار ثقافة مسيسة ·

والآن ، فى هذا العصر ، عصر التحرر من الاستعمار ، ماذا يفرض الواجب ؟

لابد من خلق جو تسوده الثقة المتبادلة كيما تتعامل الثقافات تعاملا نزيها رغبة فى تحقيق تعاون أنسانى ، دونما اغراض سياسية · وبهذا الشرط ، سيتم التواصل المجدى بين مختلف ثقافات العالم ، وينتج من هذا التعاون والتلاقح الحضارة الانسانية والسلم العالمى ·

بعد أن أوضحنا ما نقصده بـ « ثقافة » وبـ« حضارة » ، من منظار الرغبة فى تحقيق **السلم العالمى** ، سيكون من النافع ان نحـــدد بتدقيق معنى ، أو معانى ، « السلم العالمى » ٠

السلم العالمى هو ، قبل كــل شىء ، المساواة بين كل الاشخاص وبين كل الشعوب . (على كل المستويات وحتى فى « مجلس الامن » الشهــير حيث الدول الكبرى ، ذات القنابل الذرية ، تتمتع وحدها ، بأصوات أكثر كثافة وضخامة من أصوات ممثلى شعوب العالم اجمع ! ٠٠٠) ٠

يقصد بـ « السلم العالمى » ، كذلك الانتصار عــلى الامراض المعدية ، وعــلى الاميـــة وبالخصوص القضاء على الفقــر بتوزيــع الانتاج العالمى ، توزيعا عادلا محكما ٠ ينطلق « السلــم العالمى » من سلم القلوب . والسلم بين القلوب ،انه حرب شعواء على مختلف اشكال التخلف ٠

أمن اللائق بالكرامة الانسانية ما نراه مـــن بؤس ينخر عالم اليوم ؟ ففى نفس البلد ، يتواجد عذاب الخصص والحرمان مع البذخ المكشـــوف المتحدى ، وتكتسح المجاعات والاوباء الكثيرين ، فى حين يتوفر لآخرين اكثر مما يستهلكـــون فيضطرون الى « تنظيم » التبذير ٠

فماذا نريد ؟

نريد ثقافات قومية تتعاون دون افكار مسبقة ،ودون آراء خلفية مبطنة ، تتمخض عن تفاعلهـــا وتكاملها ، حضارة أقل ضراوة وجبروت وأوفــر انسانية : حضارة سلم وتسالم ٠

ان السلم المنشود ليس مرادفا لـ« التــواجد السلمى » الذى راج فى السياسة العالمية ، خلال السنوات الاخيرة ، بعد ان صنع وطبخ فى عواصم الدول الكبرى لاستعمالاتها الخاصة ٠ السلــم الحق ، ان لم يكن عالميا شاملا ، لن يكون شيئا ٠ كذلك السلم الذى يتمخض عن قرارات « جمعية الامم » « ومجلس الامن » ليس إلا سلما أفلاطونيا محضا ٠ انه مجرد متمنيات ان لم يكن مراوغات ديماغوجية ونفاق ، فالذين يصوتون على تلـــك القرارات انفسهم متيقنون ان « سلـــم مجلس الامن » وسلم « جمعية الامم » سلم محكوم عليه ،مسبقا ، بأن يبقى حبرا على ورق

سينبثق السلم الحق عن ارادة الشعوب ، بعدان تحرض الثقافات القومية وعى الرأى العام على ما ينسج من اخطار حول الانسانية ٠ ان عمليــة التحريض تلك ، هى عظمى مهام المثقفين الملتزمين والالتزام الصادق المجدى هو ما يكون التزاما من أجل تجنيد الشعوب فى سبيل التفاهم والتعاون٠ فعوضا عن « التواجد السلمى » الذى يخـــدم مصالح الدول الاكثر قوة ، ويضمـــن لها دوام

التفوق الاقتصادي والعسكري ، يجب الدعـوةالى مبادىء التواجد التعادلى ، تواجد التساوى .
وهذا لن يتحقق الا بالاعتراف بان لكل فرد نفس الكرامة ونفس الحقوق التى لاى فرد آخر . وبالتالى
تساوى مصالح وحقوق جميع الشعوب ، كبيرهـاوصغيرها انها أهداف تستلزم ، مسبقـــا ، ان
يتخلص المستضعفون من ربقة استغلال الاقويا، ،حتى يتسنى للجميـــع ان يسهمـوا فى تحريـــر
مستقبل الانسانية وفى ضمان السلم العالمى .

* * *

لكى يصبح مبدأ التساوى شاملا على مستوى العالم . تساويا فى الشكل والمضمون لابد مـــن
تحوير عالم الانتاج الصناعى تحويرا عاما ، ولابدمن القضاء على مركب العظمة والغرور اللامحدود
الذى يسود ذهنية الغرب . لقد خارت قوى الرخاء والوفرة . فعالم التصنيع الكبير فى حاجة ملحـة
الى التحرر مما يعانيه من ازمات مرهقة ، كفائض الانتاج الذى يخنق اجهزته الاقتصادية والنقدية .

فمتى سيدرك الغرب الغنى المترفه ان سلامةاعصابه وهدوء مزاجه المنفعل ابـدا مـن تأثـير
الخوف والعدوانية . متى سيدرك ان ذلك الهدوء وتلك السلامة مرتبطان بالامن العالمى ؟

على الغرب ان يغير أوضاعه وان يغير عاداتـهواعرافه ، خصوصا وقد اصبح للعالم الثـالـث
فاعلية وثقل على مسيرة التاريخ العام . فبقدر ماتزداد يقظة الوعى المجتمعى فى العالم الثالث بقدر
ما يتقوى الالحاح بضرورة تحول الغرب عما هوعليـــه .

من الأمارات والعوامل المزعجة التى تدفـــع بكل استعجال الى هذا التحول الحاسم . يمكن ان
نذكر : مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز الذى عقد بالجزائر فى صيف 1973 ، « وحرب البترول »
و « ازمة الطاقة » والاختلال المزعج الذى يعانيـه النقد العالمى (التضخم المالى وتعويم العملات) .

العالم الثالث لا يدعى ، فى اوضاعه الراهنة ،انه « حامل رسالة » ، وانما يقف امام الـبـدول
الغنية وقف الشاهد المتهم . فالنقطة السوداء فى التفكير الغربى هى انه تعود على ان يتصامم
عن سماع أية شهادة تصدر عـن شهـود ليسواغربيين . ويبذل كل جهد ليتجاهل أية قيمة للغير
ولما للغير .

مصدرا آخر للازمة المعنوية التى يجتازها هذاالعصر هو ان المسؤولين ، ثقافيـا وسياسيـا واقتصاديا ، غير قادرين على ان يخلصوا الايمان بأن الاستهلاك النهم ، الجامع لمختلف القـرارات ليس الا انواعا من المهدئات والمخدرات التى لن تعطى ابدا الاطمئنان المنشود .

فالثقافة ، أية ثقافة لا تموت تحت وطأة أخطائها ونقائصها . ولكنها تضمحل عندما تنقصها الجرأة الاخلاقية للاعتراف بتلك الاخطاء والنقائص ، انها تضمحل لتفضيلها العجرفة والتعاظم على النقـد الـذاتى .

ان الغرب فى حاجة ملحة الى كثير من الشجاعة ليتقبل ما يجب من النظر المشخص الناقد ، ذلك هو الشرط الاول لكل محاولة اصلاح عام شامل لتحقيق سلم عالمى صادق .

فلا مخرج للحضارة من الورطات ومن تـوالى الخيبات الا بتحقيق السلم العالمى ان انعدام الامل يطيل الانتظار المقلق الحائر .

هناك ، أيضا ، عدم القدرة على مصارعة التضخم العـام الـذى يزعزع القيـم (القيـم الاخلاقية والقيم النقدية عـلى السواء) ان ما يقـدم لنا من وجبات للتغذية المعنويـة والمجتمعيـة لا يحتوى الا على النزر القليل من الطراوة . والفن ، ومن دفء الاخوة الانسانية فالدوامة البيروقراطية تثلج الاجهزة المجتمعية وتجعلها تصطك . لقـد اختلط الحيز والحدود وظلت علاقـات الافـراد والعلاقات الدولية بلا مشروعية ، لـم يبق شىء مماثلا لذاته ، لا شىء فى مكانه ! ...

فهل تستطيع وعود العلم والتكنولوجيا ان تصل استقبالا ، الى تغيير الوضعية ؟

نعم تستطيع ذلك شريطة ان يعدل الغـرب افعاله لتصبح مطابقة لاقواله وللمبادىء الـتى يدعو لها ، فتمسى لها رنة صدق فى ضمير العالم الثالث . وعلى شرط ان يحل فى القلـوب روح التعاون محل الانانية العمياء .

هكذا ، ستجدد الشعوب ارتباطها بالفكـر السديد الرصين ، وتصوغ ثقافاتها القومية صياغة متكاملة الاهداف تساعد على انبثاق حضارة جديدة تحقق بها الامنيات المشتركة .

بهذا يأتى الجواب واضحا على سؤالنا الاول كيف نكون سياسة ثقافية تخدم السلم العالمى .

ان كل سياسة ثقافية ترمى الى خدمة السلـم العالمى مطالبة بان تتأسس على توفر نفس الشروط التى تهيىء تعادل الفرص امام آمال كل انسان .